

دراسات في

منهج البحث التاريخي والأدبي

تأليف
د/عبد الكريم إبراهيم دوحان
جامعة الأنبار - العراق

مؤسسة المنحار
للنشر والتوزيع - القاهرة

دراسات في

مَنْهَجُ الْبَحْثِ
التَّارِيخِيِّ وَالْأَدَبِيِّ

اسم الكتاب : دراسات في منهج البحث التاريخي والأدبي
اسم المؤلف : د. عبد الكريم إبراهيم دوحان

الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الإيداع: 2008 / 20970
الترقيم الدولي: 5 - 145 - 382 - 977

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع

الإدارة : 6 شارع عبد الحكيم الرفاعي - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 22713202 - 22713945 - فاكس: 22713202
المكتبة: 33 شارع الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهر - القاهرة
تليفون: 25105891

E-mail: mokhtar_est@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

سورة العلق الآيات رقم (١-٥)

الإهداء

إلى .. كل من سار على منهج الله

إلى .. كل من سلك طريق العلم

ودعا إلى الحق والحرية

والعدالة والمساواة

إلى .. كل من قرأ الفاتحة على روى وروح والدتي وأختي طليعه وابني

الشهيد

المؤلف

المقدمة

باسم الله أبدأ وبه أستعين وعليه أتوكل وعلى الله فليتوكل المتوكلون ، اللهم اكتب لى ولن يقرأ هذا الكتاب أو يدرّسه فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة يا رب العالمين .

وجدت من الضرورى أن أظهر مؤلفى هذا للدارسين والباحثين ليكون مورداً لكل ظامئ ، وقد وقفت على مؤلفات عديدة فى هذا المضمار وأشبعته بآراء المختصين ليظهر بحلة تميزه من غيره بالكمال وبحسّ عربى أصيل يضى بوضعات تشع من بين ثنايا السطور . فقمّت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول ، الفصل الأول يتناول التعريف بالبحث وطرقه وأنواعه وخطواته وقسمته إلى ثلاثة مباحث . أما الفصل الثانى فقد درست فيه منهج البحث التاريخى وقسمته إلى خمسة مباحث . وأما الفصل الثالث فتناولت فيه منهج البحث الأدبى وقسم إلى خمسة مباحث ، وقد جمعت بين هذه المناهج بكتاب واحد ليستفيد منه كل باحث تاريخى وأدبى ، وكذلك الدارسون والباحثون . وقد وقفت بتعريف هذه المناهج من خلال المصادر والمراجع التى كانت عوناً لى فى دراستى هذه ، وأسأل الله الأجر .

فمنهج البحث يعد ضروريا لكل باحث وعوناً له ، حيث يحفظ بحثه من الانسياب والشطط ، ويعتبر الآن ذا أهمية بالغة لمن يعنى بالضبط والتنظيم فى

النتائج الحية التي تماشى الحياة الحضارية في العصر الحديث وفي إخراج تراثنا من بين ركाम النسيان منظماً ينبض بالحرارة والحيوية وهو يزخر بالمفاخر والإبداعات التي كانت من عوامل إيقاظ الغرب وشحذه بكل مقومات التطور الحضارى بعد أن كان يتخبط في دياجير من التأخر والفوضى والجهل^(١)، وتتجلى أهميته في أنه يلزمنا بقيادة فكرية وأخلاقية^(٢).

فهو يوضح كيف يوضع البحث وكيف يختار وكيف يصاغ منهجياً ، وكيف تستخدم مصادره لينتفع بها . وهذه الأمور وغيرها حببت إلى أيضاً إخراج مؤلفي هذا... ليكون عوناً للدارسين والباحثين لعل الله أن ينفعنا بما كتبنا وقرأنا ودرسنا .

و(تحقيق النصوص) يُعنى بالكشف عن تراثنا الذي ناهضه الحاقدون وما زالوا يحاولون طمس آثاره ومحوها لينسى العربى تراث آبائه الميامين ذلك التراث الذى يجب أن يزداد اعتزازنا به وأن نقف أمامه وقفة إجلال وإكبار وأن نذود عنه ونرد سهام الأعداء الذين يسعون إلى القضاء على اللغة العربية - لغة قوميتنا ولغة وحدتنا- تقطع كل صلة بماضيها الذى يشع بالمفاخر ويزخر بكل مقومات البقاء والصمود والتطور ، فحبذوا اللغة العامية وعملوا على نشرها وتعميمها وترويجها بكل قواهم . وغمزوا الفصحى غمزات تشير إلى الحقد الدفين في قلوب دامية إصراراً على العدا ، وحاولوا محاولات يائسة على إبقائها راكدة في بركة آسنة لاحظ للحياة فيها^(٣) (كما يتصورون) لا حول لها ولا قوة حتى تختنق وتموت . فقد هالهم مواكبتها للتطور الحضارى ومساهمتها في التقدم العلمى

(١) البدرى ، عبد الرحمن ، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبى ، ص (٥ ، ١١ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٣٧).

(٢) منور ، الدكتور محمد ، النقد المنهجى عند العرب ، ص ٣٩١ .

(٣) عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ، ص ١ .

الحديث في نواحيه كافة مع عطاء وافر وسعة صدر ومرونة عالية وهى مشعل هذى ينير الدرب للتائهين والمدلجين .

فأذاعوا عنها كل ما يعيب من المطاعن والمظان ، ولصقوا بها كل مصير وضيع وعدم استيعاب للتطور العلمى فى العصر الحاضر ، فمدوا أصابعهم إلى الإعراب وبالعوا فى الصعوبات التى تكتنفه حتى تجرأوا على المطالبة بمحوه قاموس العربية. وقد صحب تلك الحملة الظالمة وسائل خسيصة وأصوات ناعقة بعدم وجود جدوى من التمسك به والالتزام بمضامينه معللين دعواهم بضآلة شأنه^(١).

وقد عمدوا إلى هذا التحريف بعد أن باءت محاولاتهم بالفشل فى مطلع هذا القرن حيث ظهرت دعوات-من قبل ضعاف القلوب وأرقاء التفكير- تنادى بإحلال اللغة اللاتينية محل اللغة العربية لعجزها عن مواكبة حركة التقدم والتطور الحديث^(٢).

ولكن لغتنا بما تملكه من قوة وصمود وبما يعج بين حناياها من حيوية وبها تكتنزه من ملكات خلق وإبداع فى الإحاطة والتعبير الجميل ، سخرت من أولئك الدخلاء المناكيد الذين يبيتون لها المكاره ، ولم تأبه بهم ولا بعوائهم

(١) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(٢) لقد وقفت لغتنا تدافع عن نفسها أمام تلك الحملة الظالمة . ووقف الى جانبها أبناء العروبة فى كل مكان ، ففى مصر الشيخ محمد عبده . وحافظ إبراهيم وعلى يوسف . وأقول كما قال حافظ إبراهيم فى قصيدته :

رجعت لنفسى فانهمت حصاتي	وناديت قومي فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى	عقمت فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية	وما ضقت عن أي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن	فهل سألوا الغواص عن صدقاتى

(٢) ينظر الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربى ، ص ٥٠٦ .

واستمرت في مسيرتها تواكب أمتها العربية في مسيرتها . ويحدوها تراثها الضخم ويوقد فيها جذوة الصمود والانطلاق عبر الأجيال والقرون .

وحاولت أن أجمع بين السهولة والصعوبة لأقدمها بشكل يفهمها الطلبة وهم بأشد الحاجة إلى كتاب مستقل ، واستفدت من مصادر الأساتذة الذين سبقوني في هذا المضمار مشكورين أولاً وأخيراً ، وقررت أن أألف كتاب كيفية كتابة البحث الجامعي وجمعت بين مناهج البحث التاريخي والأدبي والعلمي ولكافة الأقسام وحتى يستفيد منه طلبة الدراسات العليا .

آمل أن يجد القارئ في هذا البحث صورة لمعالم منهج البحث التاريخي والأدبي وشاهداً جديداً من شواهد أثر العرب في الحضارة الإنسانية ، وهذا ما سعت لأجله وبذلت كل جهد مستطاع في سبيله ، فإذا ظهر خلال هذا البحث شيء من الخطأ والزلل فأرجو أن أنبه عليه لأتمكن من إظهار هذا البحث في المستقبل بالمظهر الذي يليق بالحقيقة العلمية التي يكشف عنها .

وعليه فإن الذي دعاني إلى تأليف هذا الكتاب وأن أجمع فيه بين منهج البحث التاريخي ومنهجي البحث الأدبي لأنني كلفتُ أن أدرّس هذه المادة ولأول مرة في كلية الآداب-جامعة الأنبار، وقررت أن أخوض معركة تدريس هذه المادة التي يصعب تدريسها وصعوبة فهمها بالنسبة لطلبة الجامعات والدراسات العليا ووجدت أن المصادر غير واضحة وغير مفهومة من قبل الطلبة .

وتقتضي العناية بالبحث والاهتمام بالمصادر والمراجع والأصول العامة والخاصة على السواء ، لأن المصادر هي التي يأخذ منها الباحث مادة بحثه ، والأفكار الأساسية للموضوع وهي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يشاءان .

وبادئ ذي بدء ينبغي على الكاتب أن يكون عارفاً بجمهور قرائه ، في الدراسات العليا المعاصرة ، كما أنه يتخطى هؤلاء بالتجاوز إلى الطلاب الذين هم على أبواب التخرج في الجامعات أو بصفة عامة الطلاب الذين يسعون للحصول على دبلومات سواء في التكنولوجيا أو في الهندسة أو في التعليم أو في الفنون والآداب . وذلك لأن هناك خطأ مشتركاً يربط بين هؤلاء الطلاب جميعاً ، إذ يتعين عليهم في وقت معين (وغالباً ما يكون وهم في السنة الثالثة) أن يقدموا بحثاً مستفيضاً وقائماً على أسس منهجية بحال دراستهم ، وربما يطلق على هذه الأبحاث (ورقة بحث) أو (رسالة) أو ما إلى ذلك. وربما يكون الغرض من ذلك عرض مجموعة من الحقائق بطريقة موضوعية، أو التوصل إلى النتائج الأصلية للبحث ، ويتراوح عدد كلمات البحث ما بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ كلمة ، على أنه في كل الحالات يكون كاتب البحث ملتزماً بالنظم الدراسية المعمول بها في معهده . فيتحتّم عليه الاعتماد على مصادر أكاديمية ، وعليه أن يكون على دراية بفرن الحصول على أكبر قدر من المعلومات من داخل المكتبة . وذلك كي يختصر الوقت الطويل الذي يضيعه في المكتبة ليحصل على معلومات قليلة ويتمكن من تشكيل هذه المعلومات وصياغتها في أسلوب سلس ، ويلزم أن يكون البحث مؤيداً بمصادر والحصول على المعلومات منها بالنسبة للطالب في أقصر وقت ممكن ، وهذا ما يحاول هذا الكتاب معاونة الطالب فيه .

أرجو من الله أن يوفقنا لما فيه الخير والإصلاح لأمتنا وأبنائها الذين سيحملون راية العلم والمعرفة

الفصل الأول

المبحث الأول

البحث، تعريفه، أنواعه، طرقه، منهجه

١ - تعريف البحث^(١)

البحث هو شعار الحياة في الإسلام، الحياة المتجددة، العاملة الهادفة، البانية، الحياة تصنع الحضارة والرفاهية والأمن والسلام للإنسانية جمعاء.

وهو ثمرة العلم، أو دعامة من أهم دعائمه، فالتعلم والدراسة هما الركن الأول من أركان بناء الحضارة العلمية، والبحث هو الركن الثاني من أركانها، بما يشتمل عليه معنى البحث، من العرض والتحليل والنقد والأصالة والجدّة.

ولقد كان البحث شعارًا للحياة الإسلامية في مختلف عصور النهضة والقوة والازدهار، فأصبح العلماء المسلمون ومهمتهم البحث والكشف عن كل جديد، في الحياة والكون والوجود وصار البحث اليوم شعار الحياة والنهضة عند الأمم القوية والمتحضرة، وبفضل البحث كشفوا عن الذرة، وصعدوا إلى عالم الفضاء، واخترقوا جانبًا من حجب الكون.

والجامعات لا تزيد على غيرها من المدارس والمعاهد إلا بأنها بيئة للبحوث العلمية، ومركز مهم من مراكز تخريج الباحثين الأصلاء الموهوبين القادرين على النهوض بأعباء الحركة العلمية في مختلف جوانبها وألوانها.

(١) شرف، د. عبد العزيز والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كيف تكتب بحثًا جامعيًا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٣-٤.

تعدد معنى البحث

وهناك تعريف آخر للبحث عرفه لنا الدكتور عبد العزيز شرف^(١)

١- يراد بالبحث ما يشمل كل إنتاج يكتبه الدارس أو الأستاذ في موضوع من موضوعات العلم أو الأدب أو فكرة من أفكارهما، أو مشكلة من مشكلاتهما. سواء كان هذا الإنتاج:

(أ) مقالة مطولة واسعة نطلق عليها كتيبًا، وكان للقدماء يطلقون عليها اسم رسالة أو محاضرة.

(ب) أو كتاب مختلف الحجم، وغالبًا ما يبدأ الكتاب بصفحات تقارب المائة، وتزداد صفحاته حتى تبلغ المئات، فإن زادت زيادة مسرفة قسم الكتاب أجزاء، حسب موضوعاته وأبوابه الكبرى. والكتاب تختلف تقسيماته اختلافًا واضحًا: ففريق من المؤلفين يقسمونه إلى فصول، ويخصون كل فصل ببحث مسألة من المسائل، ويطلقون على الفصول أحيانًا أبواب. وفريق يقسمونه أولاً إلى أبواب، ويجعلون كل باب خاصًا ببحث مسألة رئيسية، أي عنصر أساسي من مسائل أو عناصر الكتاب، ثم يقسمون ثانيًا كل باب إلى فصول، ويجعلون كل فصل خاصًا ببحث مسألة جزئية من مسائل الباب، ثم كل فصل إلى مباحث.

(ج) رسالة جامعية، يتقدم بها الباحث إلى جامعة من الجامعات لنيل درجة وفي هذا المجال، إذا لم يتأكد الباحث من مصادر معلوماته، فعليه الاستعانة بدليل الكتب والمراجع الذي وضعه روبرت. ت. ل. كول. يسون Robert L. Collison بعنوان (Bibliographies: Subject and National) الطبعة الأخيرة

(١) الدكتور عبد العزيز شرف والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كيف تكتب بحثًا جامعيًا ص ٩ -١٤.

والناشر هو Crosby and Lockwood. وهو دليل واف يوضح كل ما يهم الباحثين من كتب ومراجع في مجال كل منهم.

وكذلك أعطانا الدكتور أحمد جاسم النجدي^(١) تعريفا للبحث يمكن إجماله بما يلي وهو الوسيلة لاكتشاف الحقائق والتعرف عليها. ومن الأسلوب النظر إلى فائدة الموضوع وأهميته، ومن ثم تشرط بعض الجامعات توجيه الطلبة لبحوثهم نحو البيئة ومشكلاتها وحاجاتها، وتوجيههم لدراساتهم نحو المشكلات الأخلاقية والعلمية والأدبية لبيئتهم، فالكتابة عن خريات أبي نواس غير الكتابة في زهد أبي العتاهية، والكتابة عن الأدب في العصر التركي غير الكتابة عنه في عصر الرسالة.

فإذا ما استقر الباحث على موضوع بحثه، ووافق عليه الأستاذ المشرف كان عليه أن يتقل إلى ناحية جديدة، وهي وضع المنهج العلمي للبحث.

منهج البحث

بعد اختيار الموضوع يجيء دور المنهج، ومنهج البحث يعني بتحديد الخطة التي يسير عليها الباحث في بحثه. وكما بنى منزل يبدأ فيه برسم مصغر للمنزل يحدد فيه أركانه ودعائمه وأقسامه ويسير البناء على منوال هذا الرسم، فكذلك كتابة البحث يبدأ فيها بوضع المنهج الذي يسير عليه الباحث.

ويختلف المنهج باختلاف الموضوع والباحث نفسه، وباختلاف الظروف المحيطة بالبحث نفسه. والمنهج لابد من مشاركة الأستاذ المشرف في وضعه ليكون ملائماً ومستوفياً لموضوعات البحث، ويتوقف على المنهج تقييم البحث

(١) النجدي، أحمد جاسم (الدكتور)، منهج البحث الادبي، المكتبة الوطنية، (١٩٧٨)، ص ٢٩٠ -

نفسه، فكلما كان المنهج قويًا شاملاً كان البحث جيدًا جدًا ومفيدًا وذا قيمة علمية كبيرة.

ومن الممكن أن يسير المنهج وفق هذا الترتيب:

أ. تصدير للبحث ويحدد فيه الهدف الذي قصده ببحثه وأهمية البحث وقيمة الكتابة حوله، وصلة موضوع البحث بنفس الكاتب وتخصصه فيه، وقرارات الباحث الكثيرة حوله، واسم مراجع البحث المخطوطة والمطبوعة. والجهد الذي بذله صاحب البحث في كتابه، وبيان هل كان البحث جديدًا أو أنه قد سبق إليه.

ب. ويصمم الموضوع أو هيكل البحث ويشمل عددًا من الأبواب والفصول، وفي العادة يكون وفق هذا الترتيب:

الباب الأول:

يحتوي على فكرة رئيسية في البحث وتندرج تحت عدة فصول كل فصل يتناول مشكلة من مشكلات هذه الفكرة الرئيسية.

الباب الثاني:

ويحتوي على فكرة رئيسية أخرى ويحتوي على عدة فصول كذلك لا تزيد في العادة على أربعة.

الباب الثالث:

يتناول فكرة رئيسية، ويحتوي على عدة فصول أيضًا.

ج. خاتمة البحث، وتشتمل ما يلي:

- كلمة يبين فيها مدى ما بذل من جهد في كتابة بحثه والإلمام بمراجعته.

- بيان الجديد في البحث الذي لم يطرقه الدارسون من قبل.

- بيان بمصادر البحث.

- فهرس شامل للبحث

فإذا أردنا مثلاً كتابة بحث عن (التجديد في شعر شوقي): كان لنا أن نرسم منهج البحث كما يلي:

١- تصدير البحث.

٢- هيكل الرسالة ويشتمل:

أ. الباب الأول؛

شاعرية شوقي، ويحتوي هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول: عصر شوقي وبيئته وأثرهما في شعره.

الفصل الثاني: حياته وأثرها في شعره.

الفصل الثالث: منزلته في الشعر الحديث وآراء النقاد فيه.

الفصل الرابع: شاعرية شوقي أسبابها ومميزاتها.

ب. الباب الثاني؛

خصائص شعر شوقي ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول: ألفاظ شوقي وأسلوبه.

الفصل الثاني: معاني شوقي في شعره.

الفصل الثالث: الخيال في شعر شوقي.

الفصل الرابع: العاطفة في شعر شوقي.

الفصل الخامس: أغراضه الشعرية.

ج. الباب الثالث؛

الفصل الأول: الشعر المسرحي عند شوقي.

والشعر الإسلامي عند شوقي.

وشعر الطبيعة عند شوقي.

الفصل الثاني: الصور الجديدة في الخيال والعاطفة والأسلوب الموسيقى الشعرية.

الفصل الثالث: إمارة شوقي للشعر الحديث وأسبابها.

الفصل الرابع: عظمة شوقي وأثره في التجديد الشعري وآراء والنقاد في ذلك.

٣- الخاتمة: الجديد في البحث - المصادر - الفهرست ...

ومن الممكن عندما نقرأ فهرست أية رسالة من الوسائل الجامعية أن نقف على منهج الباحث من رسالته. وكلما كان المنهج قويًا وشاملاً كان البحث مفيدًا وذا أهمية علمية خاصة.

وإذا رجعت إلى كتاب (ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان) أو إلى كتاب (أبو عثمان الجاحظ) أو إلى كتاب الدكتور طه حسين (تجديد ذكرى أبو العلاء) أو إلى كتاب (التصوف الإسلامي) لزكي مبارك، أو إلى كتاب (مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد). أمكنك معرفة المنهج الذي التزمه المؤلفون لهذه الكتب وأهميتها في البحث الأدبي الحديث.

طرق البحث

المبحث الأول: خطوات إعداد البحث.

المبحث الثاني: الهوامش والبيبلوغرافيات.

تعريف البحث^(١)

البحث Research وهو الوسيلة لاكتشاف الحقائق والتعرف عليها من خلال الاستقصاء والتنقيب عنها. شرط أن يسلك الباحث منهجاً معيناً ويتخذ أدوات خاصة لهذا البحث.

وقد عرّف الدكتور علي جواد الطاهر البحث فقال (طلب الحقيقة وتقصيها وإداعتها بين الناس). وعرف المنهج Method: بالطريقة التي توصل الإنسان إلى حقيقة ما. وبتعريف للدكتور أحمد بدر في كتابه أصول البحث العلمي ومناهجه قال: (البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة).

والبحوث أنواع مختلفة، تختلف باختلاف المرحلة الدراسية للطلاب وعلى هذا تختلف حجماً وأهمية ومن هذه الأنواع:

١- البحث الصفي والذي يسمى تقريراً وما تتطلبه المرحلة الثانوية من دراسة الطالب وهنا يتوجب على الطالب كتابة بضعة أوراق في موضوع يحدده أستاذ المادة ضمن المقرر الدراسي للطالب الثانوي.

٢- البحث الذي يعده طالب الجامعة من أجل حصوله على البكالوريوس أو الليسانس وهذه بحوث للمرحلة الجامعية تفرض أحياناً في بعض الجامعات على الطلبة قبل تخرجهم وقد تدعى رسالة الليسانس أو البكالوريوس.

٣- وهناك بحث يعد للحصول على الدبلوم Diploma أو لشهادة الماجستير وتسمى بالإنكليزية أما "Thesis" أو "Research".

(١) الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي، ط٢، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٠.

٤ - وفي الدراسات العليا أي في الدراسة للحصول على شهادة الدكتوراه Ph. D. يكتب الطالب بحثاً طويلاً أو يعد رسالة علمية أكثر أهمية "Dissertation" تأخذ من وقت الطالب مدة طويلة وقد تأخذ عدة سنوات. هناك مقومات أساسية تتوفر في البحث ليكون ناجحاً منها:

١- وضوح الفكرة: هنا يتوجب على الباحث العزوف عن اللف والدوران في صياغة الموضوع بل عليه أن يبرز الفكرة أو مضمون البحث بشكل سهل فهمه من قبل القراء. أي يجب أن لا يكتنف الموضوع الغموض والإبهام.

٢- كشف الحقائق وهذه ميزة تشوق القارئ وتدفعه للاهتمام بالبحث والوقوف على نتيجته، فإذا ملك الباحث القدرة على عرض الحقيقة للقراء بشكل سليم عند ذلك سيكون بمستوى الباحث الناجح والحقيقة لا تتم إلا بعرض الأدلة الواضحة والدعم الإحصائي للمعلومات.

٣- التسلسل المنطقي لأحداث البحث - كأن يبدأ الباحث بالأهم ثم المهم ويسلك الترتيب الزمني للأحداث. لأن السبك الجيد والصياغة المتسلسلة منطقياً تولد القناعة والرضى في نفس القارئ حيث تجعله يلم بأطراف الموضوع إلماماً تاماً.

المبحث الثاني

خطوات إعداد البحث

أولاً: اختيار الموضوع

إن اختيار الموضوع من أول المهام التي تعترض كاتب البحث. فقد يعاني الكثير قبل الوقوف على موضوع البحث. وقد يتردد كثيراً ظناً منه أن أحداً سبقه إلى هذا البحث فهو يخشى إذا التكرار ولكن هناك حقيقة تذكر أن الكثير من الموضوعات في حقل اختصاص الباحث لا تزال بحاجة إلى من ينقب عنها ويبحث في أطرافها المتعددة ويجعل منها حقيقة ثابتة.

وبإمكان الباحث أن يضيف الجديد ويبتكر الأسلوب الذي لم يسبقه أحد إليه وذلك حين يتناول الموضوع.

فلكل شخص أسلوبه وروحه وطريقته الخاصة في البحث، قد لا يتفق اثنان في فكرة وقد لا يجتمعان على رأي واحد.

أن الأستاذ المشرف أو أستاذ المادة يساعد كثيراً في تسهيل مهمة البحث واختيار الموضوع. وقد يتعاون الاثنان في المهمة ولكن شرط أن لا يكره الطالب على موضوع معين. وقد يتوقف نجاح الموضوع المختار على:

١- رغبة الطالب وميله للموضوع.

٢- الموضوع المناسب.

٣- الجديد المبتكر.

٤- توفر المصادر.

٥- البعد عن الغموض والإبهام.

ثانياً: وضع النخطة Planning

أي تحديد الهيكل العام للبحث ومنهجه Method والأدوات Tools التي سيستعملها في تدعيم أسس البحث والباحث شأنه شأن المهندس المعماري الذي يرسم خريطة البناء قبل الشروع. أما الباحث فيرسم حدود بناء البحث بأبوابه وفصوله ومباحثه.

لقد عرف الدكتور عبد الرحمن بدوي منهج البحث فقال (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلوماته).

والأداة Tool التي تستعمل في إعداد البحث أي الوسيلة التي يجمع بها الباحث بياناته المتعددة ومنها:

١- الملاحظة بأنواعها Observation.

٢- الاستبيانات Questionnaires.

٣- المقابلات Interviews.

٤- تحليل المحتوى أو المضمون Content Analysis.

٥- أساليب قياس الاتجاهات والمقاييس Measurement Attitudes.

٦- الخرائط والرسوم والوثائق Documents , charts , graphs , maps.

٧- الوسائل الإحصائية Statistical Methods.

فقد يختار من هذه الأدوات أداة واحدة توصله للبحث وقد يحتاج إلى أكثر من وسيلة واحدة أحياناً.

ثالثاً: جمع المصادر

المصادر كما نعرف وقف على المكتبة والتي من مهامها خدمة القراء وطلاب البحث عن المعرفة. فمراجعة المكتبة كخطوة أولية في إعداد البحث أمر غاية في الأهمية لأن نجاح البحث يتوقف على هذه المصادر. ومن هنا جاءت أهمية التعرف على استخدام المكتبة، لأن الباحث أحوج ما يكون إلى معرفة استخدامها واستخراج المواد المطلوبة من بطون المصادر فيها.

ويتم جمع المصادر بالرجوع إلى فهرس المكتبة والاطلاع على محتوياتها من كتب ومطبوعات ومسجلات تخص الموضوع. وفي المكتبة مصادر أولية مهمة يمكن الرجوع إليها كخطوة أولى، ومن هذه المصادر:

(١) القواميس اللغوية والعلمية.

(٢) دوائر المعارف العامة والمتخصصة في موضوع الباحث.

(٣) الكشافات التحليلية للجرائد والمجلات.

(٤) كتب التراجم والإعلام (إذا كان البحث حول شخصية معينة).

(٥) الأطلالس والخراط: لتحديد الأماكن والمواقع.

(٦) الأدلة المختلفة وخاصة الإحصائية منها لدعم البحث.

من الممكن الاستعانة بأساتذة المادة المتخصصين بموضوع البحث لتسهيل أمر البحث في مواقف متعددة كتحديد بعض المراجع وإرشاد ومتابعة البحث.

وبعد أن يتم للباحث الحصول على المصادر بتثبيتها على بطاقات (القياس الشائع ٧.٥ × ١٢.٥) حيث تدون البيانات البيبلوغرافية الأساسية: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المجلة أو المقالة، مكان النشر والناشر. تاريخ النشر، ثم الصفحة أو الصفحات التي توجد فيها المعلومات. تجمع هذه البطاقات.

رابعاً: القراءة وتنظيم المعلومات

بعد أن يفحص الباحث جميع المصادر التي سجلها على البطاقات تبدأ عملية القراءة وتدوين المعلومات وتسجيل الملاحظات التي يحتاجها الباحث ويتم هذا التسجيل على بطاقات أكبر حجمًا من الأولى - بطاقات المصادر والتي استعملها أولاً لتدوين البيانات البيبلوغرافية للمراجع.

يكتب فيها على وجه واحد فقط لسهولة مراجعتها ولا حاجة لذكر التفصيلات للكتاب أو المجلة التي أخذ عنها لأنها مسجلة على البطاقات الصغيرة بشكل كامل.

أما كيف يتم تدوين هذه الاقتباسات، فيفضل أن يكتب اقتباس واحد على كل بطاقة وبالإمكان أخذ اقتباسين من كل واحد اتسعت البطاقة لهما.

في أخذ الاقتباس يجب ملاحظة ما إذا كان أخذه نصًا من الكتاب أو نقل فكرة فقط. ففي حالة أخذه نصًا يجب وضع هذا النص بين علامتي تنصيص وذلك للأمانة العلمية التي تتوجب على الباحث قد يمكن أخذ الاقتباس من المعاجم، والإحصائيات، والبيانات لأنها ثابتة. أما الأفكار التي يكونها الباحث من خلال قراءته حول المادة فيإمكانه كتابتها في جسم البحث والإشارة إلى مصدرها وتتوقف صياغة هذه الأفكار على قابلية الباحث وفطنته وذكاؤه وطريقته الخاصة في حياكة الأفكار المتشابهة ووضعها بشكل سليم لا تخالف الأفكار التي أخذ عنها.

وقد تكون المادة حصيلة عدة آراء قرأ عنها الباحث وفهم مضمونها فصاغها بأسلوبه الخاص. فكلما كانت قراءة الطالب مركزة ودقيقة كلما تمكن من غربلة الآراء المضطربة وفرزه ما يجده صالحًا ينسجم ومنطق البحث.

تنظيم هذه البطاقات حسب المواضيع ذات العلاقة إذا حوى البحث على

أكثر من موضوع أو إذا اختلفت الأبواب والفصول كذلك، وتوضع في صندوق واحد حسب علاقتها الموضوعية ويكتب على الصندوق (العنوان) للمادة المحفوظة فيه. كأن تكون مجموعة في موضوع الخدمة المكتبية. ومجموعة أخرى تحت موضوع بناية المدرسة، وآخر تحت الإجراءات الفنية للكتابة وهكذا.

أما إذا كان البحث يضم موضوعاً واحداً فتصنف بطاقات المعلومات هجائياً تحت اسم المؤلف ليكون بالإمكان استرجاعها وإعادة بنائها. وكلما كان العمل منظماً كلما نجح الباحث في عمله ووفر على نفسه الكثير من الوقت.

وهناك أسلوب آخر يتبع في جمع المعلومات وهو الدفتر المنظم أو الأوراق السائبة في (فايل) تربط الأوراق ببعض ويكتب فيها الملاحظات على وجه واحد أيضاً شرط أن تكون جميع الأوراق المدرجة بحجم واحد ومن نوع جيد سميك ذات لسان بارز لتمييز مادة عن أخرى وتصنف فيها المعلومات حسب موضوعها. وهناك يضيف الباحث كل مادة جديدة تحت موضوعها المخصص لها داخل الدفتر أو السجل.

على أية حال بإمكان الباحث اتخاذ أي أسلوب لجمع المعلومات شرط أن تكون منظمة ومصنفة بشكل لا يربكه أو يضيع عليه المادة.

خامساً: كيفية كتابة البحث

من المراحل الصعبة التي يواجهها كاتب البحث هي المرحلة الأخيرة أي إعطاء البحث الشكل النهائي. وهذه المرحلة تعني كتابة مسودة البحث (Draft).

فالكتابة هذه تتطلب من الباحث أن يترك مسافات كبيرة لإضافة التصحيحات التي سوف تجري عليه القراءة الثانية أو الثالثة. ثم ملاحظة علامات الترقيم الصحيحة، ووضع المادة بأسلوب جديد مراعين القواعد الصحيحة للغة العربية.

إن الشكل النهائي للبحث يتكلف من الباحث أن يعطيه الكثير من وقته وصبره. أن يجلس بهدوء إلى نفسه يفكر ويركز ويضع الصحيحة والمنطقية. أن يلم أطراف الموضوع المشتتة على بطاقات وورق لا تحمل روحاً أو معنى فيعطيه الروح والمعنى فالكتابة النهائية تعطي للبحث روحه، وإعطاء الشكل النهائي يعني تحديد:

(١) صفحة العنوان.

(٢) الشكر والامتنان للآخرين الذين ساهموا بشكل أو بآخر لإعطاء الموضوع هذه الصيغة النهائية.

(٣) قائمة المحتويات.

(٤) المقدمة، وفيها فكرة عن صميم الموضوع. الهدف منه أو الغرض.

(٥) النتائج.

(٦) المقترحات والتوصيات.

في صفحة العنوان يكتب إلى اليمين من أعلى الصفحة اسم الجامعة أو المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها طالب البحث، ويضاف إلى الأسفل اسم الأستاذ المشرف على البحث. في وسط الصفحة يذكر العنوان وتحت اسم كاتب البحث تراعي القياسات والشكل لمنظم لهذه الصفحة.

بعض الباحثين يودون تقديم الشكر إلى من ساهم أو ساعد بشكل أو بآخر في إنجاح البحث وإيصاله بالشكل النهائي.

ثم بعد تقديم الشكر والامتنان من قبل الباحثين.. توضع قائمة بمحتويات البحث (الفهرس) وتوضع الأبواب والفصول، إن كان البحث مقسماً إلى أبواب وفصول ومباحث تذكر هذه الفصول مع إدراج عناوينها ورقم الصفحة التي تحتويها.

بعدها تأتي المقدمة لتبين الفكرة والمضمون وسبب اختيار الباحث هذا الموضوع والنهج العلمي الذي سلكه (توطئة للموضوع).

قد يذكر الباحث بعد هذه النتائج التي توصل إليها من خلال البحث وقد تكون النتائج بعد استيفاء مادة البحث- أحياناً- شرط أن لا يكرر فيها ما ذكر في البحث والحقيقة، أقول إن أهم ما يجب تثبيته في الشكل النهائي للموضوع مهمتان أساسيتان لتعطي البحث صورته الكاملة:

أولهما: صحة المراجع والتذييل.

وثانيهما: التسلسل المنطقي للأحداث.

وأخيراً على كاتب البحث أن لا يغفل اللغة الجيدة والقواعد الصحيحة التي تتناسب مع مستوى طالب البحث العلمي..

الببليوغرافيات والهوامش

الببليوغرافيا: كلمة إفرنجية يعود إلى اللغة اليونانية القديمة وهي كلمة مركبة من صدر (Biblio) وهو صفة التصغير، مأخوذة من (Biblios) بمعنى (كتاب) ومن عجز (Graphia) وهو أسم فعل من (Graphien) بمعنى (ينسخ) وعندما تتركب معا تبدو الكلمة بشكل التالي (Bibliographia) وقد أخذتها اللغة اللاتينية دون تغيير. ثم انتقلت إلى اللغات الأخرى وطراً عليها بعض التغيير في حروف الكلمات ولا سيما الحروف الأخيرة منها. اللغة الإنكليزية Bibliography وفي اللغة الألمانية والفرنسية (Bibliographie). وينبغي أن نلاحظ أن اللغات الأوربية كانت وما تزال تستعمل الشكل اللاتيني للكلمة حتى بعد ظهور الأشكال الحديثة لها ولا سيما في الأعمال الببليوغرافية ذات المستوى الأكاديمي في الطب والدين والفلسفة.

أما اللغة العربية فقد استعارت الكلمة كذلك واستفادت من مدلولها الفكري إذ أصبحت تستعمل لوصف علم قائم في المكتبات هو (علم البيبلوغرافيا) وأصبح هذا العلم من العلوم الضرورية التي يحتاج إليها في الممارسات الحديثة للتأليف.

وأخيرًا نقول إن هذه الكلمة Bibliography تربط معنى بالكتاب وكان قد عرفها البيبلوغرافي الألماني (إيبرت) في القرن التاسع عشر بأنها: (العلم الذي يعالج الإنتاج الفكري) ولخصه أخيرًا بـ (علم الكتاب). أما الفرنسيون فأعطوا لهذه الكلمة تعريفًا مطاطيًا وهو: (الكتابة عن الكتب).

إن البيبلوغرافيا هي مفهوم عام لا يرتبط بزمان أو مكان معين أو بنوعية من المطبوعات المعينة بل إنما جاءت عامة على كل ما يخص الكتابة عن الكتب في أي مكان وأي زمان وأي نوع كان وقد تعني كذلك القائمة بأسماء الكتب والمطبوعات. أو قائمة تجمع منها مواد للإنتاج الفكري. فهي إذا وعاء من أوعية الرصيد الفكري بشتى مواضيعه وأشكاله.

أما عن كيفية تجميع هذه البيبلوغرافيات فتتم ضمن أسس متعددة ومختلفة ومن أهم هذه الأسس:

١- التجميع على أساس الزمان الذي تغطيه كأن تشمل فترة زمنية معينة أو عصر ما (مؤلفات القرن العشرين).

٢- التجميع على أساس المكان فنجد، بيبلوغرافيات عالمية، محلية، قومية. مثال:

أ- (الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية) كان يحمل اسم: البيبلوغرافيا الوطنية العراقية التي تصدر عن المكتبة الوطنية في بغداد. ظهرت بموجب قانون الإيداع ١٩٧٠.

ب- النشرة البيبلوغرافية اللبنانية للإنتاج الفكري والطباعي في لبنان تصدر عن دار الكتب الوطنية اللبنانية صدرت النشرة الأولى لعام ١٩٦٤ في سنة، وتقع في ١١٦ ص.

٣- التجميع على أساس المجال أو التغطية فنجد البيبلوغرافيات الشاملة Comprehensive Bibliographies والمتخبة Selective Bibliographies مثال للشاملة: - معجم المطبوعات العربية والمصرية. جمع وترتيب يوسف إلياس سركيس يعتبر هذا العمل من أهم الأعمال البيبلوغرافيا لشمولها لأسماء الكتب في الأقطار العربية. من يوم ظهورها:

٤- التجميع على أساس المادة المدرجة فنجد قوائم بالكتب، الدوريات، التقارير، النشرات، الخرائط، الأفلام، والمقالات، التسجيلات الصوتية.

أما من حيث ترتيب هذه القوائم فقد تأتي التجميعات هجائية تحت اسم المؤلف أو العنوان أو الموضوع، أو موضوعية مصنفة.

التعريف ببعض البيبلوغرافيات العربية القديمة

١- (الفهرست لابن النديم) المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

٢- (مفتاح السيادة ومصباح السعادة) في موضوعات العلوم لأبي الخير أحمد المشهور بطا شكبري زاده المتوفى سنة ١٩٦٨ هـ.

٣- (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ.

المدخل في إعداد قوائم البيبلوغرافي (قوائم الكتب) أو المؤلفات الأخرى:

اعتمد معظم البيبلوغرافيين اسم المؤلف أساساً لترتيب مراجع البحث أو إعداد قائمة البيبلوغرافيا.. ومن ثم تعقيب هذا الاسم (المدخل) البيانات الأخرى والتي سنوضحها في أمثلة مختلفة:

مثال اتخاذ الاسم الأول مدخلاً:

١- أحمد شلبي. كيف تكتب بحثاً أو رسالة. ط٦. القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٦.

وقد يلاحظ في هذا المثل دقة التنقيط: توضع نقطة بعد الاسم ثم نقطة بعد العنوان. ثم تليها الطبعة تتبع بنقطة. ثم مكان النشر فاصلة (،) ثم الناشر إن كان مؤسسة أو دار نشر أو مطبعة تليها (،) ثم سنة النشر نقطة. وقد تذكر بيانات التوريق وسعر المطبوع - إن عرف -.

٢- أحمد أنور عمر. المعنى الاجتماعي للمكتبة. دراسة الأسس الخدمية للمكتبة العامة والمدرسية. ط٤. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤.
وإذا حوى الاسم على اللقب أو الكنية فيدخل تحتها مثال:

الصاوي، عبد الله إسماعيل. المراجع العربية، ط٢. القاهرة، دار الصاوي، (١٩٥٦، ص١٢٨). أو تحت الكنية كابن، وبن، وأم، وأبو. بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن. تراثنا بين ماض وحاضر، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨، ص٢٢٤.

هذا في مجال الكتب العربية أما فيما يخص الكتب الأجنبية فتدخل عادة تحت الاسم الأخير أو لقبه أو شهرته مثال:

Gates, Jean Key. Guide to the use of books and libraries. New Youk, Pergamon, 1958.

أما في حالة كون المقال مأخوذاً من مجلة أو موسوعة مثلاً، فيذكر اسم كاتب المقالة، ثم عنوانها ويوضع بين علامتي تنصيص، وبعدها عنوان المجلة أو الموضوع ويوضع تحته خط. ثم يتبعه رقم المجلة، فتاريخ نشر المجلد أو العدد. ثم أرقام الصفحات التي وردت فيها هذه المقالة.. وفي حالة عدم وجود كاتب للمقالة تدخل المقالة تحت عنوانها.

مثال للمقالة التي لم تحو على مؤلف وأدخلت تحت العنوان:

يوسف أسعد داغر (التوثيق العلمي وآفاقه الجديدة) مجلة عالم المكتبات، مج ٧، ٦٤، ١٩٦٥. ص (٥-٢٠).

مثال للمقالة التي لم تمر على مؤلف وأدخلت تحت العنوان:

(الاستكشافات الجغرافية) الموسوعة العربية الميسرة. (١٩٦٥)، ص ١٤٤.

أما بالنسبة للوثائق والمطبوعات والتي تصدر عن مؤسسات علمية وثقافية فتدخل هذه الوثائق والمطبوعات تحت اسم المؤسسة ثم يذكر عنوان الوثيقة أو المطبوع مثال:

١- المجمع العلمي العراقي. البحوث والمحاضرات. بغداد، مطبعة المجمع، ١٩٦٦.

٢- جامعة بغداد. المكتبة المركزية. الكتب المطبوعة في العراق لعام ١٩٦٧، بغداد، ١٩٦٧، ص ١٠.

٣- جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والإعلام. حلقة الخدمات المكتبية السيلوغرافيا والتوثيق وفهارس المخطوطات العربية والوثائق القومية. القاهرة ١٩٧١، ص ١٥.

أما بالنسبة للمخطوطات فتدخل تحت اسم مؤلفها ثم عنوان المخطوط ويتبع ذلك مكان وجود هذه المخطوطة - المكتبة أو المتحف التي تحتويها - ثم رقمها في فهرس المكتبة. مثال:

السهروردي، عمر بن محمد المتوفي (سنة ٦٣٢ هـ). إعلام الهدى مخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد، رقمه (١٣٨١٤).

الزنجشيري، محمود بن عمر المتوفي (سنة ٥٣٨ هـ) المستقصى من أمثال العرب. مخطوط مكتبة كوبرلي (إستانبول) رقم (١٣٨٩).

وفي حالة صدور الكتاب والمطبوع عن مؤسسة حكومية فيذكر اسم البلد ثم المؤسسة. مثال:

العراق، وزارة التربية. تقرير عن التعليم في العراق. بغداد، (١٩٦٠). ص (١٤١).

مصر. وزارة الثقافة والإرشاد. دار الكتب. قائمة بالكتب والمراجع عن السودان. القاهرة، مطبعة دار الكتب، (١٩٦٦)، ص (١٠٨).

لبنان. وزارة التربية الوطنية. دار الكتب الوطنية النشرة البيبلوغرافيا اللبنانية للإنتاج الفكري والطباعي في لبنان، بيروت، ١٩٦٤.

الهوامش والتذييل Footnotes

وهي الشروح والتعليقات أو الإشارات إلى المصادر التي أخذت عنها المعلومات. ويمكن الإشارة بإيجاز إلى المرجع إذا كانت الإشارة منفصلة في قائمة المصادر، ويكون موقع الهامش في أسفل كل صفحة.

أما كيفية كتابة هذه فيتم كما يلي:

إذا كان الهامش يرجع للكتاب ككل. فستكون المعلومات المذكورة هي نفسها المذكورة في المدخل البيبلوغرافي ولكن اسم المؤلف يظهر بالاسم الأول لا باسم العائلة. وقد لا تثبت هذه الفكرة كقاعدة عامة فقد يفضل كتابة العائلة أولاً سواء في الهامش أو في البيبلوغرافيا عند نهاية البحث.

فإذا كان اسم المصدر وارداً في القائمة البيبلوغرافية فيفضل ذكر اسم المؤلف فقط مع رقم الصفحات المقتبس منها الموضوع أو الفكرة.

الطاهر، علي جواد. منهج البحث الأدبي. (ط٢). بغداد، مكتبة النهضة، (١٩٧٠).

علي جواد الطاهر، ص (١٥).

عبد الجبار عبد الرحمن. ص (١ - ٢٣).

وفي حالة تكرار الأخذ من نفس المصدر وجاء بعده مباشرة فنذكر فقط نفس المصدر أو نفس الكتاب مع رقم الصفحات.

وفي الإنكليزية Ibid المأخوذة من الكلمة Ibidem والتي تعني نفس المكان أو نفس أو نفس المصدر.

أما في حالة الاقتباس من نفس الجزء أو الصفحة والمصدر فيقال في العربية: المصدر السابق، وفي الإنكليزية (Op.Cit) المأخوذة من الكلمة اللاتينية (Operecitato) وتعني العمل المذكور والمقصود به نفس الجزء والمكان والصفحة.

وقد يضيف الكاتب معلومات تكميلية بالهامش دون أن يحتاج إلى ذكر أرقام لها وذلك لأهمية هذه المعلومات ويشير إليها بعلامة (*) وتكتب المعلومات في أسفل الصفحة. مثال:

ويسكن معظم أهالي العراق أرض السواد (*).

ومثال آخر:

أجريت دراسات سيكولوجية على عينة من الأطفال (*) تتراوح أعمارهم بين (٥-١٤) سنة.

فالمعلومات التي تذكر في الحاشية جاءت للتوضيح فقط ولكنها ليست من صلب الموضوع.

(*) الأرض التي تحيط بدجلة والفرات وتكثر فيها الزراعة لخصوبتها.

(*) أطفال ينتمون إلى عوائل من ذوي الدخل المحدود.

المبحث الثالث

البحث وأنواعه وصلته بالمكتبة

تعريف البحث^(١)

هناك تعريفات كثيرة للبحث تدور معظمها حول كونه وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً... على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق، خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات ...

ومن بين هذه التعريفات ما يلي:

- البحث استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً^(٢).
- البحث عن استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها، والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي^(٣).

(١) بدر، الدكتور: د، أصول البحث العلمي ومنهجه، ط(١)، ص (١٨-٢١).

(2) Whitney, F. Elements of Research. New York, 1945, F. ١٠.

(3) Polansky, N. Social Work Research, P.2.

- البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة، فالبحث يعني التنقيب عن الحقائق.

- Research is a method study by which, through the careful and exhaustive investigation of all the ascertainable evidence bearing upon a definable problem, we reach a solution to that problem^(١).

فالببحث عملية تطويع الأشياء والمفاهيم Concepts والرموز، بغرض التعميم Generalization... فالمهندس الميكانيكي أو الطبيب يعتبر باحثاً عندما يحاول التعميم عن جميع السيارات أو جميع المرضى في قطاع معين.

وعلى ذكر (التعميم) يذهب بعض الباحثين^(٢) إلى أن هناك إضافات جديدة يمكن أن تنتج من البحث ولكن هذه الإضافات غير قابلة للتعميم إلا في أضيق المجالات وفي أحيان أخرى تكون الإضافة على مستوى عال من التجريد والعمومية.

أنواع البحوث

كثيراً ما نطلق كلمة (البحث) على جميع نشاطات الدارسين، ومع ذلك إذا ألقينا نظرة سريعة على المقالات العلمية المنشورة في أي مجال سوف نتكشف لنا اختلافات أساسية بينها. فبعض المقالات يصف التجارب العلمية ونتائجها، وبعضها يعتبر مجرد تقارير عن مسح الآراء (Opinion Surveys) وبعضها يعلن عن تعميمات عريضة مبنية على دليل يقدمه الباحث. وبعض هذه المقالات أيضاً

(1) (Hillway, Tyrus. Introduction to Research. 2nd. ed. Boston Houghton. Mifflin Co., 1964, P.5.

(٢) عبد الباسط محمد حسن، المرجع السابق، ص ١٤٠.

تحمّل مجرد انطباعات الكاتب التي اكتسبها من دراسات غير محكمة (Uncontrolled Contact) لموضوع معين وتفسيره هو تعليله لبعض الجوانب في الموضوع الذي يقوم بدراسته ... أن نشاطات البحث متعددة وكثيرة.. فهي تشمل التجريب وألوان المسح العلمي وتحليل الوثائق والدراسات التاريخية وتفسير الأفكار والتحرير وغير ذلك. ويمكن أن نجمل نشاطات البحوث في الأنواع الثلاثة التالية:

١- البحث بمعنى التنقيب عن الحقائق.

٢- البحث بمعنى التفسير النقدي.

٣- البحث الكامل.

اختيار موضوع البحث العلمي

يجب اختيار موضوع البحث قدر الإمكان مطابق لهوى ورغبة الطالب لأن حب الطالب لموضوع معين والكتابة فيه سوف تعطيه دفعة في الحصول على معلومات من خلال الاطلاع على أكبر عدد من المصادر والمراجع المعنية بالبحث.

بعد اختيار الموضوع يجب أن ترسم خطة عريضة للبحث (خطة أولية) فإن كان عنوان البحث ينصب حول دراسة شخصية خليفة أو وزيراً أو قاضي تبدأ بدراسة هذه الشخصية من مراحلها الأولى:

١ - الولادة.

٢ - التسمية.

٣ - الكنية.

٤ - اللقب.

- ٥ - تاريخ الأسرة.
 - ٦ - تاريخ النشأة وتشمل على التعلم والمهارات التي اكتشفها.
 - ٧ - تاريخ تولي الخلافة.
 - ٨ - أهم الأعمال التي قام بها وتقسم:
 - أ - الأعمال السياسية.
 - ب - الأعمال الاقتصادية.
 - ج - الأعمال الاجتماعية وإلى غير ذلك.
- ثم تنصب دراسة الوفاة وتحديد سنة الوفاة والدفن أما إذا كان البحث ينصب حول دولة معينة فترسم الخطة كالآتي:
- تأخذ البداية كيفية وصول هذه الدولة إلى الحكم وأبرز الأشخاص الذين قاموا بتأسيس الدولة ثم تأخذ الهيكل.

الفصل الثاني

المبحث الأول

التأريخ... تعريفه... منهجيته... فوائده... أنواعه

تعريف التاريخ ومنهجيته

التاريخ أحد العلوم الاجتماعية التى ظل الجدل يدور حول ماهيته ومنهجيته للكثير من الوقت، فإلى حد قريب كان اهتمام الباحثين منصب حول معرفة ما إذا كان التاريخ فى الحقيقة يشكل أحد العلوم الاجتماعية وجزئاً متداخلاً منها أم أنه لا يتعدى كونه فرعاً من الآداب الإنسانية القائمة على السرد الإنشائي-الأدبى فى الكتابة، لا شك أن جزءاً كبيراً من هذا الغموض يكمن فى التاريخ نفسه، فسؤال أساسى ومهم مثل: ما هو التاريخ؟ يبقى جوابه غير مكتمل حتى بعد قراءة الفرد لكتاب مهم هو أساساً مخصصاً لهذا الغرض كتبه (أدوارد كار) بعنوان (ما هو التاريخ).

وهناك أدبيات كثيرة ومتنوعة تدور حول السؤال المحير ذاته تتوفر لكثرة فى المكتبة، تجعل من تحديد ما هو التاريخ أمراً ليس هيناً لكن شيئاً واحداً يساعد على توضيح بعض جوانب هذا الغموض يكمن فى تقرير حدود وإبعاد كلمتى: التاريخ أو التأريخ.

وقد عرف التاريخ على أنه هو الماضى ويدور حول الوقائع التى ترتبط به وهو فى هذا المعنى يقابل موضوع التاريخ- كما تقول موضوع الجغرافية والطب والفلسفة وغيرها- إلا أن الكلمة فى الوقت ذاته تنطوى على معنى العلم الذى يدرس التاريخ ويحدد خصائصه وهو ما يقابلها بالعربية وحدها تعبير: تأريخ.

والأول تعبير عن الموضوع الذى يدور حول وقائع الماضى. والثانية بمعنى العلم الذى يبحث دراسة القواعد والأصول الخاصة بدراسة هذا الماضى

وتدوينه، فهي وإن كانت لقطة غامضة بالمقارنة مع المفاهيم الأخرى المتداولة للعلوم، إلا أنها تدل على مادة التاريخ والعلم الذي تقتزن بها. فنجد أول من كتب في منهج البحث التاريخي. (حسن عثمان) يقول بأن التاريخ هو بحث واستقصاء لحوادث الماضي كما تدل على ذلك (history) وزميله (أسد رستم) ينظر إليه على أنه عملية نقد وتحقيق لهذه الحوادث. ويقول (عبد العزيز الدوري) إن التاريخ هو البحث عن الحقائق وتدوينه من جهة، وبين عملية تفسير الحقائق وتفسيرها من جهة أخرى. وهذه الحقائق والتعاريف لا تبتعد في الحقائق عن رأى ابن خلدون الذي يقول بأن التاريخ في أحد خصائصه لا يزيد عن أحوال الماضي وأخباره، وفي خصائصه الأخرى نظر وتحقيق لهذه الأخبار والوقائع، وهو تعريف في غاية التطور بالنسبة إلى مفهوم التاريخ وطبيعته حتى بالمقارنة مع ما تقدم به السخاوي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) أحد المصنعين المصريين المتأخرين، وأشهر المدافعين من خلال رسالته: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ الذي يرى بأنه بحث عن وقائع الزمان ضمن موضوع يدور حول الإنسان والزمان. فإن كلمة تاريخ تعنى الماضي ووقائعه محدودة بزمان ومكان معينين.

إن التاريخ له أهميّة دون أدنى شك، فهو أولاً يدور حول سلسلة من الوقائع المتعاقبة ذات صفات معقدة، محدد الزمان والمكان معينين، فبدون هذين العنصرين لا يكون الموضوع تاريخياً، وكذلك يشترك في تلك الوقائع والحوادث أن تتوفر أخبار مدونة عنها وإن تنوعت أنماطها وألوانها. وقد عرّف التاريخ من قبل الدكتور فاضل جابر: إن التاريخ في أحد تعريفاته هو "ماضى الإنسانية"^(١)

(١) لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائد سليمان، وأحمد مصطفى، بيروت (١٩٦٦)، ص ٥٥.

وهو تعريف يقترب من مفهوم شمس الدين السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) أحد المؤرخين النقاد فى القرن التاسع الهجرى إذ قال: (إن التاريخ يبحث عن وقائع الزمان وأنه يتناول الإنسان والزمان)^(١).

ولكن هذا التعريف يعد منقوصاً، لأنه يغفل أثر الطبيعة المذكور آنفاً من جهة ومن جهة أخرى يضيف الطابع الإنسانى على الأحداث التاريخية وهو أمر لا يمكن الأخذ به فى بعض الحالات، ولو قلنا (أنه ماضى البشرية لكان أقرب إلى الواقع، على اعتبار أن الكثير من الأحداث التى صنعها بنو البشر ليست ذات طابع إنسانى، فلا يمكن أن ينظر المؤرخ لأعمال هتلر الحرية كما ينظر إلى ابتكارات أديسون وكلاهما من بنى البشر ولكن أهدافهما مختلفة من النظرة الإنسانية فضلاً عن أن التعريف الأخير يبقى منقوصاً إذ أغفل أثر الظواهر الطبيعية فى صنع التاريخ.

منهجية التاريخ

إن منهجية البحث بالنسبة للمؤرخ ضرورية فى كل الأحوال فأبسط الأمور فى الحياة بحاجة إلى بعض الأحوال والضوابط لتفسيرها، فكيف الحال بالنسبة للمؤرخ وهو يعالج مسائل تتنوع بين التاريخ السياسى وقضايا الفكر والحضارة والنظم، مثلاً إن المؤرخ يستعمل تعابير أكثرها غير مفهومة من قبله شخصياً، تعرف عليها خلال مراحل الدراسة والتخصص ولكنه يجهل دلالاتها، وليس توظيفها، وناهيك عن استخدامها كمعايير فى أعماله التاريخية: تعابير كالموضوعية، العامل المؤثر، البرهان فى مفهومه الفلسفى، التحليل التاريخى وغيرها، ومن ذلك أيضاً عندما ينتقل المؤرخ من معالجة المواضيع السهلة إلى المواضيع التاريخية المعقدة التى يحتاج تفسيرها إلى فلسفة التاريخ.

(١) السخاوى (٩٠٢ هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٧.

إن أهم ما يميز عمل المؤرخ في وقتنا الحاضر هو المنهج الذي يتبعه في كتابة الأعمال التاريخية التي يعمل على تطويرها شخصيًا، فالتاريخ هو ليس مجرد حكاية لحوادث ماضية، وهو ليس مجرد سرد للأحداث وتنسيقها بالأسلوب التقليدي، بل إن التاريخ حقق تقدمًا كبيرًا في وسائل دراسته وفي مفاهيمه وفي إبراز شخصيته كعلم قائم بذاته بأصوله وقواعده.

فوائد التاريخ

يمكن إجمال فوائد التاريخ على الشكل الآتي أو بتعبير آخر أن للتاريخ فوائد عديدة أهمها:

١- الفائدة من التاريخ هو حصول الطالب على المنح الدراسية التي تخصصها الجامعة والمعهد لتكوين عنصر أعلى بين طلاب الآداب وهكذا يفتح التاريخ أبوابه على الجامعة.

٢- الاستفادة من الوظائف الحكومية التي تشترط التاريخ في امتحان القبول مثل التعليم، أمانة المكتبات، المتاحف، السكرتارية، موظفي الخدمة الاجتماعية، موظفي الإذاعة، مراسلي الشؤون الخارجية والحرية.

٣- للتاريخ فائدة للعمل في السلك السياسي فالذي يعمل في السلك السياسي لابد أن تكون له خلفية في مجال التاريخ.

٤- إن الفائدة من التاريخ هو مساعدة الطالب أكثر من أي علم آخر على تفهم الأحداث العامة والشؤون المعاصرة وما تنتج عنه تلك الأحداث.

وهناك فوائد أخرى إضافة إلى الفوائد التي ذكرناها للتاريخ منها:

أ- اتخاذ العبر وتدبير شؤون الحاضر والمستقبل.

ب- اعتزاز المواطن بتاريخ وطنه وأمته.

ج- ترسيخ الوحدة الوطنية إذ يعتبر التاريخ ترسيخًا لهذه الوحدة.

- د- تكوين حوافز وقيم لدى الناشئة من أبنائها بما يثبت فيهم من توعية قومية.
- هـ- للتاريخ فائدة من الناحية الأخلاقية فى توسيع مدارك الناس.
- و- يعد التاريخ من أهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية.
- ز- ما يتجمل به الإنسان فى المجالس والمحافل فيتطلع الجالسون إلى محاسن الأخبار لتكون رياضة لعقولهم وتذكرة لقلوبهم.
- ح- من فائدة دراسة التاريخ هو الاعتبار والتأكد من صحة الأخبار والتأكد من الوثائق المزورة والاطلاع على الجذور الأولى للكائنات والمخلوقات مما تجعل القارئ يعيش التاريخ، وكذلك^(١) حفظ النسب.

صفات المؤرخ

للمؤرخ والباحث فى التاريخ صفات عديدة أهمها:

- ١- حب المعرفة والمثابرة فى البحث والعمل.
- ٢- ميزة الشك والنقد فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل رواية أو وثيقة أو مصدر دون دراسة وتقصى واستقراء.
- ٣- عدم التحيز والتجرد وهى مطلوبة فى كل علم فلا يجوز للمؤرخ أن يتحيز إلى قبيلته أو مدينته وإنما يكون أميناً فى نقل النص التاريخي.
- ٤- ينبغى على المؤرخ أن يتحلّى بالأمانة العلمية، ويقول الحقيقة بشجاعة دون تخوف أو تردد.
- ٥- الشعور بالمسؤولية والتواضع بما يقوم به من أعمال وهو شعور يملأ نفسه نبلاً ويدفعه إلى المزيد من العطاء.

(١) جابر، الدكتور فاضل، محاضرات فى منهج البحث التاريخي، (المكتبة الوطنية، ٢٠٠٦)، ص ١١ -

٦- على المؤرخ أن يتعد عن حب الشهرة والظهور ولا يكتب من أجل الحصول على المزايا والألقاب والمناصب.

٧- على المؤرخ أن يكون ذا عقل واع ومرتب ومنظم شأنه شأن بقية رجال العلم.

٨- على المؤرخ أن يتحلى بالاحترام التام وعدم التسرع في منهاجه أى باحث آخر.

٩- على المؤرخ أن يكون صاحب إحساس وذوق وعاطفة وتسامح.

١٠- على المؤرخ أن يتحلى بالصبر وتحمل المتاعب من السفر وغيرها.

١١- أن تتوفر لدى المؤرخ مادة علمية لتجعله قادرًا على كتابة البحث التاريخي.

١٢- على المؤرخ أن يكون ملماً بمنهجه ومعرفة المصادر التاريخية.

وقد أشار الدكتور مرتضى حسن النقيب^(١) رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب - جامعة بغداد في كتابه (المؤرخ المبتدئ) إلى صفات المؤرخ:

١- الغريزية

٢- المنهجية

الصفات الغريزية

أ- الرغبة في التخصص في التاريخ.

ب- القابلية في تحمل المشاق عند التحرى عن المصادر.

ج- التحلى بالصبر وعدم اليأس.

(١) النقيب، مرتضى حسن (الدكتور)، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، ص ١٣ - ١٨.

د- التبصر ورحابة الصدر.

هـ- الابتعاد عن الكذب والتضليل.

الصفات المنهجية

أ- أن تتوفر فيه ملكة النقد.

ب- عدم التسخير.

ج- القابلية على الكتابة.

المبحث الثاني

العلوم المساعدة في دراسة التاريخ

على الرغم من أهمية المؤهلات الشخصية والصفات التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ التي أشرنا إليها سابقًا، فإن الذي يقبل على دراسة التاريخ وكتابته يجب أن ينال أو يكون مصيرًا ثقافيًا بصورة جيدة وأن مهنة المؤرخ شأنه شأن المهن الأخرى، لذلك لا يمكن أن يدرس التاريخ مستقلاً عن سائر العلوم والمعارف، كأن تكون هذه العلوم بجوانبها الإنسانية والعلمية ومن هذه العلوم وهي:

١ - اللغة

تأتى اللغات في مقدمة العلوم المساعدة التي ينبغي أن يتزود بها الباحث في التاريخ، ويتوجب على المؤرخ أن يلم باللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخي الذي ينوي الكتابة فيه، لأن الترجمة لا تفي بحاجة المؤرخ للوصول إلى الفهم الكامل لما يريد الاطلاع عليه، فعلى سبيل المثال أن من يرغب في دراسة تاريخ العصور الوسطى الأوروبية يجب أن يكون عارفاً باللغة اللاتينية، كذلك الحال بالنسبة لمن يريد دراسة التاريخ للكنيسة الكاثوليكية. ولكن هذه اللغة (اللاتينية) ليست ضرورية لدراسة التاريخ للثورة الفرنسية بل إن اللغة الأصلية المطلوبة هنا هي اللغة الفرنسية. كذلك لا بد من يود دراسة العلاقات بين قطرين أو مجموعتين من البلدان أن يعرف لغة الاثنين حتى يطلع على وجهات النظر

المختلفة، فدراسة العلاقات المصرية الإنكليزية بعد الحرب العالمية الأولى تتطلب المعرفة للغة العربية واللغة الإنكليزية، ودراسة علاقات العرب فى الأندلس مع الممالك فى أسبانيا يتطلب أيضًا معرفة اللغة العربية والأسبانية وربما الفرنسية أيضًا وذلك لوجود الكثير من البحوث والدراسات التى كتبت عن هذا الموضوع باللغة الفرنسية، فكلما تعددت اللغات التى يتقنها الباحث اتسع أمامه مجال الفهم والتعرف ولاستقصاء للموضوعات الخاصة ببحثه وأمكنه الاطلاع على مختلف المجالات والمقالات والبحوث والكتب التى يمكن أن تضيف معلومات قيمة لتوصله إلى النتائج.

٢ - علم اللغة (فقه اللغة)

لا يمكن لمن يرغب فى التخصص بموضوع معين فى التأريخ أن يعرف اللغة الأصلية الخاصة بذلك الموضوع، بل عليه أيضًا أن يكون ملماً بفقه اللغة (الفيلولوجيا) الذى يعد من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التأريخ، لأن اللغة تتطور وتتغير معانيها ومعانى مفرداتها من عصر إلى آخر. فلا بُدَّ للمؤرخ أن يتفهم النصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذى يدرسه بدقة تامة ولا يتأتى له ذلك إلا إذا عرف هذه اللغة معرفة تامة واطلع على ألفاظها من تغيرات مختلفة ويستطيع الباحث أن يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها فى هذا المجال لا سيما تلك التى تذكر تاريخ استخدام المفردات اللغوية وتغير معانيها من عصر إلى آخر مثل معجم (اكسفورد Oxford) بالنسبة للغة الإنكليزية أما بالنسبة إلى اللغة العربية فلا يتوفر قاموس حديث لهذا الغرض، ولكننا نستطيع العثور على تطور معانى الكلمات ومعرفة المراد منها بمراجعة قواميس اللغة العربية الشهيرة، مثل لسان العرب المحيط "لابن منظور"، و"تاج العروس" للزبيدي. وغيرها.

٣ - علم قراءة الخطوط القديمة (Paleography)

وهو من العلوم المساعدة للتاريخ لاسيما في دراسة الحضارات القديمة الكبرى مثل قراءة الخط المسامري الخاص بحضارة وادي الرافدين، والخط الهيروغليفي الخاص بحضارة وادي النيل والخط المسند الخاص بحضارات الدول العربية في شبه الجزيرة العربية والخطوط اليونانية والرومانية القديمة والخطوط الأوربية في العصور الوسطى فالذي يريد التخصص في تاريخ العرب قبل الإسلام، ودراسة إحدى الدول العربية الجنوبية، يجب عليه أن يتعلم الخط المسند ولا يمكن أن يخطر ببال أى مؤرخ أن يكتب تاريخاً لإحدى تلك الدول دون معرفته لهذا الخطاء الذى ينجم عن عدم إتقان قراءة الخطوط القديمة يمكن أن يؤدي إلى نتائج عكسية وتفسيرات لا تمت إلى الحقيقة بصلة الأمر الذى ينتج عنه عدم الدقة في الجمع والنقد والتفسير.

٤ - الوثائق

يعد علم الوثائق من العلوم المساعدة الضرورية للمؤرخ وهو الذى يهتم بدراسة الوثائق ونقدها وتحديد زمانها، وعلى الرغم من أن هذا المصطلح حديث النشأة في العالم الغربى، إلا أنه كان معروفاً عند العرب المسلمين، لاسيما المتخصصين في علم الفقه والحديث، وقد اشتهر من العرب في هذا الموضوع جملة علماء ألفوا فيه. مثل هلال بن يحيى الرازي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) وكتابه تفسير الشروط، وأبى جعفر أحمد بن محمد الطحاوى ت (٣٢١ هـ) / (٩٣٣ م) وكتابه الموسوم الجامع الكبير في علم الشروط، وأبى بكر محمد بن عبد الله البيهقي، الذى ألف في أدب القضاء والشروط والمواثيق. وتعنى كلمة الوثائق إلى مفهومها العام كل الأصول التى يستخدمها المؤرخ للحصول على معلومات تاريخية سواء كانت مكتوبة على الورق أو غير مكتوبة كالأثار المادية، ولكنها

تعنى فى هذا المعنى الدقيق الذى اصطلح عليه المؤرخون الكتابات الرسمية - أو الشبه رسمية مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية. فلا بد أن ينقل الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق الذى يبحث فيه. وهناك طرق وأساليب فنية خاصة تتبع فى تحديد زمانها والتعرف على المواد المستعملة فى كتابتها، ونوعية الأقلام المستخدمة وأنواع الورق وعمره، وذلك لأجل المساعدة فى التثبت من صحة هذه الوثائق أو بطلانها.

٥ - الاختتام

يتصل بعلم الوثائق دراسة علوم أخرى خاصة بالاختتام والرتوك، التى تجهز بها الوثائق حيث كانت تختلف من عصر إلى آخر وقد استخدمت الاختتام المعدنية من قبل الملوك والأمراء فى أزمنة مختلفة ووجدت اختتام الذهب لدى بعض الملوك والأمراء فى أزمنة مختلفة ووجدت اختتام الذهب عند بعض الملوك فى أوربا فى العصور الوسطى. وقد تعددت هذه الاختتام وتنوعت، فمنها المستديرة، ومنها البيضوى الشكل، ومنها ما يشبه المثلث أو القلب أو الصليب.

وكان لمعظم الحكام والأمراء والخلفاء المسلمين اختتام خاصة بهم، عليها شعارات وعبارات معينة تميزها من غيرها وكانوا يستعملونها فى توقيعهم على الوثائق والسجلات التى يختم عليها، كما يقول ابن خلدون (بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو إشارته يغمس فى طين أجمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفى السجل عند طيه وإصاقه). أما بالنسبة إلى الرتوك فإن تعرف الباحث عليها، ويجعله قادرًا على إثبات صحة ما يقع تحت يده من الوثائق أو الأسلحة كالدرع وغيرها كما يزيده هذا التعرف قابلية فى الحكم على هذه الوثائق والآثار المادية وتحديد زمنها الحقيقى.

٦ - علم الآثار

من العلوم الأخرى التي لا يمكن أن يستغنى عنها المؤرخ (الذي يبحث عن مخلفات الماضي وبقايا الأثرية واستخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة في التقنيات ودراساتها لاستخراج الدلالة التاريخية عن أحوال الماضي) فالبحث عن الآثار أو التنقيبات هو في الحقيقة البحث عن مادة التاريخ الأولى أي أصوله وموارده، وهي أولى المهام التي يضطلع بها المؤرخ الباحث، إن البحث عن الآثار بالطرق العلمية يعد علمًا حديثًا بدأ أول أطواره منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وقبل ظهور هذا العلم لم تكن نعلم شيئًا ذا قيمة عن مدينتي العراق القديم ومدينتي الشرق بوجه عام، وكل ما كنا نعرفه هو الأخبار الموجزة التي ورد ذكرها في التوارث، وأخبار يسيرة أخرى من بعض مؤرخي اليونان والرومان أمثال: (هيرودس، وزينفون، بطليموس) وغيرهم وذلك لأن حضارات العراق القديمة دمرت في أواخر أيامها من قبل أقوام أخرى كانت تعيش بالقرب منها، فدمرت مدنا مثل (بابل، نينوى، النمرود) وانطمرت الآثار التي خلفتها تحت الأنقاض، وعفا عليها الزمن، ولكن بظهور الآثار والتنقيبات استطعنا أن نميط اللثام عن هذه الكنوز القيمة ونخرجها إلى النور لتصبح المادة الرئيسة والموارد التي لا يمكن الطعن في قيمتها وأصالتها في دراسة تاريخ العراق القديم وبقية الحضارات الأخرى في العالم.

٧ - العلوم الاجتماعية

هناك جملة من العلوم الاجتماعية الوثيقة الصلة بالتاريخ، والتي لا يمكن للمؤرخ الذي يسعى إلى فهم الواقع الاجتماعي للحقبة التي يدرسها من الاستغناء عنها، لأن التاريخ شامل كل الشمول، ولا يمكن أن يكون لدى المؤرخ مهما يكن لامعًا وذو معرفة وخيال كافية لإدراك جميع وجوه مادته،

فالعلوم الاجتماعية تعالج موضوعات صريحة يستطيع المؤرخ أن يكشفها خلال بحثه ومن أهم هذه العلوم ما يلي:

أ - علم الجغرافية

إن الجغرافية كانت فى مقدمة هذه العلوم التى لها صلة وثيقة بالتاريخ حيث إن للظواهر الجغرافية المختلفة والعوامل الطبيعية منزلة رئيسية فى التأثير على الإنسان وبالتالى على التاريخ، ويمثل الفيلسوف الفرنسى (فكتور كوزون) هذا الأمر خير تمثيل حيث يقول كما ينقل عنه (ولدرج وليست): (أعطى خارطة قطر وأذكر لى صفاته السطحية ومناخه ومياهه ورياحه وكل جغرافيته الطبيعية وأذكر لى إنتاجه الطبيعى وحياته النباتية والحيوانية وسأخبرك ما سيكون عليه الإنسان فى هذا القطر وأى دور سيلعبه هذا القطر بالتأكيد فى التاريخ ليس خلال حقبة واحدة من الزمن، بل فى جميع الفترات).

ويتوضح لنا أيضًا أثر الجغرافية فى التاريخ من تدخلها أحيانًا تدخلًا حاسمًا فى تغيير مجراه، فعلى سبيل المثال، كان للعوامل أثر بارز فى عدم نجاح الحملات العربية الإسلامية فى أوروبا عبر جبال البرتات (البرنيه Pyreness) التى تفصل بريطانيا عن فرنسا وذلك لأن العرب لم يكونوا متعودين على القتال فى تلك المناطق الوعرة التى تتميز بشدة الأمطار، والأراضى الموحلة، والأجواء قارصة البرد، فتوقف نشاطهم العسكرى فى حدود تلك الجبال وانحصر تاريخهم فى شبه الجزيرة الأيبيرية التى أثروا فيها تأثيرًا كبيرًا.

ويلعب الموقع الجغرافى لقطر من الأقطار دورًا بارزًا فى تاريخه، فإن إحاطة الجزر البريطانية بالمياه من جميع جهاتها وانفصالها عن بقية أجزاء القارة الأوروبية، قد أثر فى تاريخها وحولها من كونها بقعة نائية فى طرف قارة كبيرة إلى بلاد مستقلة بذاتها لها قوانينها الخاصة وأنظمتها.

وقد ساعدها موقعها الجغرافي الفريد في عدم تدخل أوروبا في شؤونها كما ساعدها أيضًا أن تسيطر على البحار، وتتدخل في الشؤون الأوروبية، وأن تكون لنفسها أسطولاً بحرياً كبيراً تمكنت بواسطته من فرض سيطرتها الاستعمارية على أنحاء كبيرة من العالم.

فلا بد للباحث في التاريخ أن يتعرف على الأحوال الجغرافية المختلفة للمنطقة التي يريد التخصص في تاريخها من أجل أن يفهم كافة الظروف الطبيعية التي تؤثر في هذا التاريخ.

ب- علم الاقتصاد

ينبغي على دارس التاريخ أن يلم بالأجواء الاقتصادية للعصر الذي يبحث فيه لأن العوامل الاقتصادية من وسائل الإنتاج وطرقه، وتوزيع الثروة والمواد الاقتصادية وغيرها، تعد من جملة العوامل المؤثرة في سير التاريخ، فالثروة الطبيعية لأي قطر من الأقطار هي التي تحدد شكل الإنتاج الزراعي والصناعي ونوع التبادل التجاري وكذلك فإن طريقة توزيع الثروة ومدى تركيزها بيد طبقة معينة أو بين فئات مختلفة يؤثر في السياسة الداخلية للدولة، ويؤثر في نظام الحكم بها وفي مستوى الرخاء أو الفقر وفي حياة الناس وعلاقاتهم بعضهم مع بعض، كذلك تؤثر الظروف الاقتصادية في علاقة الدولة بالعالم الخارجى سواء أكان على المستوى الصعيد السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى، وتؤثر الظروف الاقتصادية في مجرى التاريخ للدولة أيضًا ومثال على ذلك الثورة الصناعية التي حدثت في بلدان أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادى، وكان للاقتصاد أثر فعال في الصراع الذى نشأ بين نابليون بونابرت وإنكلترا، فقد حاول كل منهما أن يستخدمه للقضاء على الطرف الآخر.

ج- علم الإنسان

كان علم الإنسان من أكثر العلوم الاجتماعية صلة بالتاريخ، فهو يعالج المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشرى وانتشار بنى الإنسان على سطح الأرض ونشوء الثقافات الإنسانية، كما يدرس مؤسسات المجتمعات الأولى وأديانها وفنونها وطقوسها وشعائرها وقيمها ونظرياتها إلى الحياة وتقاليدها وخلاصة القول أنه يهتم بحضاراتها جملة وتفصيلاً. لهذا فإن الاهتمام به لمعرفة أحوال المجتمعات مفيد جداً لدارس التاريخ الذى يهتم هو الآخر بالإنسان والمجتمع.

د- علم الاجتماع

يعد أيضاً من العلوم المساعدة للتاريخ، فهو كذلك لإنسان يهتم اهتماماً كبيراً بالأفعال والعلاقات الإنسانية، كما يدرس المجتمع وبناءه ووظائفه وعملياته، وهذه تدخل أيضاً ضمن اهتمامات المؤرخ وهكذا فإن العلاقة وثيقة جداً بين علم الاجتماع والتاريخ، وأن من مشاهير الباحثين هو (جورج هوارد) حيث قال: (التاريخ هو علم اجتماعى الماضى وعلم الاجتماع هو تاريخ الحاضر) فدراسته إذ تقدم للمؤرخ حافزاً للاهتمام بالتاريخ الاجتماعى للعصر الذى يبحث فيه، لأنه يقتصر على مجرد السرد الممل للمعارك، أو لتؤرخ للملوك والقادة والنبلاء. ويقول الدكتور فاضل جابر (أن علم التأريخ فى حقيقته أحد العلوم الاجتماعية لأنه يهتم بالنشاط الإنسانى)^(١).

هـ- الأدب

يفيد المؤرخ ويعينه على تفهم تاريخ الأمم التى يدرسها لأنه المادة التى تعكس

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، ص ٦٢.

أحوال العصور وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه، وطموحه وأحاسيسه ويكون النتاج الأدبي في بعض الحالات مصدرًا رئيسيًا لمعرفة أحوال عصر من العصور، وخير مثال على ذلك، الشعر العربي قبل الإسلام وما جاء فيه من مادة غزيرة عن أحوال العرب قبل الإسلام فهو وإن لم يكن في ذاته نصًا تاريخيًا، إلا أنه بالنسبة لتاريخ الدول العربية يعد سجلًا معاصرًا لأخلاق العرب وحياتهم كما قال ابن خلدون (ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وأخطائهم وأصلًا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم). فإن الأدب المصرى القديم مثلاً يساعد على تفهم نواحي مختلفة من الحياة المصرية القديمة، فقد تناول الكتاب المصريون القدماء كثيرًا من القضايا الخاصة بمجتمعهم فكشفوا عن الآلهة وعن الحياة الأخرى وكتبوا عن الغزل، والحب، والغيرة، ودونوا قصصًا خيالية ورسوموا فيها حياة الأبطال ونظموا الأدب التعليمي لتهديب الأبناء الصغار كما كتبوا في موضوع ما من التاريخ العربى وكذلك الأمر بالنسبة لأهمية الأدب الفرنسى والإنكليزى لفهم التاريخ الفرنسى والإنكليزى.

و- الرسم والتصوير والنحت والعمارة والموسيقى

يساعد الإمام ببعض جوانب فن الرسم والتصوير والنحت، الخاصة بعصر المؤرخ على فهم تاريخه، لأن هذه الفنون هى مرآة، وهى تعكس صورة دقيقة عن حضارات البلاد التى هى موضوع بحث المؤرخ وكذلك الحال بالنسبة للفنون: الموسيقى وما يرتبط بالفنون المسرحية والرقصات الشعبية التى تكشف عن الكثير من الوقائع والحقائق الخاصة بعصور التاريخ والتى لا تكفى المدونات التاريخية، أو الوصفية، أو الأدبية فى التعبير عنها، ونضرب مثلاً على ذلك، فمن يرغب بالتخصص فى ناحية تاريخ العصور الوسطى فى جنوب فرنسا، عليه أن يعرف شيئًا عن الألحان الشعبية لشعراء (التروبادور) التى كانوا يؤدونها مصحوبة بحركات الرقص الجماعى والغناء. وأن يدرك أن هذا الفن ما هو إلا

حصيلة التأثير التى تركته الحضارة العربية الإسلامية التى انتقل من المشرق عبر الأندلس إلى جنوب فرنسا ومنها إلى أقطار أوربية.

ز- الشعر

فمن الضرورى لمن يدرس التاريخ لبلد معين أن يقضى فترات متعددة فى ذلك البلد ليطلع على البيئة الأصلية التى يتعامل معها، ويشاهد ظروفها الطبيعية وأحوالها وسكانها، فيكون بذلك أقرب بالوصول إلى الحقيقة التى ينشدها، فمن يكتب عن تاريخ الأندلس على سبيل المثال، وكيفية الشواهد الحقيقة لهذا الإنجاز العظيم فالوقوف فى، طنجة، وسبتة، وعلى سواحل مضيق جبل طارق من جهة البر الأفريقى يعطى المؤرخ انطباعاً حقيقياً وشعوراً صادقاً، ومزيداً من القابلية على تحليل موقف القائد طارق بن زياد حيث فكر بالعبور مع قواته العربية الإسلامية إلى البر الثانى فى شبه الجزيرة الأيبيرية، وخلاصة القول فإن المؤرخين يجب أن يعرف المدن التى قام بها القائد ومسيرته عملياً ونظرياً.

٨ - الحاسوب والإنترنت

لقد أحدثت الاختراعات الخاصة فى وسائل المعلوماتية ثورة حقيقية ليس على صعيد التكنولوجيا الإلكترونية فحسب، بل فى طرق الحصول على المعلومات بوفرة ويسر وسرعة فائقة، إن بعض الاختصاصات التاريخية كالتاريخ الإسلامى مثلاً أتاحت لباحثين فيه فرص كبيرة للحصول على ما يريدونه من معلومات، وذلك لأن معظم أمهات المصادر فى التاريخ الإسلامى أصبحت على شكل مكتبات تضمنها الأقراص المدجة (C.D) مثل مكتبة التاريخ والحضارة والمكتبة الفقهية التى ضمت أكثر من ثلاثة آلاف عنوان فى علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ والأدب وجميع هذه المؤلفات يحتاجها المؤرخ بنسب متفاوتة. وهذه الكتب التى تضم عشرات الآلاف من الصفحات يمكن

الحصول على أية معلومة يريد بها بظرف ثوان معدودات بعد تغذية الحاسب الآلى بتلك المعلومة. ولكن هناك أمر مهم ربما سيخسر الباحث المبتدئ إذا ما استعان بهذا الحاسوب ابتداءً دون مطالعة الكتب لأن تلك المطالعة ستوسع مداركه وتكسبه خبرة لا يحصل عليها إذا ما اعتمد على الحاسوب فقط، وعلى أية حال فإن الباحث الذى يروم الكتابة فى موضوع معين عليه أن لا يكتفى بتغذية الحاسوب بمعلومة واحدة أو اثنتين بل يحاول أن يدخل جميع المفردات والمعلومات ذات الصلة القريبة والبعيدة من الموضوع، فمن يبحث فى المكتبات إبان العصر العباسى مثلاً عليه أن يحصى أولاً الكلمات والعبارات ذات العلاقة بهذا الموضوع مثل- مكتبة - كتب - خزانة - دار الكتب - دار الحكمة - دار العلم - صوان الحكمة - دلائل الكتب - خزائن الكتب - مدرسة - جامع - فضلاً عن تراجع أشخاص يتوقع أنهم امتلكوا مكتبات فى تلك العصور، فكل هذه المصطلحات من المتوقع أن نحصل من خلالها على معلومات عن تاريخ المكتبات فى العصر العباسي.

إن المعلومات التى توفرها المكتبات المحملة على الأقراص المدججة عن التاريخ الإسلامى، هى فى معظمها من المصادر الأولية، ولكن يجب التنبيه على أن هذه المكتبات لا تضم جميع المصادر الأولية من جهة ومن جهة ثانية يجب التعامل مع بعضها بحذر أو مقارنة بعض النصوص المختارة عشوائياً من المصدر الأول المراد النقل منه مع نسخته الموجودة على الحاسوب للتأكد من صحة نسخها. أما البحوث والمقالات والمراجع الحديثة لمواضيع هذا الاختصاص فيمكن الحصول عليها من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) فهناك مواقع معينة يمكن للباحث الدخول عليها والحصول على ما هو متوفر فيها من معلومات تخص الموضوع الذى بصدد البحث فيه مثل google islam on Liene.... الخ.

وقد ظهرت بعض المؤلفات فى هذا الخصوص لعل أولها كتاب (مستقبل

الكتابة التاريخية فى عصر العولمة والإنترنت) لمؤلفه إبراهيم بوتشيش أحد الباحثين المغاربة.

والواقع أن الحديث عن هذا التطور الكبير فى وسائل الحصول على المصادر والمعلومات يذكرنا بالوسائل القديمة التى كان يستعين بها المؤرخون القدامى فى تأليف كتبهم، وهى وسائل غاية فى البساطة، يروى أن محمد بن إسحاق حينما ألف كتابه فى سيرة الرسول ﷺ كتبه على الجلود والعظام وجريد النخيل وحمله على جمل من الشام إلى المدينة المنورة وهو كتاب واحد لا غير. والعجب كل العجب حين نقرأ أن مؤرخاً كابن الجوزى البغدادى (ت ٥٩٧هـ) وجلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) ألفاً مئات المؤلفات فى عصر لا تتوفر فيه وسائل الحياة الحديثة مثل الكهرباء وأدوات الكتابة الحديثة وأجهزة الاستنساخ.

المبحث الثالث طرق البحث التاريخي

إن طرق البحث كثيرة ومتنوعة، بعضها يتوفر بأطر بسيطة غير منهجية كالطريقة الإنشائية، وبعضها متطورة شاملة تستند إلى أصول وقواعد منهج البحث التاريخي، كالطريقة التحليلية ذات الطبيعة الشمولية في معالجة مسائل الكتابة التاريخية والصعوبات التي تنجم عنها عملية الكتابة عند المؤرخ. وفيما يلي أهم الخصوصيات لهذه الطرق وجوانب التمايز بين بعضها البعض الآخر بالنسبة لمهنة المؤرخ:

١- الطريقة الإنشائية

وهي طريقة الجليل الماضي من المؤرخين في الكتابة، وأساس موضوعها التاريخ السياسي للدولة والحكومات والتراجم وجوانب الحضارة حيث تصلح عناصرها التي تتكون منها لتغطية مفردات ذلك التاريخ على أحسن وجه.

تعتمد الطريقة الإنشائية على أسلوب السرد للحادثة بقالب من البيان ولغة الأدب الرفيع، فيما يكتبه (الباحث- المؤرخ) هنا أشبه بالقصة المشوقة التي يطلق منها خياله لعنانه، بحيث تضم بمحتواها كل شيء من مفتتح الحادثة إلى نتائجها، وبلا تحديد لكمية الحقائق التاريخية التي تدخل في الدراسة القائمة على أصولها.

٢- الطريقة الفيلولوجية

تعتمد هذه الطريقة على التحليل اللغوى للمصطلحات والتعبير اللغوية التاريخية وتقاس بوسائل المقارنة لاستخراج المعانى الدالة عليها كما يحدث عند نبع الباحث لمفاهيم من مواضيع النظم والحضارة، كفحص مفهوم الخلافة والوزارة من حيث أصولها اللغوية والتاريخية، وبدون شك أن التحليل اللغوى يوفر للباحث - المؤرخ آفاق التحرى والتعرف على الخصائص التاريخية، يصعب الوصول إليها من دون تلك المعلومات والوسائل، كالحالة التى يمثلها كتاب محمود كالشغرى المسمى "تاريخ لغة الترك" وما يوفره من معلومات عن أصول السلاجقة ومجتمعاتهم الرعوية فى تركستان قبل تحولهم إلى دولة كبرى تحكم كلاً من إيران والعراق. تصلح الطريقة الفيلولوجية للمقالة القصيرة ذات الجهد والهدف المحدودين ونجد النماذج منها فى كثير من مقالات دائرة المعارف الإسلامية.

٣- الطريقة الوصفية

تقوم الطريقة الوصفية على الوصف التاريخى للحادثة، الذى هو أحد عناصر عملية الكتابة الهامة، وما من أحد ينازع ما للوصف من أهمية بالنسبة لتلك العملية ولنجاح مهمة المؤرخ، إلا أن عملية الوصف ذاتها ليست شيئاً سهلاً لأنه يحتاج إلى ذهنية مؤرخ صادقة، والتدريب العملى على المهنة للمبتدئ يُعَدّ شيئاً ضرورياً لتحقيق هذه المسألة، لا تثير الطريقة الوصفية مشاكل كثيرة للمؤرخ عند التطبيق، فهى توفر ملاحظات جيدة له تساعد على عرضها وتثبيتها بالنسبة إلى الموصوف.

إلا أن مثل هذه الملاحظات، كما توفرها الطريقة الوصفية لتعتبر نهائية فى عملية البحث، فهى فى كل التقديرات لا تقابل إلا خطوة واحدة فى عملية البحث المضنية هذه، ولا بد من إكمالها بالوسائل الأخرى المتوفرة له.

٤- الطريقة الإحصائية

تأخذ الطريقة الإحصائية أسهما من العلم الذي تنتمي إليه، الإحصاء الذي هو أحد فروع الاقتصاد الهامة، أما من وجهة النظر التاريخية فتقوم على مجمل الذخيرة التي تحويها المصادر من معلومات أولية بشكل إحصاءات وبيانات وجداول وما يشبهها من معلومات إحصائية قائمة بعد تصنيفها طبقاً لأسس التحليل الإحصائي وتفسيرها. وفي التاريخ الإسلامي هنالك الكثير من المواضيع التاريخية تصلح لأن تكون نموذجاً رائعاً لتطبيق الطريقة الإحصائية والاستفادة من عناصرها منهجياً رغم اصطدامها ببعض المعوقات التي تخص طبيعة هذا الاختصاص، كمواضيع الأصناف والحرف وما يخص مهن الفقهاء والعلماء والمسلمين وقضايا المدنية ومراكزها الحضرية، فكلها مواضيع تصلح لتطبيق الطريقة الإحصائية عليها، وتشجع على المضي في إنجازها تيقنا بالحصول على أفضل النتائج التي يبحث عن تحقيقها المؤرخ، مع أن التاريخ الإسلامي في طبيعة مصادره معروف بقلة المادة الإحصائية وبشحة مفرداته، مما يقلل من قيمة الطريقة الإحصائية وفوائدها، إذ لا يمكن للطريقة الإحصائية أن تؤدي وظيفتها في عملية البحث إذا كانت المادة الأولية المتوفرة قليلة أو نادرة.

٥- الطريقة التحليلية

تعتمد على مبدأ التحليل للنص في العمل الكتابي، فكل ما يسطر المؤرخ إلى توظيفه من حادثة وخبر أو وثيقة ذات صلة وغيرها تحتاج إلى تدقيق في صحة المعلومات الواردة فيه حتى تصلح أن تتحول إلى مادة تاريخية بعيدة عن الشك والتناقض وعدم القبول، والطريقة التحليلية بمزاياها المتنوعة، تحقق أعلى قدر من الحقائق هذه الأهداف مجتمعة.

إن من أهم السمات للطريقة التحليلية وأفضل مزاياها هو أنها جمعت في

جوانب من خصائصها حسنات الطريقة الوصفية، والتي تعالج فى مادتها وإجاباتها مشكلة التعرف على ماذا حدث، ضمن وقائع الحادثة الواحدة وتفصيلاتها، مما يهين إحدى أهم خطوات المؤرخ فى عملية الكتابة التاريخية، والأهم من هذا أن الطريقة التحليلية تضمن للمؤرخ مادة بحث تاريخية غزيرة لا توفرها طرائق البحث الأخرى بأساليب الأسئلة والمقارنة المستثمرة ووسائل التحليل الأخرى بحيث تضمن للقارئ فى نهايتها قراءة مشوقة من البحث الأكاديمى الممتع لأن مثل هذا النتاج الذى تجمع كمسودة لا يمكن أن يكون شيئاً إنشائياً أو خليطاً من هذا والمادة التاريخية المدونة لأن الطريقة التحليلية تتعارض أساساً مع الأسلوب الإنشائى فى كتابة التاريخ.

المبحث الرابع

اختيار عنوان البحث وجمع الأصول

١ - اختيار عنوان البحث (موضوع البحث)

يعد اختيار الموضوع في مقدمة الأمور التي يجب أن يضطلع بها الطالب عند قيامه بعملية البحث التاريخي، وتختلف مسألة اختيار البحث بالنسبة للطالب في المراحل الأولى للتعليم الجامعي عنها عند الباحث الذي يلتحق بالدراسات العليا لإعداد رسالة الماجستير أو الدكتوراه. فالطالب المبتدئ في الجامعة لا ينتظر منه أن يقدم بحثاً علمياً أصيلاً غير أنه يقوم بعملية البحث لأجل الإعداد والتدريب ولهذا فإن اختياره لموضوع البحث يتم عادة بإرشاد أساتذته الذين يشيرون عليه بمواضيع تاريخية متنوعة لها علاقة بمادة الدرس التي يكون فيها عمل البحث، وغالباً ما يكون الموضوع موضوعاً عاماً يتمكن الطالب من التعرف عليه والإحاطة به بسهولة، ويمكن للطالب أن يزيد من معلوماته الأولية عن موضوع البحث المختار، في هذه الحالة يقرأ المصادر والمراجع الخاصة بمادة الدرس، ومراجعة دوائر المعارف والمعاجم التي توفر معلومات سريعة عن الأعلام والأماكن. وتزود الطالب بقائمة من المصادر والمراجع التي لها صلة بالموضوع، وبعد ذلك يتجه الطالب إلى الكتب التي تختص أكثر بموضوع بحثه ليستخلص منها المعلومات التي يستعين بها في إعداد البحث، إن هذا النوع من البحوث يدخل ضمن البحوث القصيرة.

أما البحوث التى يقع الاختيار عليها بالنسبة للدراسات العليا، فيجب أن تتميز بمميزات معينة، فيها أطول وأكبر من حيث الحجم والمادة التى يجب أن تضمنها كما يجب أن تتميز بالجدية والأصالة والابتكار، لأنها ستكون جزءاً أساسياً من المواد التى يجب أن يستوفىها الطالب للحصول على الشهادة العلمية، وفى مثل هذا النوع من البحوث تقع مسؤولية الاختيار على عاتق الطالب وحده. الذى يجب أن يقرأ ويطلع الكثير من المصادر التى لها علاقة قريبة بالموضوع وفى الحقيقة أن اختيار مواضيع البحوث لهذه الدراسات ليس أمراً سهلاً لذلك نرى أن معظم طلبة الدراسات العليا يلجأون إلى أساتذتهم ليختاروا لهم الموضوعات التى يبحثون وهذا أمرٌ خطير يجب التحذير له.

إن هؤلاء الأساتذة ربما كانوا لا يعرفون ميول الطلبة أو قدراتهم حقيقة فيشيرون عليهم بموضوعات لا تتفق مع هذه القدرات والميول. وعليه فإن اختيار موضوع البحث وعنوانه يجب أن يكون من قبل الطالب وأن يطلع على المصادر والمراجع التى تتناول العنوان ويشترط أن يكون موضوع البحث جذاباً^(١).

إن أهم ما يجب مراعاته فى اختيار مواضيع البحث هى رغبة الطالب فيه والجدية فى الموضوع وأهميته وحصر وضيق ميدانه ووفرة المادة والمصادر والمراجع، والقدرة على معالجته، ويجب على الطالب إذا وجد فى نفسه ميلاً لدراسة موضوع ما لأن يسأل نفسه الأسئلة التالية.

أ- هل يستحق هذا الموضوع ما سيبدل فيه من جهد؟

ب- أمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، ص ٧٥.

ج- أفى طاقتى أن أقوم بهذا العمل؟

د- هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

فإذا كانت الإجابة بالنفى عن أى من هذه الأسئلة فعلى الطالب أن يحاول الكتابة في موضوع آخر، دون أن يهدر جهده في بحث لا يمكن أن تستكمل فيه عوامل النجاح.

٢ - خطة البحث

بعد أن يتم اختيار الموضوع الذى يتفق مع اختصاص وميول ومقدرة الطالب يجب التفكير في وضع خطة أو هيكل عام مؤقت للبحث يتوخى فيه الترتيب المنطقى المتسلسل، والوحدة في الموضوع، وتختلف المواضيع عادة في المقترحة وذلك تبعاً لطبيعة المادة، وحجم البحث، والمدة المقررة لدراسته وغيرها من المؤثرات الأخرى، وعلى أية حال يمكن للطالب أن يتتفع بجهود من سبقوه، لاسيما أولئك الذين كتبوا رسائل جامعية ناجحة وحيث يستطيع أن يراجع تلك الرسائل التى تماثل موضوعه، ضمن اختصاصه العام وليس بمعنى هذا أن الطالب سيتبع نفس الخطة التى كتبت بها تلك البحوث العلمية، بل ليسترشد بها في وضع الخطوط العامة لبحثه، مع ملاحظة اختلاف الظروف من موضوع إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى، وعلى أية حال فإن كل خطة أو هيكل للبحث لابد أن يحتوى على العنوان الذى يجب أن يكون مختصراً وواضحاً، ومنبثقاً من الموضوع ذاته، والمقدمة التى تشير إلى أهمية الموضوع ومبررات اختياره، ووصف البحوث التى اعتمدها الطالب بالدرجة الأولى. ثم يلي المقدمة متن البحث الذى يحتوى على أبواب وفصول بالنسبة إلى الرسائل الكبيرة، لاسيما رسالة الماجستير والدكتوراه. أما بالنسبة إلى البحوث الصغيرة التى تقدم في المراحل الأولى من الدراسة الجامعية فلا تحتاج إلى مثل هذا التفصيل، ثم تأتى الخاتمة في آخر البحث

حيث يـجـمـل فـيـها الأـفـكار والنتائج، ولا يـجـوز أن تـعـد الخـطـة ارتـجـالاً، دون أساس مقبول بل يجب أن تكون مدروسة. فإن الخطة تكون مؤقتة في بداية البحث وهي معروضة للتغير والزيادة والحذف والتقديم والتأخير حسب الظروف والمادة التى يحصل عليها الطالب أثناء جمع المعلومات.

٣ - جمع الأصول (التقيـش)

إن اختيار موضوع البحث، ووضع خطة أولية له، ما هى إلا بداية الطريق للشروع فى عملية إنجاز البحث، ولا بد من الرجوع إلى الأصول والمصادر والوثائق لجمع المادة التاريخية اللازمة لكتابة البحث، ويطلق على هذه العملية اسم جمع الأصول: (التقيش). وقد جاءت اللفظة الأخيرة فى المعاجم العربية بمعنى (جمع الشيء) وأول من استخدمها من المحدثين هو أسد رستم والأصول أو المصادر، ما هى إلا آثار متخلفة عن الأحداث التاريخية ولهذا فهى تسمى أيضاً بالوثائق، ولا يمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساس من وثائق. وإذا ما فقدت هذه الوثائق أو الأصول، ضاع التاريخ (إذ لا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق فلا تاريخ) لهذا فإن الخطوة الأولى بعد اختيار الموضوع هى البحث عن الوثائق المتعلقة به.

أقسام البحث

يتألف البحث عادة من أقسام مختلفة، منها أساسية لا بد من توفرها فى كل بحث مثل صفحة العنوان، ومحتوى البحث، والمقدمة ومن ثم متن البحث أو هيكله (الذى يتألف من أبواب وفصول أو مباحث)، وأخيراً الخاتمة والفهارس الفنية ويضاف إلى هذه الأقسام فى بعض البحوث صفحة للإهداء وأخرى للشكر والتقدير وبعض الرسوم والجداول والملاحق إذا تطلبت طبيعة البحث.

أولاً: صفحة العنوان

يجب أن تشمل هذه الصفحة على عنوان البحث الكامل مع اسم الباحث والمرحلة والقسم والكلية التي ينتمي إليها، وبالنسبة إلى الرسائل التي تقدم إلى الدراسات العليا يجب التقييد بترتيب هذه الصفحة حسب التعليمات التي تقرها الجامعة المعنية فإن هذه الصفحة لا بد وأن تحتوى على الأمور الآتية:

- (١) عنوان البحث.
- (٢) اسم مقدم البحث.
- (٣) الدرجة العلمية التي يرغب الباحث بالحصول عليها.
- (٤) اسم المعهد أو الكلية التي يتبعها الباحث والقسم العلمي.
- (٥) اسم الأستاذ المشرف (وقد لا يضاف في بعض الجامعات).
- (٦) الشهر والعام الدراسي.

ثانياً: صفحة الإهداء

ليس الإهداء ضرورياً، لاسيما في البحوث الصغيرة، أو الرسائل العلمية، وهو غالباً ما يكون في الكتب، ولكن إذا ما شعر الطالب بحاجة إلى كتابة الإهداء إلى جهة معينة أو شخص معين أو مؤسسة خاصة بذلت جهداً واضحاً من أجل البحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فلا بأس من تثبيت ذلك في صفحة مستقلة بعد صفحة العنوان مباشرة، ويجب أن يكون الإهداء مقتصرًا، وألا يوجه إلى الأستاذ المشرف، كي لا يفهم أنه وسيلة من وسائل المداينة أو التملق.

ثالثاً: صفحة الشكر والتقدير

لا تعد هذه الصفحة أيضاً إلزامية بالنسبة إلى الباحث، ولكن جرى العرف أن يكتب الطلبة كلمة تقدير وشكر إلى الهيئات والأفراد الذين ساعدوا الباحث في

البحث وتكون هذه الصفحة بعد الإهداء ويكون عنوانها (تقدير واعتراف) أو (شكر وتقدير). ويجب أن يكون الشكر بسيطاً، ليس فيه إسراف أو مجاملة ويكرس للذين أبدوا المساعدة للباحث فعلاً.

رابعاً: محتويات البحث أو الفهرس

ويلى صفحة الشكر والتقدير فهرس البحث أو محتويات الرسالة، ويشتمل على أجزاء البحث كله بما فيه من تمهيدات، ونص، وملاحق، فهو يختلف عن خطة البحث العامة المؤقتة التى أشرنا إليها سابقاً. وتشتمل المحتويات على المقدمة، وفهرس المادة العلمية التى تكون متن البحث ومن ثم فهرس الجداول والرسوم والخرائط والصور والملاحق والوثائق إن وجدت ويرقم كل ما لا يدخل فى صلب الموضوع غالباً بالحروف الأبجدية أما الموضوعات الأساسية فترقم ترقيماً عددياً.

خامساً: المقدمة

تعد المقدمة البوابة الرئيسية التى يدخل منها إلى صلب موضوع البحث فهى المرآة التى تعكس نوايا الباحث، وغاياته من معالجة الموضوع، ولهذا فهى تحفز القارئ على الاستمرار فى قراءة البحث أو تركه جانباً. ونظراً لأهميتها فإن الكثيرين من الباحثين يعدونها بمثابة الفصل الأول لبحوثهم المؤلفة من عدة فصول.

وعادة تكتب المقدمة بعد انتهاء الطالب من كتابة بحثه وتثبيته بعد صفحة المحتويات وترقم صفحاتها بالحروف الأبجدية وتشمل المقدمة ما يكتب فى الفصل من مادة علمية إضافة إلى التحليل وإلى المصادر والمراجع التى استند إليها الباحث وإظهار الفائدة منها ومدى قيمتها العلمية وتعد هذه النقطة من النقاط الأساسية المهمة فى المقدمة.

لقد ميز بعض الباحثين بين مصطلحين متشابهين هما التاريخ والتأريخ.

فالأول يشير إلى الأحداث التي وقعت في الماضي في زمان ومكان محددين والثاني يعنى تدوين تلك الأحداث^(١). ولما كانت الأحداث التاريخية مرتبطة دائماً بزمان معين فقد عرف التاريخ من حيث اللغة بأنه (التعريف بالوقت)^(٢) وهو تعريف لا يمكن الاعتماد عليه من قبل المؤرخ لأنه يغفل ذكر مكان الحدث وصانعه.

إن ابن خلدون هو من أوائل المؤرخين المسلمين الذين طبعوا التاريخ بالطابع العلمى حينما ميز بين التاريخ وعلم التاريخ، يفهم ذلك من قوله: (أن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، لذلك فهو أصيل في الحكمة عريق جدير أن يعد من علومها وخليق)^(٣). فالتاريخ عنده ظاهر وباطن وأن الأسس المتبعة في التحقق من صحة الحوادث التاريخية هي التي تجعل التاريخ علماً بين العلوم.

٣ - الحادثة التاريخية وخبرها

إن التاريخ في أحد تعاريفه: هو حوادث وسنين، والحادثة التاريخية قد تقع بفعل الإنسان أو الطبيعة، وقد تكون حادثة كبيرة كسقوط دولة من الدول على أثر غزو عسكري مثل سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ وهذه بفعل النشاط السلبي للإنسان، وقد تحدث حوادث كبرى نتيجة لغضب الطبيعة إن صح التعبير، فبعض الحضارات اندثرت على أثر تحول مجرى الأنهار مثلما أن معظم الحضارات قامت على ضفاف الأنهار أو البحار.

(١) الجوهري، الصحاح، ص ١٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الدكتور فاضل جابر، محاضرات في منهج البحث التاريخي، ص ٢.

الخبر: هو الإعلام بالحدث التاريخى أو الإعلان عنه، فالحدث يقع أولاً ثم يخبر به أو يعلن عنه، غير أن صحة الخبر تتوقف على مدى مصداقية مصدر الخبر، فالمشاهد للحدث والمطلع على حيثياته أكثر ثقة من الناقل خبره عن طريق السماع ولذا كان بعض المؤرخين المسلمين لا يكتفون بسماع الأخبار بل يذهبون لمواقع الأحداث طلباً للمصداقية. وقد قرن المؤرخون المسلمون الخبر بالمشاهدة واشتروطوا بالراوى أن يكون شاهد عيان للواقعة أو الحادثة^(١).

الإخباري: إن الكتب التاريخية الأولى ظهرت على شكل أخبار ومؤلفها يسمى إخبارى ومن أشهر الإخباريين أبو محنف والهيثم بن عدى والمدائني.

المؤرخ: ظهر مصطلح المؤرخ عند المسلمين بعد مصطلح الإخبارى وعندما تطورت الكتابات التاريخية وأخذت تتجه اتجاهها علمياً لها منهج معروف. ومصطلح المؤرخ يطلق على من ألف كتاباً تاريخياً أو أكثر في العصور الإسلامية أما في العصر الحديث فإن المؤرخ له صفات وشروط يجب أن تتوفر به وهناك فرق بين الهاوى لكتابة الأحداث وبين من يكتب التاريخ وفقاً للمنهج العلمى الحديث.

المؤلف: إن كل من ألف كتاباً تتوافر به الشروط العلمية يسمى مؤلفاً والمؤرخ مؤلف ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل مؤلف من المؤرخين فقد يؤلف فى أكثر من علم ليس بينها كتاب تاريخى واحد ومصطلح مؤلف = مصطلح مصنف.

علم التاريخ: هو العلم التى يهتم بدراسة الأحداث التاريخية التى وقعت فى

(١) طه باقر وعبد العزيز محمد، طرق البحث فى التاريخ والآثار، ص ٣٦ - ٣٧.

الماضي بفعل الإنسان أو الظواهر الطبيعية من أجل الوصول للحقيقة التاريخية بالاعتماد على الأسس العلمية التي أقرها المنهج العلمي في البحث التاريخي، فعلم التاريخ إذاً يعتمد على (سجل الماضي) أي (التاريخ) من أجل إثبات الحقيقة التاريخية والمؤرخ هو المتخصص في العلم والعامل عليه.

وخلاصة القول أن علم التاريخ له أركان عدة هي: - الزمان-المكان - صانع الحدث - الحدث - الخبر- سجل الأحداث- عالم التاريخ، فهذه الأركان مترابطة ترابطاً وثيقاً لا يمكن للمؤرخ الناقد أن يصل إلى الحقيقة التاريخية أو إلى مقربة منها إلا بمعرفتها جميعاً وإخضاعاً للأسس العلمية الحديثة كالنقد والتحليل والتعليل والمقارنة.

إن هدف علم التاريخ لا يتوقف عند إثبات الحقائق التاريخية، فهناك الكثير من الحقائق التي لا تحتاج إلى إثبات مثل عبور طارق بن زياد وجيشه سنة ٩٢ هـ إلى أسبانيا ولكن يجب دراسة أسباب ذلك العبور والنتائج القريبة والبعيدة المدى التي تثبت على ذلك العبور.

المنهج: هو الطريقة أو النظام العلمي المستخدم في البحث من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية، وهذه الطريقة أو ذلك النظام له مكونات علمية معتمدة من قبل الباحثين.

البحث: هو التفتيش بشكل عام والبحث التاريخي تحرى واستقصاء الحقائق التاريخية من خلال معاينة المصادر المعتبرة إما لإثباتها أو لنفيها كَلْمَا المحاولتين بحاجة إلى أدلة تاريخية من تلك المصادر، ذلك لأن بعض الأحداث أصبحت بمرور الزمن من الحقائق المسلم بها، ولكنها إذا ما بحثت ونقدت ربما لا تعد كذلك، وخير مثال في هذا الباب وثيقة هبة قسطنطين التي أعطت الحق للبابوية

بالسلطتين الدينية والدينية لعدة قرون، ثم دحضت وفندت وفق البحث العلمى الحديث فلم تعد كذلك.

والبحث عند اللغويين هو طلب الشيء فى التراب ... والبحث أيضًا أن تسأل عن الشيء وتستخير^(١) وهو بهذا المعنى التفتيش الخاص والبحث عن المصادر وجمع النصوص منها. وقد وردت لفظة البحث بمعناها الاصطلاحى، فى عدة كتب تاريخية^(٢).

منهج البحث التاريخي: هو مجموعة القواعد العلمية المتبعة من قبل الباحثين فى حقول التاريخ من أجل التوصل للحقائق التاريخية، وهذا المنهج هو الذى يضيف على التاريخ الصفة العلمية.

٥ - قراءة ودراسة التاريخ

كثيرة هى الفوائد التى عدها المؤرخون لعلم التاريخ، فقد ذكر الكافيجى أن التاريخ (يحتاج إليه الملك والوزير والقائد وغيرهم، أما الملك فيعتبر بما مضى من الدول ... وأما الوزير فيعتبر بفعال من تقدم عن حاز فضلى السيف والقلم، وأما القائد فيطلع منه على مكائد الحرب ومواقف الطعن والضرب وأما غيرهم فيسمعون على سبيل المسامرة فيحصل لهم بذلك المبادرة إلى أنواع الخيرات والاجتناب عن المنكرات)، وأجل فوائده بقوله (وحينئذ فثمرته الترغيب والترهيب والتنشيط والتغبيط والإنذار والاعتبار والتسلي والتأسي والنصح والنجح ...). والخليفة المأمون ومن خلال قراءة سِيرَتَي الرجلين ورحلاتهما ومواطنهما فإن ذلك لم يكن قد حدث مطلقاً^(٣).

ويعتمد على التاريخ فى معرفة أوائل الأشياء، إذ أكد سبط بن الجوزى (٥٩٧

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة بحث .

(٢) تاريخ علماء الأندلس، ١/٢؛ جذوة المقتبس، ص ٧، معجم الأدباء، ٥/ ٩٧.

(٣) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، ص ٣٩٥.

هـ) أن من أهم فوائد التاريخ هو إطلاع الناس على الجذور الأولى للأشياء والكائنات وأوائلها يفهم ذلك من قوله: (إن الفطر السليمة والفكر المستقيمة تستشرف إلى معرفة البدايات وتشرّب إلى إدراك المنشآت ...) ^(١).

ومن فوائد التاريخ الأخرى أن قراءة الماضي تجعل القارئ يعيشه، قال أبو شامة (٦٦٥هـ): (ورأيت أن المطلع على أخبار المتقدمين كأنه قد عاصرهم أجمعين وأنه عندما يفكر في أحوالهم أو يذكرهم فإنه شاهدهم ومحاضرهم فهو قائم له مقام طول الحياة وإن كان متعجل الوفاة).

خامساً: صفات المؤرخ

هناك جملة من الشروط الواجب توافرها في شخص المؤرخ وقد وردت هذه الشروط عند المؤرخين المسلمين الذين اهتموا بهذا الجانب ومن هذه الشروط:

العدالة، فقد أشار السخاوي إلى ذلك بقوله (أما شروط المعنى به: فالعدالة مع الضبط التام الناشيء عنه مزيد الإلتقان والتحري لاسيما فيما يراه في كلام الكثير من جملة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) ^(٢).

وأورد الكفايحي شروطاً قريبة مما أورده السخاوي إذ قال: وينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل والضبط والإسلام والعدالة، ليكون كل واحد منها معتمداً في أمر الدين وأميناً فيه ولتزداد الرغبة في تاريخه وللاحتراز من المجازفة فيحصل الأمن من وقوع في الضلالة. واشترط السخاوي أمراً آخر لابد من توافره في شخص المؤرخ وهو أن يكون عالماً بطريق النقل حتى لا يجزم إلا بما يتحققه وإلا فلا؛ لقول الرسول ﷺ: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع) ^(٣)، وليكن محتزراً في النقل كي لا يقع بالمجازفة وقول

(١) مرآة الزمان، (ج ١، ص ٩).

(٢) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٤٨٢.

(٣) صحيح البخاري، (ج ١، ص ٩٧).

الكذب وهو لا يشعر فينفر عن تاريخه العقلاء والعلماء والنبلاء والحكماء ولا يرغب فيه إلا من هو مثله^(١).

وفى إشارة لشروط كتابة المترجمين يذكر السخاوى أن المؤرخ يشترط فيه (أن يكون عارفاً بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضع ولا يضع الرفيع ليكون متمثلاً لقوله ﷺ (أنزلوا الناس منازلهم)^(٢).

وأورد تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) جملة من الشروط الواجب توافرها عند المؤرخ نقلاً عن أبيه تقى الدين السبكي (٧٥٦هـ) ومنها: الصدق والدقة فى النقل، وحدد الدقة بقوله: (وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وإلا يكون ذلك الذى نقله أخذه فى المذاكرة وكتبه عد ذلك وأن يسمى المنقول عنه....)^(٣). وهو بذلك يشير إلى أن يكون النقل حرفياً لا بالمعنى وأن يكون النقل مباشراً وليس عن طريق الاعتماد على ذاكرة فقد ينسى بعض الأمور وكذلك تحديد اسم المصدر، وهذه الشروط متقدمة إذا ما قارناها بالشروط التى وضعها المؤرخون المحدثون.

ومن الشروط أن يكون المؤرخ حسن العبارة عارفاً بمعانى الألفاظ والمصطلحات^(٤) وعدم التحيز أو التأثر بالأهواء والميول وأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويجعله منصفاً. وأكد السخاوى أيضاً أن يكون المؤرخ حيادياً حتى عند ذكر أخبار أقاربه أو معارفه ويروى ما وقع لعل بن المديني (ت ٢٢٤هـ) عندما سئل عن أبيه، فقال: (سلوا غيرى، فأعادوا عليه المسألة، فأطرق ثم قال: هو الدين أنه ضعيف)^(٥).

(١) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، (ص ٤٩٤).

(٢) المصدر نفسه، (ص ٤٩٥).

(٣) طبقات الشافعية، (ج ٢، ص ٢٣).

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، (ج ٢، ص ٢٣).

(٥) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، (ص ٤٨٨).

ومن الشروط الأخرى أن يكون ورعًا تقيًا لا يأخذ بالتوهم لأن الرسول (ﷺ) يقول (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) وهذا يعني أن الورع والتقوى يبعدانه عن المبالغات ويجعلانه يتحرى الأخبار ويتأكد منها قبل الأخذ بها.

ومن الصفات الواجب توافرها في شخص المؤرخ التواضع وما أرقى أن يتصف العالم بالتواضع من خلال كتاباته ومن خلال أحاديثه ومن خلال العبارات والكلمات التي يستخدمها في الحديث والكتابة. والواقع أن العديد من كبار المؤرخين القدامى الذين نالوا شهرة واسعة في ميدان الكتابة التاريخية، ذكروا في خطب مؤلفاتهم ما ينم عن تواضعهم واعتذارهم لما قد يجد القارئ من أخطاء في تضاعيف كتبهم، ومن هؤلاء المسعودي (ت ٣٦٤هـ) الذي قال في مقدمة "مروج الذهب" ما نصه: (على أنا نعتذر من تقصير إن كان وتنتصل من إغفال قد عرض لما شاب خواطرننا وغمر قلوبنا تقاذف الأسفار وقطع القفا)^(١). وإن كان في النص شيء من المبالغة إلا أنه يدل على معاناة التأليف والمشاكل التي تواجه المؤلف.

أما صفات المؤرخ عند الباحثين فقد صنفها مرتضى النقيب رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة بغداد إلى صفات غريزية وأخرى منهجية، تتمثل الأولى الرغبة الشخصية لدى المؤرخ في دراسة التاريخ والقابلية على تحمل المشاق والصبر وعدم اليأس والابتعاد عن الكذب، أما الصفات المنهجية فحددها بتوافر ملكة النقد لدى المؤرخ وعدم التحيز والقابلية الكتابية^(٢).

ويرى بعض الباحثين أن من أهم صفات المؤرخ التحلي بالأمانة العلمية^(٣)

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٨.

(٢) النقيب، الدكتور مرتضى حسن، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، (ص ١١ - ٢٠).

(٣) طه باقر وعبد العزيز محمد، طرق البحث، (ص ١١٦).

والأمانة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقول الحقيقة فههدف عملية البحث التاريخى هو التوصل للحقيقة التاريخية، والباحث قد يجد من المعلومات ما لم يطلع عليها غيره بوصفه المتعمق فى قراءة النصوص وجمعها ومعرفة دقائق الأمور فعليه أن لا يخفى بعض الحقائق حتى وإن كانت معارضة لآرائه وأفكاره.

إن شرط التحلى بالصبر مهم لأن عملية البحث التاريخى صعبة ومملة ومليئة بالعقبات العلمية وغير العلمية وللتدليل على ذلك نقبس ما ذكره المقدسى من معاناته من أجل تأليف كتابه "أحسن التقاسيم" حيث قال: (ولم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيباً غير الكدية وركوب الكبيرة، فقد تفقّهت وتأدّبت وتزهّدت وتعبدت... وطرّدت فى الليالى من المساجد وسحت فى البرارى وتهت فى الصحارى وصدقت فى الورع زماناً وأكلت الحرام عياناً وحملت على رأسى بالزنبيل وأشرفت مراراً على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق... وسجنت فى الحبوس وأخذت على أنى جاسوس... ووبخنى الإشراف ورميت البدع واتهمت بالطمع... وقد ذهبت لى فى هذه الأسفار عشرة آلاف درهم سوى ما دخل علىّ من التقصير فى أمور الشريعة). كل هذه المعاناة من أجل تأليف كتاب واحد، ولولا الرغبة الجارحة فى التأليف لما تحمل المقدسى ذلك^(١).

أولاً: المصادر والمراجع فى التاريخ الإسلامى

إن الحديث عن مصادر التاريخ الإسلامى لا يمكن أن يستوفى فى هذا المختصر، فهى كثيرة ومتنوعة، وتنقسم إلى المصادر القديمة التى ألفها المؤرخون المسلمون الذين ينتمون إلى العصور الإسلامية، ويمكن أن نطلق عليها اسم

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، (ص ٢٢-٢٤).

(المصادر) وهناك المصادر الحديثة التي ألفها الباحثون العرب والأجانب معتمدين في كتابتها على المادة الأولية المستقاة من المصادر القديمة وهذا النوع من المصادر يمكن أن نطلق عليه اسم (المراجع).

والنوع الأول (المصادر) كثيرة ومتنوعة على الرغم من الأعداد الكبيرة التي فقدت منها عبر الزمن، وتنقسم المصادر تبعاً لما تحتويه من مادة تاريخية إلى مصادر أولية ومصادر ثانوية، والأساس الذي يحدد هذا التقسيم هو الفترة الزمنية التي يعالجها الموضوع الذي يدرسه الباحث فكتابات الواقدي (ت ٢٠٧هـ) عن الفتوحات العربية الإسلامية في العصر الأموي تعد مصدراً أولياً، أما ما كتبه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عن الموضوع ذاته في كتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) فلا يمكن أن يكون كذلك، إلا في حالة كونه أى المؤرخ المتأخر زمانياً عن الأحداث المراد البحث فيها قد اطلع على كتب فقدت ولم تعد في حيز الوجود حالياً ونقل منها وجاء بروايات مختلفة لما جاء به الواقدي، فعند ذلك يمكن الاعتماد عليها وعدّها مصدراً أولياً.

إن المصدر القديم يعد مصدراً أولياً يعتد به أكثر من غيره في حالة كون المؤلف معاصراً زمانياً وقريباً من حيث المكان لأحداث الموضوع الذي يبحث فيه وشخصياته، فإذا كان الموضوع يتناول مثلاً حدثاً تاريخياً وقع في العراق في القرن الثالث الهجري، فإن المصدر الأولى المثالي في هذه الحالة هو كتابات اليعقوبى (ت ٢٨٤هـ) ومن على مثاله أو قريب منه. وكثيراً ما تثار ملاحظات سلبية في مناقشات طلبة الدراسات العليا في التاريخ الإسلامى، حينما يعتقدون أن كل مصدر قديم بمثابة مصدر أولى، فتجد بعضهم ينقل نصاً عن تاريخ واسط في القرن الثانى الهجرى من كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) فالمصدر هنا قديم، ولكنه بعيد جداً مكاناً وزماناً عن الموضوع، لذا لا يعد مصدراً أولياً.

إن المؤرخ الذى يشاهد الحدث بأمر عينيه تكون رواياته أرجح من معاصره الذى ينقل الأخبار مشافهة عن طريق السماع، أما كيفية معرفة ذلك فعن طريق المصطلحات التى ذكرها المؤرخ قبل كتابة خبر الحدث مثل: (أخبرنا) (سمعت) (رأيت). ويرى "فرانز روزنثال" أن أهمية (أى تاريخ إسلامى كمصدر تاريخى يقررها قدمه وقربه من الحوادث التى يصفها أو استخدامه لكتب مفقودة قديمة أو قربه من المعاصرة)^(١). ونضيف إلى ذلك أن المؤرخ لا يكفى أن يكون معاصرًا لتعتمد كتاباته بوصفها مصدرًا أوليًا، ما لم يتمتع بالثقة والمصدقية واعتماده على مشاهدة الأحداث عيانًا أو سماع أخبارها عن أناس اشتركوا فيها أو شاهدوها. إن قيمة الأخبار التى يدونها المؤرخ مشاهدة تكمن فى أنه سينفرد بذكرها على الأغلب، قال المسعودى (ت ٣٦٤هـ) فى وصفه لكتاب: (الأوراق فى أخبار الخلفاء) للصولى (ت ٣٣٥هـ) أنه ذكر فيه (غرائب لم تقع لغيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه)^(٢). إن معرفة سنة وفاة المؤرخ وموطنه الأصلى والمناطق التى رحل إليها أو استقر بها لمدة معينة يعد أمرًا ضروريًا للباحث، لأنه من خلال ذلك سيعرف ما إذا كان من أصحاب المصادر الأولية أم لا، وذلك من خلال مقارنة تلك المعلومات مع الأحداث التى يتناولها بالبحث والدراسة.

لأنها تكتب عن فترة طويلة ومساحة مكانية واسعة تضم أحداثًا كثيرة، وكل ذلك يؤثر على دقة المعلومات وتفصيلها، ومثال ذلك الكتب التى تحمل عنوان (تاريخ الوطن العربى الحديث والمعاصر) أو (التاريخ الإسلامى) أو (تاريخ العالم القديم).

(١) روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، (ص ٢٢١).

(٢) المسعودى، مروج الذهب، (ج ١، ص ١٣).

وقد يسأل سائل هنا: هل أن هذا التقسيم مقتصر على مصادر التاريخ الإسلامي؟ والجواب لا، التاريخ الحديث والمعاصر له مصادر ومراجع أيضًا فتاريخ العراق المعاصر مثلاً توجد عنه مصادر كثيرة غير أن بعضها لا يعد مصدرًا أوليًا، فكتابات (عبد الرزاق الحسني) عن (نوري السعيد) أحد شخصيات العهد الملكي تعد مصدرًا أوليًا، كونه قريب منه ومعاصر له، أما ما كتبه عبد الرزاق النصيري عن الشخصية ذاتها في رسالته للمهاجستير، فيعد مصدرًا ثانويًا (مرجعًا) مهما نالت تلك الرسالة من شهرة علمية، والسبب هو اعتماد الأخير على كتابات الأول التي تحوي (المادة الأولية).

إن مصادر التاريخ الحديث والمعاصر المتخصصة في فترة زمنية محددة أو تناولت موضوعًا محددًا وواضحًا تعد أهم من تلك التي كتبت بشكل عام فالنص المأخوذ عن أحد وزراء العهد الملكي في العراق من كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) هو أعلى قيمة من الناحية العلمية من نص آخر أخذ من كتاب في تاريخ العراق بشكل عام.

ثانيًا: مصادر التاريخ الإسلامي وأنواعه

زخرت الحركة الفكرية في العصور الإسلامية بالكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتبًا في مختلف فروع الكتابة التاريخية، ولعل من المفيد أن نشير أنه من الصعب أن نجد أمة من الأمم عاصرت المسلمين وكانت أكثر اهتمامًا أو نتاجًا في التدوين التاريخي، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة بعض المؤرخين المسلمين المتأخرين، فألفوا في هذا الخصوص، ومن أشهرهم المؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي صاحب كتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) الذي حوى بين دفتيه عناوين مؤلفات العرب والمسلمين في التاريخ حتى عصره، قال فيه: (إن كتب التواريخ

أكثر من أن تحصى^(١). ومن ينظر فى هذا الكتاب وغيره سيدهش من كثرة تنوع الموضوعات التى ألف فيها المؤرخون المسلمون، إذ لم يغفلوا جانبًا من جوانب النشاط الإنسانى أو الأحداث الطبيعية إلا وأرخوا له، ومهما كانت بعض جوانب ذلك النشاط عند بعضهم ثانوية وغير ذات بال، لكن القارئ يشعر بمدى الثراء الفكرى عند مؤرخى تلك العصور، والواقع أن الكتابة التاريخية شهدت تطورًا تدريجيًا عبر الحقب التى مرت بها، وهذا التطور جاء نتيجة لهذا الاهتمام، فتشعبت كتابة التاريخ وتنوعت من حيث المحتوى. إن حديثنا عن مصادر التاريخ الإسلامى سينصب على التعريف بها وبما يمكن أن تقدمه للباحثين من معلومات وكيفية الاستفادة منها.

١- التاريخ العام

صنف المؤرخون المسلمون كتبًا تميز أغلبها بالضخامة أطلق عليها من قبل بعض الباحثين مصطلح (كتب التاريخ العام) لأنها حوت مادة تاريخية عن الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى السنة التى يتوقف فيها المؤلف عن متابعة الكتابة وهى فى الغالب قبل وفاته بمدة قصيرة ورتبت فيها الأحداث التاريخية التى وقعت قبل البعثة النبوية ترتيبًا موضوعيًا أو حسب تعاقب الأحداث، أما الفترة الإسلامية فقد اعتمد فى تنظيمها حسب تعاقب السنين، وتعرف عند بعض الباحثين بالحواليات أو كما تسمية بالمصطلح الغربى Chronicles وهى تسمية قد لا تصح على المادة التى حواها الكتاب عن أحداث الفترة قبل الإسلام، ولهذا فإن التسمية الأصح هى الأولى، وذلك لأن مصطلح التاريخ العام - ينسجم مع طبيعة المادة التى تضمنتها تلك الكتب وتنوعها إذ تشمل الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية

(١) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٧٧٣.

وغرائب الأحداث ولكن بنسب متفاوتة من حيث حجم المادة المقدمة، فضلاً عن ذكر الوفيات لمشاهير الأشخاص وأغلبهم من الرجال.

ظهر النظام الحولى في تنظيم المادة التاريخية في أواخر القرن الثانى للهجرة على يد الهيثم بن عدى (ت ٢٠٧هـ) وذلك من خلال كتابه المفقود (التاريخ على السنين)^(١)، ثم توالى المؤلفات وفقاً لهذا النظام ويعد (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) أول وأضخم كتاب يصل إلينا عن المؤرخين المسلمين في التاريخ العام، غير أن هناك كثير ممن سبقوه في اتباع هذا المنهج، ثم تطورت هذه الطريقة على يد ابن الجوزي (ت ٥٧٩هـ) وابن الأثير (٦٣٠هـ). أما الفائدة في هذا النوع من المؤلفات لباحث التاريخ فتأتى من كونها تضم مجموعة كبيرة من الوثائق^(٢) مثل الرسائل والمعاهدات والعهود بين الدول والحكام ولتمييزها بغنى المادة التاريخية عن الأحداث، ولكن يجب الإشارة هنا أن ما صنفه المؤرخون المتأخرون في هذا النوع لا يعتمد كمصدرٍ أوليٍّ عن الأحداث التى وقعت في القرون الإسلامية الأولى والمعول هنا بشكل أساس على ما كتبه المؤرخ من أخبار عن أحداث عصره.

أما كيفية اعتماد الباحث على هذا النوع، فذلك يتحدد ابتداءً من خلال موضوع البحث، فإذا كان البحث يتناول أحداث فترة زمنية معينة يستطيع الباحث الرجوع إلى هذه الكتب التى توفى مؤلفوها بعد تلك الفترة ومادامت مرتبة حسب السنين سهّل عليه أمر الوصول إلى ضالته، وعليه هنا أن يتابع ما كتبه المؤرخ عن موضوعه في كل سنة لأن بعض هذه الكتب تجزئ الحادثة فتذكر ما وقع منها في كل سنة من السنوات التى قطعتها. أما إذا كان موضوع البحث

(١) ابن النديم، الفهرست، (ص ٩٨).

(٢) مرتضى النقيب، محاضرات في منهج البحث التاريخي، (ص ١١).

يدور حول شخصية تاريخية، فلا يكتفى بالرجوع إلى ما تذكره هذه الكتب في سنة وفاته، فقد تذكره في الأحداث التى اشترك فيها في حياته لاسيما مع الشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية، فعلى الباحث هنا أن يعود لما كتبه هذه المؤلفات خلال ذكرها لأحداث السنوات التى كتبت عنها.

٢- كتب التراجم^(١)

التراجم جمع ترجمة وهى سيرة مختصرة لشخص معين وهذه السيرة قد تطول وقد تقصر أو تكون بين هذه وذاك حسب ما يراه مؤلف الكتاب وحسب أهمية أصحاب التراجم عنده وهذه السير تجمع في كتاب واحد قد وقع في عدة أجزاء فيطلق عليها اصطلاحاً (تراجم) ولكن ذلك الكتاب قد يكون في الطبقات أو الوفيات أو حسب القرون أو معاجم شيوخ أو في الأنساب وهذه وغيرها هى من أنواع كتب التراجم، ويعد هذا القسم من مصادر التاريخ الإسلامى ذا أهمية بالغة عند الباحثين وذلك لأن معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين كانت على شكل تراجم فضلاً عن ذلك تميزت هذه الكتب بالثقة والدقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، وتأتى مصداقية هذه الكتب من تأثرها بالشروط التى وضعها علماء الحديث ولاسيما اتباع مؤلفيها لمبدأ (الجرح والتعديل) فى أغلب الأحيان ومنها المؤلفات التى تناولت تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين.

كتب الرجال المحلية: ومن أشهر هذه الكتب (تاريخ واسط) لأسلم بن سهل المعروف ببجشل (ت ٢٩٢هـ) و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (ت ٦٣٣هـ) و(تاريخ دمشق) لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، وهذه المؤلفات هى من

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، (ص ٢٩-٤٨).

أهم كتب التراجم، غير أنها تحوى أيضًا معلومات مهمة عن المدينة نفسها فتاريخ بغداد مثلاً يضم معلومات نفيسة لا غنى للدراسات الحديثة عنها وهذه المعلومات حول خطط بغداد والحياة الثقافية والتعليمية فيها^(١). والصفة الغالبة على تراجم هذا النوع من المؤلفات هو أن معظم شخصيات التراجم من رجال الحديث فمن مجموع (٧٨٣١) ترجمة ضمها كتاب (تاريخ بغداد) هناك خمسة آلاف ترجمة لرجال الحديث^(٢). وعلى الرغم من أن هذا النوع من المؤلفات يعد من كتب (الرجال) إلا أن الباحث يجد فيها عددًا من تراجم النساء فقد وردت (٣٢) ترجمة لشخصيات نسائية في (تاريخ بغداد) مثلاً. وهكذا فإن كتب التراجم تضم بين دفتيها أيضًا تراجم من هذا النوع. إن كتب التراجم المحلية غالبًا ما تتبع الترتيب الهجائي في تنظيم تراجم الكتاب، وهي تزود الباحث بمادة أولية عن الشخصيات التي عاصرها المؤلف زمانًا ومكانًا، وعلى هذا الأساس فإنها مصادر أولية من هذه الناحية ومن ناحية الكتابة عن شخصيات قريبة العهد زمانًا بالمؤلف، ولو نظرنا في نسبة ما تقدمه من معلومات لوجدنا أن أغلبها نقلت عن مصادر أخرى فثلاثة أرباع المادة التي حواها (تاريخ بغداد) كانت منقولة من مصادر وليست مشاهدات لمؤلفه.

إن المعلومات التي ينقلها المؤلف من مصادر أصبحت مفقودة حاليًا تعد ذات قيمة عالية للباحث، كما يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا النوع من الكتب يشتمل على تراجم لأشخاص من غير أهل المدينة لأنهم يترجون لمن زار المدينة أو نسب إليها أو ولد فيها ثم رحل عنها أو استقر بها لفترة، وبما أن الرحلة من أجل طلب العلم كانت شائعة بين علماء تلك العصور، لذا من المتوقع أن نجد

(١) العمري، موارد الخطيب، (ص ٨٨).

(٢) المرجع نفسه، (ص ٨٩).

فى هذا النوع من الكتب تراجم لشخصيات تنتمى فى أصولها إلى أقاليم ومُدن مختلفة.

كتب الطبقات: ظهرت كتب الطبقات منذ بداية القرن الثالث الهجرى على أيدى بعض كبار المؤلفين مثل الهيثم بن عدى (ت ٢٠٧هـ) وابن سعد (ت ٢٣٠هـ) وخليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) أيضًا، ومصطلح الطبقة يعنى مجموعة من الأشخاص ينتمون إلى فترة زمنية واحدة ويشتركون فى صفة معينة، وألفت هذه الكتب فى أوامرها لخدمة علم الحديث النبوى الشريف^(١) ولكنها تطورت فيما بعد وتعددت أنواعها فظهرت كتب فى طبقات الأطباء والأدباء والفقهاء والشعراء والمغنين.. الخ.

وهذه الكتب وإن كانت تسمى كتب الطبقات فإن التقسيم الثانوى لها يختلف من كتاب إلى آخر، فهناك من رتب تراجم كتابه حسب المدن كمحمد بن سعد فى طبقاته الكبرى التى تعد أقدم كتاب كبير يصلنا فى هذا النوع من الكتب^(٢)، أما خليفة بن خياط فقد رتب طبقاته حسب أنسابهم أخذًا بنظر الاعتبار: الترتيب حسب طبقاتهم داخل النسب الواحد. وتتميز كتب الطبقات ذات الصفة الدينية بالثقة والمصداقية لاتباع مؤلفيها قاعدة (الجرح والتعديل) مما يعطى الباحث الفرصة للاعتماد عليها، أما كيفية معرفة الكتاب الذى يتوقع الباحث أن يحوي نصوصًا تفيد ذلك يعرف من خلال معرفة نسب الشخصية أو موطنها أو مهنتها أو مذهبها أو العلم الذى اشتهرت به، فإذا كان طبيبًا مثلاً وتوفى وفاة مؤلف كتاب (طبقات الأطباء) يرجح أن يكتب عنه وإذا كان محدثًا ذهب أولاً إلى طبقات المحدثين غير أن المحدث يشتهر فى الغالب بعلوم القرآن

(١) العمرى، موارد الخطيب البغدادي، ص ٣٨٥.

(٢) العمرى، بحوث فى السنة المشرفة، ص ٥٤.

والفقه لذا يرجح أن يجد الباحث ترجمة له في طبقات المفسرين للداودي (ت ١٢٥٠هـ) أو أحد كتب الفقهاء التي ترجمت لفقهاء مذهبه شريطة أن يتأكد الباحث أولاً من أن سنة وفاة صاحب المصدر تأتي بعد تاريخ وفاة المراد ترجمته. إن التخصص لم يكن شائعاً بين علماء العصور الإسلامية، بل يمكن القول أن معظمهم اشتهروا بكونهم (موسوعيين) إذ لم يكتفوا بالتأليف في علم واحد، فقد ترى بعضهم يؤلف في علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ.. إلخ، لذا من المتوقع أن يجد الباحث أكثر من ترجمة في أكثر من نوع من كتب الطبقات للشخصية موضوع البحث. وفضلاً عن ذلك فإن كتب الطبقات تضم معلومات مهمة عن الجوانب الاجتماعية والثقافية وبعض الإشارات المبثوثة بين السطور عن خطط المدن.

كتب الوفيات: وهذه تشكل نوعاً آخر من كتب التراجم نظمت فيه مادة الكتاب على أساس سنوات وفيات أصحاب التراجم، وبذلك تكون طريقة الوصول للترجمة المطلوبة على أساس تاريخ الوفاة ومن بين هذه المؤلفات المطبوعة كتاب (الوفيات) لابن رافع السلامي (ت ٧٧٤هـ) ولكن يجب أن نشير إلى أن بعض الكتب التي اتخذت عناوين مشابهة لم تعتمد هذا النظام، بل رتبت مادتها على أساس آخر مثل (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) وغيره.

كتب التراجم العامة: وخير من يمثل هذا النوع من المصنفات كتاب ابن خلكان المذكور آنفاً وعنوانه الكامل (وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان) ويعد من أفضل كتب التراجم، لما حواه من مادة تفصيلية ومهمة رتبها على أساس حروف المعجم، ولم يقصره على فئة واحدة من الأشخاص، بل ترجم لجميع الأعيان (المشاهير) ومن مختلف الاتجاهات، وفيه تراجم للعديد من النساء، والكتاب يعد في غاية الأهمية للباحث في سير الأشخاص المعاصرين لمؤلفه، وقد

أكمل ابن شاکر (ت ٧٦٤هـ) نواقص هذا الكتاب وما فات مؤلفه بكتابه (فوات الوفیات).

إن کتاب ابن خلکان لا يمكن أن يقاس بکتاب ابن شاکر الکتبى، فالفرق بین الکتابين شاسع ولاسیما فی ما قدمه ابن خلکان من معلومات مسهية ودقیقة عن أغلب تراجم الکتاب. وهذا یعنى أن أهمية کتب التراجم تتفاوت من کتاب إلى آخر وفقاً لطبیعة المادة المدونة فیها.

معاجم الشیوخ: إهتم بعض العلماء بجمع أسماء شیوخهم الذین تتلمذوا علیهم فی کتاب، وسمیت بعناوین عدة مثل (معجم الشیوخ)، (فهرست الشیوخ)، (برنامج وشیخة)... إلخ. وفى الأعم الأغلب رتبت تراجم هذه الکتب على أساس حروف أسماء أصحابها أو على أساس بلدانهم والنظام الأول هو الأكثر شیوعاً^(١)، ولكن شمس الدین السخاوی قلل من أهمية هذه الکتب لأن جُلَّ من ألف فیها لم یترجم للشیوخ بالتفصیل، بل اكتفى بذكر الأسماء^(٢)، وأورد قائمة طويلة بأسماء من ألف فی هذا الباب^(٣) ولا شك فی أن المادة التى توفرها بعض الکتب التى فصلت فی ذكر أخبار مؤلفیها، تعد ذات أهمية خاصة، لدقة معرفة المؤلفین بأحوال شیوخهم الذین جالسوهم وخبروهم عن قرب فهم أجدر على إبداء الرأى وإصدار الحكم^(٤)، وقد تحوى هذه الکتب تراجم یعدها أصحاب کتب التراجم العامة من غیر المهتمین فلا یذكرونهم فیکتصر ذکرهم على معاجم الشیوخ^(٥). وتفيد هذه المصادر

(١) العمرى، موارد الخطیب البغدادى، ص ٤١٢.

(٢) السخاوی، الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التأریخ، ص ٦٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ص ٦٠٥ - ٦٠٩.

(٤) العمرى، موارد الخطیب، ص ٤١٢.

(٥) المرجع نفسه.

التي تعد مصادر أولية في دراسة الحياة العلمية في العصر الذي تنتمي إليه من خلال أسماء العلماء وذكر أسماء الكتب المدرسة وإشارات عن المؤسسات التعليمية كالمدارس وطبيعة العلاقات بين العلماء والتلاميذ وطرق التدريس عند الشيوخ، وتعطى هذه المؤلفات معلومات عن مدى النشاط العلمي في المدن الإسلامية، لأن التلاميذ آنذاك كانوا لا يكتفون بالدراسة على شيوخ بلدهم، بل يرحلون إلى مدن عديدة من أجل طلب العلم على أيدي مشاهير العلماء.

ومن الكتب التي وردت إلينا في هذا الباب (برنامج الوادي أشي) وهو معجم شيوخ وضعه محمد بن جابر أشي التونسي (ت ٧٤٩هـ).

كتب السيرة المفردة: ظهرت كتب السيرة منذ البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخي عند المسلمين، بل إن اهتمام المسلمين بالكتابة التاريخية جاء منصباً أول الأمر على تدوين سيرة الرسول (ﷺ)، ولكن في القرون الآتية ظهرت الكتب التي اهتم مؤلفوها بتدوين سيرة أحد الرجال وقد كثرت هذه المؤلفات في العصور الإسلامية المتأخرة، مثل كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لابن شداد (ت ٦٣٢هـ) وكتاب (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) للنسوي (ت ٦٣٩هـ) أو (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر بيبرس) لابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ) أو كتاب (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) لابن أيك الداودار (ت ٧٣٢هـ) أو (عجائب المقدور في أخبار تيمور) لابن عربشاه (ت ٨٥٤هـ) أو (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) و (تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور) للمؤلف نفسه، وكتب أخرى عديدة مشابهة، إن هذه الكتب المنشورة حالياً تقدم مادة تفصيلية ودقيقة عن الشخص المترجم له، ولكن

بعضها يجب الاعتماد عليه بحذر لأن بعض المؤلفين ألفوها هدية للشخص المترجم فلا غرابة حين نجد بعضها مشحونًا بآيات المديح وذكر الحسنات ومهاجمة خصوم المترجم له، كما أن بعضها كما يبدو من العنوان أوقف لذكر الإيجابيات، إن المادة المتوافرة عن شخصيات هذه المؤلفات هى مادة أولية كتبت إما مشاهدة أو سماعًا عن أناس شاهدوا الأحداث لذا تعد مصادر أصلية.

كتب التراجم المرتبة على أساس القرون: نظم بعض مؤلفى كتب التراجم مادة الكتاب على أساس القرن الذى توفى فيه أصحاب تراجمه، ومثال ذلك ما فعله ابن حجر العسقلانى المصرى (ت ٨٥٢هـ) وشمس الدين السخاوى، فقد ألف الأول كتاب (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وصنف الثانى كتاب (الضوء اللامع فى أعلام القرن التاسع) وتكمن أهمية هذا الكتاب فى توفير المادة للباحثين عن تاريخ تلك القرون والمعلومات المقدمة فى هذا الصنف ولاسيما الكتاين المذكورين تميزت بالدقة والشمولية والتفصيل، وتعد هذه الكتب من المصادر الأولية لقرب مؤلفيها زمانًا ومكانًا فى أغلب الأحيان، ككتاب السخاوى المذكور الذى خصصه لتراجم أشخاص عاصروهم أو كان قريبًا من عهدهم، وفى كثير من الأحيان شاهدتهم واحتك بهم، ويعد كتابه من أكثر كتب التراجم ذات الطابع النقدى المميز، إن سرعة وصول الباحث إلى الترجمة المطلوبة تكمن فى معرفة سنة وفاة الشخص المطلوبة حوله المعلومات، فإذا كانت ضمن الزمن المقصود وجد ضالته.

كتب السيرة الذاتية والمذكرات^(١): ألف العديد من المؤلفين القدامى منهم والمحدثين كتبًا فى سيرهم الشخصية أو سير أسرهم وقد اصطلاح على تلك

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، ص ص ٣٤-٣٥.

المؤلفات اسم (السيرة الذاتية) وظهرت هذه الكتب منذ العصور الإسلامية، الأولى غير أن معظمها في عداد المفقودات. وفي زماننا ألف العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية والأدبية والعلمية كتباً من هذا النوع تحت عناوين مختلفة مثل (يوميات)، (مذكرات)، (سيرتي)، (حياتي في نصف قرن) وهكذا، والجدير بالذكر هنا أن هذه المؤلفات تعد مصادر أولية، غير أن أهميتها بوصفها مصدرًا أوليًا تتفاوت بين كتاب وآخر، فالمذكرات قد تكتب يوميًا أو أسبوعيًا فهي معلومات مكتوبة عن قرب من الناحية الزمانية والمكانية فهي معلومات كتبها مؤلفها عن أحداث بطريقة التذكر أو استرجاع المعلومات وهي قطعًا تتعرض للنسيان وأن المذكرات والذكريات واليوميات تختلف في بعض جوانبها عن كتب السيرة الشخصية من حيث المضمون على اعتبار أن الأخيرة تهتم بأكملها بأخبار كاتبها، أما الأولى فإنها تشمل معلومات عن أحداثٍ عاصرها وقسم من تلك المعلومات تخص كاتبها.

إن كتب السيرة الذاتية لا يمكن اعتماد المعلومات المقدمة فيها عن أخبار مؤلفها إلا بعد نقد وتدقيق، لأننا لا نتوقع أن يكتب المؤلف إلا إنجازاته ويحرص على إغفال ما يسيء له. لذا فمن الناحية المنهجية لا يمكن الأخذ بجميع المعلومات الواردة فيها، بل تعتمد بعض المعلومات التي لا تخص حياة المؤلف بشكل مباشر.

٢- تاريخ الدول

ألف عدد من المؤلفين المسلمين كتبًا قصروها على تاريخ دولة أو أكثر من الدول التي عاصروها أو عاشوا تحت رعايتها، ومن هذه المؤلفات كتاب (التاجي في تاريخ الدولة البويهية) لأبي إسحاق الصابي (ت ٣٨٤هـ) ثم توالى الكتب الأخرى في القرون التالية مثل كتاب (الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية)

لابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠هـ) وكتاب (الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية) لأبى شامة (ت ٦٦٥هـ) وكتاب (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) لابن واصل (ت ٦٩٧هـ) وكتاب (التحفة الملوكية فى الدولة التركية) لبيبرس الدوادارى (ت ٧٢٥هـ) وكتاب (درة الأسلاك فى دولة الأتراك) لابن حبيب (ت ٧٩٩هـ) وكتاب (الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية) لابن أيبك الدوادارى.

إن هذه الكتب الموجودة حالياً إما مطبوعة أو مخطوطة تقدم مادة تفصيلية عن أخبار الدولة التى أرخت لها ورجالاتها وهى قطعاً أوسع من المادة التى يقدمها لنا التاريخ العام أو كتب التاريخ العام أو كتب التراجم عن أخبار تلك الدول، ولكن الذى يجب الانتباه إليه من قبل الباحثين هو أن بعض هذه الكتب لا يمكن الاعتماد على بعض الأخبار الواردة فيها إلا بعد نظر وتدقيق، فكتاب التاجى مثلاً وضعه مؤلفه تحت التهديد ويقال وهو فى السجن^(١) إذ مر بالصابى أحدهم وهو يكتب ذلك فسأله عما يفعل فقال له (أكاذيب أنمقها وأباطيل ألقها)^(٢)، فما كان من ذلك الشخص إلا أن وشى بذلك إلى الأمير البويهى تاج الملة الذى أمر الصابى بتأليفه فأراد قتله لولا تدخل بعض الأعيان لإنقاذه^(٣) فكتاب من هذا النوع لا يمكن أن يعتد به، وكذا الحال لكتاب (الباهر) لابن الأثير الذى عاش هو وعائلته تحت رعاية الدولة الزنكية التى خصص لها هذا الكتاب لذا (يمكن القول أن قيمته العلمية لا يمكن أن ترقى إلى قيمة كتابه العظيم الكامل ...) ^(٤)، وذلك على الرغم من أن المادة

(١) أبى خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٥٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) أبى خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٥٢.

(٤) فيصل السامر، ابن الأثير، (ص ١٤٧).

الموجودة عن أخبار تلك الدولة في الكتاب الأول أوسع بكثير عما هو موجود منها في الكتاب الثاني^(١).

إن هذا النوع من الكتب يتوقع الباحث أن يقف فيها المؤلف إلى جانب رجال تلك الدولة ضد أعدائها كما حدث عندما وقف ابن الأثير ضد (صلاح الدين الأيوبي) وهو يؤرخ لحالة الصراع بينه وبين الدولة الزنكية، ولكن في الوقت نفسه تقدم هذه الكتب مادة تتصف بالدقة والتفصيل كون معظم المؤلفين في هذا الباب هم من المطلعين على الأحداث إما مشاركة أو مشاهدة لها، لذا فإن الحديث عن ضعف القيمة العلمية يقف عند حدود الموقف من أعداء الدولة، لأنها تزود الباحث عدا ذلك بأخبار نشاط تلك الدول على الصعيد الإداري والعمرائي والثقافي وعلاقتها الخارجية.

٤- التاريخ العسكري

إن معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين عن تاريخ الجهاد والمعارك التي خاضوها ضد أعدائهم عبر القرون جاءت في سياق كتب التاريخ العام وكتب التراجم، ففيها ما يتعلق بالقسم الأول فقد ذكر المؤرخون تفاصيل أخبار العمليات العسكرية حسب سنى وقوعها آخذين بالنظام الحولى في ترتيب مادة الكتاب، أما فيما يتعلق بكتب التراجم فإن أخبار المعارك قد نجدها في سياق تراجم القادة العسكريين الذين اشتركوا فيها، ولكن هناك كتب مستقلة ألقت لبعض المعارك ومن أقدم ما وصل إلينا في ذلك (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) ومن أهم كتب التاريخ العسكري التي وصلتنا كتاب (فتوح الشام) لمؤلفه محمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٩هـ) والكتاب وإن كان مطبوعاً بهذا العنوان إلا أنه دون أخبار فتوح العراق والشام والجزيرة ومصر.

(١) المرجع نفسه.

كما أن هناك كتبًا عديدة ظهرت فى الجهاد مثل كتاب (مستند الأجناد فى آلات الجهاد) لابن جماعة الحموي (ت ٧٣٣هـ) وهو من الكتب القلائل التى وصلت إلينا فى هذا الباب، وقد ظهر هذا النوع من الكتب بشكل واضح إبان الجهاد ضد الصليبيين فى مصر والشام. فالباحث فى تاريخ العلاقات الحربية بين المسلمين والصليبيين لا يستطيع تجاوز هذه المؤلفات.

٥- التاريخ الإدارى

ألف العديد من المؤلفين كتبًا خصت الحياة الإدارية فى الدولة العربية الإسلامية منها ما خص ديوانًا واحدًا مثل كتاب (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت ٨٢١هـ)، فهذا الكتاب وإن كان موسوعيًا لكنه اتخذ من ديوان الرسائل الأشياء محورًا له، أو كتاب (قانون ديوان الرسائل) للصيرفي (ت ٩٠٠هـ) وألف بعضهم فى مبادئ الدواوين وقوانينها مثل كتاب (قانون ديوان الرسائل) لابن مماتي (ت ٦٠٦هـ).

وهناك مؤلفات خصت بعض المؤسسات الحكومية مثل كتب الحسبة والمحاسب التى تحدثت عن شروط المحاسب وواجباته وصلاحياته وأعوانه وميدان عمله ككتاب (الرتبة فى طلب الحسبة) لابن الرفعة (ت ٧٣٥هـ) و (نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) للشيزرى (ت ٥٨٩هـ) وغيرها.

ولكن على الباحث أن يميز هنا بين ما تطرحه هذه الكتب من نظريات حول تلك المؤسسات ومدى تطبيقها على أرض الواقع، فالذى يقرأ مثلاً شروط المحاسب وكيفية أداء واجباته كما سجلتها كتب الحسبة، يشعر بأنها أقرب للمثالية، فعليه هنا أن يقارن بينها وبين تلك الأخبار الموثقة فى صفحات كتب التاريخ الأخرى عن واقع ما كان يدور فى الأسواق، ولا سيما فى العصور المتأخرة.

وهناك بعض التراجم تحدثت عن مؤسسات أخرى ككتب الوزراء وكتب القضاة والولاة فهي إلى جانب تراجم هؤلاء تتحدث عن المؤسسات وتاريخ ظهورها وشروطها وصلاحيات القائمين عليها.

٦- كتب التاريخ الاقتصادي

هناك العديد من المصادر والمراجع ألفت أو بحثت في التاريخ الاقتصادي ففي العصور الإسلامية هناك:

أ- المؤلفات المستقلة في التاريخ الاقتصادي: إذ صنف بعض المؤلفين كتباً في بعض جوانب الاقتصاد العربي الإسلامي، وخير مثال على ذلك كتاب (الخراج) لقاضي القضاة أبي يوسف (ت ١٨٢هـ) وكتاب (الخراج وصناعة الكتابة) لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ) فهذان الكتابان تناولوا مؤسسة إدارية ذات طابع اقتصادي، علماً أن الكتاب الثاني تناول فيه مؤلفه فضلاً عن ديوان الخراج دواوين ذات صلة مثل النفقات وبيت المال وغيرها وذكر ضرب النقود وأوزانها وذكر فيها أسباب حاجة الناس إلى المأكل والذهب^(١) والفضة فالمؤرخ المحدث الذي يروم البحث في الحياة الاقتصادية في العصر العباسي الأول لا يمكن له إغفال هذين الكتابين، وهناك كتاب فريد في بابيه، خصصه مؤلفه لتدوين تاريخ النقود وهو كتاب (شذور العقود في ذكر النقود) لتقي الدين المقرئ (ت ٨٤٥هـ) وهذه المؤلفات وصلت إلينا وطبعت.

ب- المؤلفات التي تطرقت ضمن ما تطرقت إليه إلى جوانب اقتصادية من التاريخ مثل كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري (ت ٢٧٩هـ) الذي تطرق فيه إلى ذكر النقود وكتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبى الحسن

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، (ص ٣٣-٣٥، ٣٦-٣٧، ٥٩-٦٢).

الماوردي (ت ٤٥٠هـ) فعلى الرغم من أن هذا الكتاب في التاريخ السياسى غير أن مؤلفه تحدث فيه عن الجزية والخراج^(١) والذهب والفضة. وكتاب (قوانين الدواوين) لابن ممتى الذى تطرق فيه إلى دار ضرب النقود، وهناك كتاب (حياة الحيوان الكبرى) لكمال الدين الدميرى (ت ٨٠٨هـ) الذى تطرق فيه إلى النزاع بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية وهو نزاع ذو طابع اقتصادى حول تعريب النقود.

وهكذا نرى أن بعضاً من هذه الكتب قد لا يفتن البعض إلى ما تحويه من معلومات خصت التاريخ الاقتصادى، فالباحث يمكنه الرجوع إليها وإلى غيرها مما لم نذكره هنا إما لإعداد بحث فى جوانب النشاط الاقتصادى عند المسلمين، أو لشرح مصطلح اقتصادى، وذلك أن بعض المفردات الشائعة فى تلك العصور لم تعد معروفة الآن لذا تحتاج إلى مثل هذا التوضيح مثل: الدائى، الصاع، الجاوة، وهى عملة الخانية، الصنج والجهذة.

٧- التاريخ الاجتماعى

لم يهتم المؤرخون المسلمون كثيراً فى تدوين أخبار الفئات الدنيا من المجتمع أو كما تسمى عندهم (العامة) فمعظم ما ألفوه جاء للأحداث الكبيرة ذات الطابع السياسى والعسكرى، وللشخصيات الشهيرة من رجالات السياسية والإدارة والجيش والعلم حتى أطلق على بعض هذه الكتب اسم (تاريخ النخبة)^(٢) لأنها لا تحوى معلومات مهمة عن عامة الناس، ومع ذلك فإن هناك مؤلفات يتوقع الباحث أن يجد فيها ما ينشده من معلومات عن الحياة الاجتماعية، كالمأكل والملبس والعناصر السكانية والعادات والتقاليد وفئات المجتمع والأعياد الدينية

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، الباب الثالث عشر .

(٢) العمرى، موارد الخطيب البغدادي، ص ٨٧.

وغير الدينية، فمثلاً أن كتب الرحلات وإن كانت ضمن صنف الجغرافية التاريخية لكنها تحوى مثل تلك المعلومات، كما أن كتب الحسبة والمحاسب معلومات مهمة عن فئات المجتمع والأطعمة والملابس، كما أن بعض من ألف في كتب التاريخ العام ذكر أحياناً قليلة بين صفحات كتبهم الكثيرة عناوين طريفة مثل (نادرة) أو (حكاية غريبة) أو (عجيبة) ثم يسرد ما وقع وهى فى الغالب قصص حقيقية من الواقع الاجتماعى للناس فى تلك العصور فما على الباحث الذى يجيد استخدام الحاسوب أن يكتب إحدى تلك العبارات على نظام القرص المدمج المحمل بالمكتبة التاريخية ليقرأ تلك المعلومات، إننا لا نعجب حينما نرى مؤرخاً كابن الجوزى وقد ذكر قصصاً تفصيلية حقيقية عن الحب العذرى عند بعض المشاهير فى المجتمع البغدادي^(١) ولكن هذا الاهتمام لا نجده عند الكثيرين ممن عناوينا خاصة بتاريخ الأحداث السياسية والإدارية. ربما يعود ذلك لأن ابن الجوزى يعد من القلائل الذين ألفوا كتباً تصنف من قبل الباحثين على أنها فى التاريخ الاجتماعى ككتابه عن الحمقى والمغفلين والأذكىاء، بل أن هناك من اهتم بفئات لم يلتفت إليها أحد مثل (البرصان والعرجان والعميان والحوالان) للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) أو كتاب (عقلاء المجانين) لابن الأزهري (ت ٣٢٥هـ) وهذه المصادر وغيرها على الرغم من قلتها فإنها تفيد الباحثين فى التاريخ الاجتماعى.

إن كتب التراجم تضم بين أسطر صفحات تراجم الشخصيات معلومات اجتماعية عنهم، كالإشارة إلى أسرهم وعلاقاتهم بأقرانهم أو بتلامذتهم وإشارات إلى بعض سجايما واشتهروا به من ألقاب أو صفة من الصفات وأحياناً التطرق إلى أولادهم وأحفادهم.

(١) ابن الجوزى، المنتظم، ج ٦، (ص ٢٦-٢٥٤).

وهناك العديد من المؤلفات عن النساء لاغنى للباحث فى تاريخ المرأة عنها مثل كتاب (بلاغات النساء) لابن طيفور (ت ٢٨٠هـ) و (أخبار النساء) لابن القيم الجوزية (ت ٧٢٥هـ) وكتاب (نزهة الجلساء فى أشعار النساء) للسيوطى (ت ٩١١هـ) وغيرها. وهناك مصطلحات تخص المرأة، ولم تعد معروفة حالياً على الباحث التعريف بها إن ضمنها متن البحث مثل مفردة (جهة) التى تطلق على نساء الخلفاء، وقد ألف المؤرخ البغدادى ابن الساعى (ت ٦٧٤هـ) كتاب وصل إلينا بعنوان (جبهات الأئمة من الحرائر والإماء).

ومن هذا نخلص إلى أن التاريخ الاجتماعى قد نجده فى كتب مستقلة أو أنه سجل ضمنا فى صفحات كتب تنتمي إلى أنواع أخرى من الكتب التاريخية.

٨- كتب النوادر التاريخية

ألف العدد من المؤلفين المسلمين كتباً يمكن تصنيفها تحت اسم النوادر التاريخية، لأنها تضم الطرائف والنوادر للقصص والحكايات، والكثير من هذه النوادر حدث فعلاً كما يحوى معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية وعن آمال الناس آنذاك، فهى إذن تفيد الباحث فى هذه الجوانب ومن أشهر الذين ألفوا فى هذا المجال: المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ) فى كتبه: (الفرج بعد الشدة) و(المستجاد من فعل الأجواد) و(نشوان المحاضرة) وكتاب (تفضيل الكلاب على الكثير ممن لبس الثياب) لابن المرزبان البغدادى (ت ٣٠٩هـ) وهو من الكتب النادرة أو الفريدة فى بابها التى وصلت إلينا. وألف المعافى بن زكريا النهروانى (ت ٣٩٠هـ) كتاباً لازال مخطوطاً بعنوان (الجلس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى)^(١) وهو فى القصص التاريخية الجادة وغير الجادة. وأن

(١) العمري، موارد الخطيب، (ص ٤١)، (هامش ٤).

هذه المؤلفات وغيرها تفيد الباحث بالمعلومات التي قد لا يجدها في كتب تاريخية أخرى.

٩- تاريخ التاريخ

وهناك بعض المؤلفين صنفوا كتبًا تناولوا فيها المؤرخين ونتائجهم ومكانة التاريخ بوصفه أحد العلوم، وعلى الرغم من أن تراجم المؤرخين نجدها مسطورة في كتب التراجم الأخرى، غير أن هناك بعض المصنفات خصصت للحديث عن المؤلفات التاريخية ككتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) لشمس الدين السخاوي، أحصى فيه الكتب المدونة في فروع التاريخ وتكلم عن أنواع الكتابة التاريخية وخصصت بعض الكتب المختصرة لتأكيد عملية التاريخ وبدايات ظهوره وكيفية اعتماد التاريخ الهجري، وأشهر من ألف في هذا الباب الكافي (ت ٨٧٩هـ) في كتابه (مختصر علم التاريخ) والسيوطي في رسالته (المشاريع في علم التاريخ) وهما مطبوعان. إن الباحث الذي يبحث في موضوع التدوين التاريخي عند المسلمين لا يمكن أن يغفل الاعتماد على هذه المصنفات، لاختصاصها في صلب الموضوع.

وهناك كتب بيبليوغرافية تحدثت عن المؤلفين ومؤلفاتهم في جميع فروع العلم والمعارف، مثل كتاب (الفهرست) لابن النديم البغدادي (ت ٣٨٥هـ) الذي امتاز بدقة ووفرة المعلومات عن المؤلفين والمؤلفات ومن ضمنهم المؤرخين، وهناك كتب معينة خصصت صفحات للحديث عن شروط الكتابة التاريخية مثل (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) وهو كتاب لا يتوقع أن يجد فيه الباحث معلومات من هذا النوع وكذا الحال في مقدمة ابن خلدون وهي من أهم الكتب ذات الصفة العلمية تدوينًا لصفات المؤرخ وشروط التدوين التاريخي والتنبيه على أخطاء المؤرخين ويعد من أوائل الذين أكدوا علمية التاريخ من خلال اتباع المنهج العلمي في دراسته.

كما يجد الباحث معلومات قيمة عن فوائد التاريخ عند المؤلفين المسلمين فى الكتب المذكورة آنفاً وفى مقدمات الكتب التاريخية الأخرى، فالعديد من كبار المؤرخين أثبتوا فى خطبهم لكتبهم التاريخية أهمية وفوائد التاريخ بوصفه دافعاً حدا بهم لتأليف كتبهم وهذا ما فعله مثلاً المسعودى فى مقدمة (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وابن الأثير الجزرى فى مقدمة كتابه (الكامل فى التاريخ).

١٠ - كتب الجغرافيا التاريخية

وهى تلك الكتب التى جمعت بين المعلومات الجغرافية والتاريخية مثل كتب البلدان والمسالك والممالك والرحلات، ولعل أقدم مثال وصل إلينا فى كتب البلدان هو كتاب (البلدان) لليعقوبى (ت ٢٩٢هـ) وتوالت المؤلفات فى الرحلات والمسالك والممالك والخطط، مثل كتب (المسالك والممالك) لكل من المقدسى الباشرى (ت ٣٨١هـ) وابن خرداذبة (ت ٣٠٠هـ)، فهذا الصنف من المؤلفات يزود الباحث بمعلومات قيمة، لاسيما وأن معظم من صنفوا فى هذا النوع اعتمدوا فيما دونوه على مشاهداتهم الذاتية للبلدان التى زاروها وتجولوا فى مناطقها فوصفوها عن قرب وعاصرها بعض الحكومات القائمة فوردت فى كتبهم معلومات دقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فضلاً عن الغاية الأساس وهى المعلومات الجغرافية فتعطى وصفاً تفصيلياً عن طبيعة حياة للناس وما تميزوا به من عادات وتقاليد وملبس ومأكل، ويصف طبوغرافية المناطق التى يشهدها المؤلف، ويشير إلى الأراضى الزراعية ومنتجاتها وما تشتهر به من تجارات ومصادر المياه، وفى الغالب فإن هذا النوع من الكتب يتبع المنهج الذى ترتب فيه المادة المدونة حسب الأقاليم ويشير أيضاً إلى الأديان والمذاهب والصناعات والحرف.... إلخ.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافية التاريخية هى كتب البلدان التى تتبع أسماء البلدان أساساً فى تنظيم المادة المكتوبة مع ترتيب أسماء البلدان (مدن-

قرى-كور-رساتيق- وغيرها) حسب حروف المعجم. وخير مثال على هذا النوع من المؤلفات كتاب (معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) وكتاب (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) لصفى الدين البغدادي (ت ٧٣٩ هـ)، وهناك من خصص كتابًا لأسماء البلدان في موطنه مثل ابن الجيعان (ت ٨٨٥ هـ) الذي ألف كتاب (التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية) فهذه تفيد القارئ بأن تزوده بالمعلومات الجغرافية والتاريخية لأنها تذكر أولاً الموقع الجغرافي وتحديدته وأهميته للإقليم وبعض المعلومات المناخية والطبوغرافية عنه. ثم تذكر ما حدث من أحداث سابقة لعصر المؤلف أو معاصرة له، وتذكر أيضًا أهم الشخصيات التي اشتهرت في كل بلد-وهذا ما فعله ياقوت - إن فائدة هذه الكتب كبيرة ولاسيما في مجال الحصول على المعلومات التاريخية عن الأحداث.

كما أن الباحث لا غنى له عن هذه الكتب التي تزوده بشرح واف عن موقع المدينة أو القرية وأهميتها في حالة حاجته إلى شرح المفردات والمصطلحات من هذا النوع، وينصح الباحث هنا أن يستعين بمصدر ألف من قبل أحد المؤلفين المعاصرين للفترة التي يعالجها الموضوع، فإذا كان المصطلح الجغرافي المراد شرحه في الهامش ورد في متن بحث يعالج قضية تاريخية تعود إلى القرن الثامن الهجري، لا يصح أن يعتمد على ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لأنه بلا شك حدث تطور وتغيير على البلدان خلال الفترة الطويلة التي تفصل بين عصر المؤلف تم اعتماده وبين الفترة موضوع البحث.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافية التاريخية، تفيد القارئ بتعريف مواقع المحلات والمدارس والجوامع وغيرها من المنشآت العمرانية، وهي كتب الخطط وهذه الكتب تعنى بذكر طبوغرافية المدن كالشوارع والدروب والدور والمحلات والأسواق والجوامع والربط والزوايا وغيرها وفي الغالب ترتب

حسب الأحرف وخير مثال على هذا الصنف كتاب (الانتصار لواسطة عقد الأمصار) لابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) وكتاب (الخطط المقرزية) لتقى الدين المقرزى وهما مطبوعان. فالذى يبحث فى تاريخ مصر فى العصر المملوكى لا بد أن يعتمد على هذين الكتاين.

إن اعتماد الباحث على المصادر المتخصصة فى التعريف بالمصطلحات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية يضىء على بحثه طابعاً علمياً فالمعلومة قد تؤخذ من مصدر غير متخصص كأن يكون فى التاريخ العام ولكن استقاءها من المصدر المختص هو المقدم.

١١ - الذيل والمختصرات

ظهر اتجاه فى التأليف عند المؤرخين المسلمين يعتمد على تكملة الكتب التاريخية ولا سيما كتب التاريخ العام أو كتب التراجم، وكذلك اختصار بعض تلك المؤلفات سواء من مؤلفى الكتب الأصلية أم من مؤلفين آخرين، والواقع أن كتب الذيل وخاصة تلك التى تبدأ من حيث انتهى المؤلف الأول تعد من كتب المصادر الأولية، وخاصة إذا كان الذيل أو التكملة أو الصلة بذيل على الكتاب لفترة عاصرها ولم يذكرها المؤرخ الأول.

أما كتب المختصرات فهى فى الغالب لا تأتى بأخبار جديدة، ولا ينصح الباحث بالاعتماد عليها ما دام الكتاب الأصل فى حيز الوجود، وقد يسمى الكتاب المختصر باسم (المنتخب) أو (المنتقى) مثل كتاب (المنتخب من تاريخ دمشق) فهذا الكتاب كان يعتمد من قبل الباحثين الذين لا يستطيعون الوصول إلى الكتاب الأصل الذى ألفه ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) فى ثمانين مجلداً لأنه كان مخطوطاً. أما وقد حقق ونشر فى السنوات الأخيرة، فأصبح من الأولى الرجوع إليه لأن معلوماته أوسع وأدق

إن الوثائق لا يقتصر وجودها على التاريخ الحديث أو المعاصر، فقد تضمنت كتب التاريخ الإسلامى ولاسيما التاريخ العام والتراجم الكثير من الوثائق الخاصة والرسمية، ونعنى بالوثائق الخاصة تلك الرسائل المتبادلة بين العلماء القاطنين في مدن متباعدة^(١) أو كتب الوقف (الوقفيات) الخاصة ببعض أفراد المجتمع، فقد شكلت هذه الوثائق مادة دسمة ومهمة لدارس التاريخ قديماً وحديثاً ومثال ذلك الرسالة التي بعث بها ياقوت الحموى إلى المؤرخ القفطى (ت ٦٤٦هـ) حينما كان شاهداً على اجتياح المغول للمشرق الإسلامى وأسر ثم تمكن من الفرار^(٢) أو الوقفية التي كتبها المؤرخ ابن تغرى بردى إذ حوت معلومات لا توجد في مصادر أخرى عن أسرته وعلاقاته ومستواه المعيشى ومكانته الاجتماعية^(٣).

أما الوثائق الرسمية فهي رسائل الخلفاء أو السلاطين إلى ولايتهم في أطراف الدولة أو إلى بعض القضاة ورسائلهم إلى الدول أو القوى المجاورة كرسائل الخلفاء الأمويين إلى ولايتهم أو رسائل ولايتهم إليهم، أو رسائل قادة المسلمين إلى الدول المجاورة أو كتب الصلح والمعاهدات وقد أدرج المؤرخون الكثير من هذه الكتب منذ عصر الرسول (ﷺ) حتى العصور الإسلامية المتأخرة، وهناك رسائل تعد ذات قيمة عالية في دراسة نفسية مرسلها كالرسالة التي أرسلها هولاءكو إلى المهاليك في مصر يدعوهم إلى الاستسلام وفتح أبواب مصر، والرسالة الجوابية

(١) هناك الكثير من المصطلحات الدالة على نقل المؤرخين من الوثائق الخاصة مثل: الرسائل المتبادلة بينهم ينظر: الكتانى، ذيل مولد العلماء (١٠/ ١٩٩)؛ أبو نعيم، حلية الأولياء (ص ١٠٣)؛ الخطيب البغدادي، (١/ ٣١٤)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، (٥/ ٥٠٢).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٦ / ١٢٧ - ١٣٨). حيث أوردتها بتامها وكمالها.

(٣) نشرها عبد اللطيف إبراهيم ضمن مجموعة أبحاث عن المؤرخ ابن تغرى بردى، القاهرة، ١٩٧٤.

على رسالته^(١). فهذه الوثائق سواء خاصة كانت أم رسمية توفر للباحث معلومات ذات قيمة تاريخية عالية ونادرة وتعد من أهم المصادر الأولية في كتابة التاريخ الإسلامي.

وفي ختام البحث عن المصادر تجدر الإشارة هنا إلى عدد من المؤرخين المسلمين ومساهماته في مجال التدوين التاريخي وأهميتها وكيفية الاعتماد عليها.

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢ / ٤٩ - ٥٢ وقد نقلها بنصها.

البحث الخامس

اختيار الموضوع أو تحديد عنوان البحث

يحتل اختيار موضوع البحث أهمية خاصة كونه سيكون فيما بعد محور عملية البحث التاريخي، وكلما كان الموضوع المختار جيداً وتوافرت به الشروط اللازمة للموضوع الجيد، توافرت الفرصة لدى الباحث لإخراج بحثه بشكل ينال رضى المختصين وستحدث عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل:

١ - تحديد الاختصاص^(١)

هناك جملة أمور ومؤثرات تدفع طالب الدراسات العليا- الماجستير - تحديده^(٢) نحو تحديد الاختصاص الذى سيبحث فيه، فهناك ضمن الاختصاص العام (التاريخ) اختصاصات فرعية مثل التاريخ القديم، الوسيط الإسلامى، الحديث والمعاصر، وينقسم طلبة الماجستير فى السنة التحضيرية إلى قسمين^(٣):

(١) أشار إلى هذا الجانب باختصار عبد الله الفياض، التاريخ فكرة ومنهجاً، (ص ٤٦).

(٢) حددنا طلبة الماجستير على اعتبار أن من يختار هذه المرحلة سيتابع الكتابة فى الاختصاص ذاته خلال مرحلة الدكتوراه، وهذا ما هو معمول به فى الجامعات العراقية.

(٣) إن هذا التقسيم يشمل الطلبة الذين يدرسون مواد تاريخية عامة فى السنة التحضيرية.

القسم الأول: هم الذين حسمو أمرهم منذ البداية فى اختيار تخصص معين.

القسم الثانى: هم الطلبة المترددون فى اختيار اختصاص معين.

والواقع أن هناك بعض المؤثرات تدفع الباحث نحو التخصص فى حقل معين من حقول التاريخ منها ما يتعلق بحجم المعلومات التى تحصلت للطالب أثناء دراسته الأولية، فكما كانت تلك المعلومات نوعية وموسوعية فى هذا الاختصاص أو الاتجاه التاريخى أو ذلك تراه يميل إليه، وهناك بعض الطلبة يتأثرون ببعض الأساتذة ممن تتلمذ عليهم أثناء السنوات الأربع فى الدراسة الأولية، فتدفعهم رغبتهم فى الاتجاه نحو التخصص ذاته لرغبتهم بإكمال دراستهم تحت إشرافهم، وهناك قسم آخر من الطلبة يدفعهم نحو تخصص معين ما يتوافر لديهم من مصادر وأبحاث فى اختصاص معين فيتم اختيارهم له، وقسم آخر وهم قلة يتقنون لغة أجنبية فضلاً عن العربية، فيختارون موضوعاً فى التاريخ الأوروبى والتاريخ التركى أو الإيرانى وهى فى الغالب ضمن التاريخ الحديث والمعاصر. وهناك من الطلبة من يرى أن التخصص فى التاريخ القديم يمنحهم الفرصة الكافية للبحث فى مواضيعه دون الالتفات لما قد يثيره من حساسية فيما لو كان تاريخاً معاصراً مثلاً، وقد سألت بعض من تخصص فى التاريخ القديم عن السبب فى ذلك فأجابوا إن ذلك يعود لأن التاريخ القديم هو أصل فروع التاريخ الأخرى وأنه يحوى على أصول اللغات والأجناس فأرادوا التعمق فى التخصص لمعرفة ذلك. ويرى قسم آخر من طلبة الماجستير أن التخصص فى حقل معين من حقول التاريخ سيؤهله للحصول على وظيفة أكثر من غيره من التخصصات الأخرى سواء لقلّة المتخصصين فيه كان ذلك أو لحاجة المؤسسات الأكاديمية له. وعلى أية حال، فالطالب الذى يسأل نفسه أولاً عن أى التخصصات يرغب فيها، سنجد أن تلك المؤثرات أو بعضها يقفز إلى ذهنه ويتراءى أمام عينه، إلى أن يتمكن من تحديد ذلك الاختصاص.

٢ - شروط اختيار الموضوع

هناك العديد من الشروط التي يجب أخذها بنظر الاعتبار عند اختيار موضوع البحث ويأتي في مقدمة هذه الشروط الشرط الذاتي المتمثل بالرغبة الشخصية في إنجاز عمل ما، لأن تلك الرغبة أساس النجاح لكل عمل، ولما كان البحث التاريخي متعباً ومملأً ويحتاج إلى الصبر والمثابرة والاستمرارية فيه فلا بد من توفر الرغبة الذاتية عند اختيار موضوع ما، وكلما كان الموضوع محبباً إلى نفسه راغباً في الخوض فيه، كانت النتائج النهائية للبحث التاريخي جيدة، وعلى حد قول - احمد شلبي - إن على الباحث أن يختار موضوعاً يحبه ويمتزج بدمه ويتصل بروحه، ويقبل دائماً عليه، ويفر لا منه بل إليه^(١) ولكن شريطة أن يلتزم الباحث بأحد الشروط الأساسية في دراسة التاريخ وهو عدم التحيز والحيادية فلعل ميله لموضوع معين يدفعه نحو التغاضي عن ذكر بعض الحقائق فكما قيل:

وعين الرضى عن كل عيب كليله

ولكن عين السخط تبدى المساويا^(٢)

وينصح الباحث الذي لا يأمن من الانحياز بأن يقوم منذ البداية باختيار موضوع يرى في نفسه القدرة على الكتابة فيه دون تمييز.

وهناك شرط مهم آخر لاختيار موضوع بحث معين يتمثل بالتأكد من وجود مصادر متنوعة تحوى مادة أولية كافية لكتابة الموضوع، على أن تكون هذه

(١) الدكتور عبد العزيز شرف والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، (ص ٤٠).

(٢) أبو هلال العسكري، جهرة الأمثال، (ج ١ / ٣٥٦).

المصادر بلغة أو بلغات يفهمها الباحث وهذا يعنى أن عليه أن لا يجازف فى الخوض بموضوع جل مصادره أجنبية كأن يختار مثلاً موضوعاً يبحث فى العلاقات بين دولتين غير عربيتين خلال فترة زمنية معينة دون أن يكون له أدنى معرفة بتلك اللغتين أو إحداهما، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اعتماد الباحث على الترجمة سيؤدى به إلى الوقوع فى الأخطاء الناجمة عن عدم فهم النصوص، لأن المترجمين فى الغالب من غير ذوى الاختصاص فينقلون الكلام من اللغة الأجنبية إلى العربية نقلاً حرفياً دون أن يكون لهم إلمام بالفهم العام للموضوع أو المصطلحات التاريخية وغيرها.

لقد حدد أحد الباحثين بعض الأسئلة التى يمكن طرحها من قبل الباحث على نفسه قبل أن يقرر البحث فى الموضوع المختار وهى^(١):

١- هل يستحق هذا الموضوع ما سيبدل فيه من جهد؟

٢- أمّن الممكن كتابة رسالة فى هذا الموضوع؟

٣- أفى طاقتى أنا أن أقوم بهذا العمل؟

٤- هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

وهناك أشخاص شاركوا فى الأحداث ينشرون مذكراتهم بعد زوال المانع وهكذا. أما التاريخ الإسلامى فإن معظم مصادره استقرت وأصبحت معروفة وحتى المخطط منها بالإمكان الإطلاع عليه والنقل منه، ولما كان الأمر كذلك فإن الذى كتب فيه عن شخصية ما ستكون مصادره هى ذاتها التى سيعتمدها الباحث الآخر، ولكن يبقى الأمر معتمداً على مدى جدية كل من الباحثين ومثابرتهم واعتمادهم على أسلوب النقد والتحليل المستند إلى القرائن التاريخية.

ويرى "جواد على" أن على الباحث أن لا يخوض فى المواضيع المحظورة أو

(١) أحمد شلبى، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، ص ٦٣٦.

المحدورة مثل: (النواحي المثيرة للعواطف عند الإنسان، والنواحي المثيرة للبغضاء بين أبناء المجتمع أو بين الإنسانية أو التي فيها تهجم على نظم أخلاقية قائمة وعلى أديان معترف بها فقد كان لكتب التاريخ التي ألقت في ألمانيا وفرنسا عن علاقات الشعبين ببعضهما البعض في القرن التاسع عشر أثرًا كبيرًا في إثارة البغضاء والحقد بين الشعبين المتجاورين) (١).

٣ - كيفية اختيار الموضوع

هناك بعض النصائح التي يمكن للباحث أو طالب الدراسات العليا اتباعها من أجل اختيار موضوع بحث معين، وتأتي في مقدمة هذه النصائح القراءة المتقنة للكتب ذات العلاقة المباشرة بالاختصاص الذي يروم الكتابة فيه، سواء مصادر أكانت أم مراجع فالقراءة تكسب القارئ إمكانية أن يقف على أرضية صلبة لاختيار عناوين بحوث، لذا نجد أن معظم المواضيع التي أصبحت فيما بعد على شكل كتب إنما تم اختيارها عن طريق القراءة، إن المواضيع تتوالد في الظهور كالأفكار فكرة تلد أخرى. وذلك يتحصل لدى القارئ النبيه الذي يظن إلى مواضيع معينة أو يلتفت إلى عنوان فصل ضمن كتاب يصلح أن يكون بحثًا مستقلًا، كما أن الاطلاع على بعض العناوين قد تنبه الباحث على موضوع معين ويجب عرض ذلك على الأساتذة في مرحلة الماجستير والدكتوراه

٤ - تحديد عنوان البحث

وبعد أن يستقر الباحث وطالب الدراسات العليا على اختيار موضوع معين عليه أن يحدد العنوان، فكلما كان العنوان محددًا تمكن الباحث من تحقيق شرط أساسي من شروط البحث التاريخي يتعلق بضرورة أن ينطبق العنوان على محتوى

(١) حميد المطبعي، الدكتور جواد علي، ص ١٥٦.

البحث حينها يكتمل، لأن الكتاب كما يقال يقرأ من عنوانه، فإذا كان العنوان مثلاً ابن الأثير لابد للباحث من الكتابة عن جميع مؤلفاته التاريخية: أسد الغابة، اللباب، الباهر.

٣- إن الخطة لا توضع بشكلها النهائى منذ البداية، بل هى أولية أو يمكن وصفها بأنها (خطة مؤقتة) لأنها ستتغير وتتطور من حيث الزيادة والنقص والحذف والإضافة، كلما تقدم الباحث فى عملية جمع مادة البحث إذ أنه سيحصل على معلومات جديدة تصلح لأن يكون لها عنوان معين، أو أنه يدرك بأن العنوان الفلانى فى فصل ما من فصول الخطة المؤقتة لا ضرورة له، أو أن هناك ما هو أهم منه، وهكذا تجرى عليها التعديلات حتى النهاية فى مرحلة الكتابة إلى أن تستقر بشكلها النهائى، لذا على الباحث أن ينتبه لهذا الجانب.

٤- يجب أن يراعى الباحث أن تكون الخطة شاملة لكل أطراف الموضوع، وأن لا يترك جانباً ما دون أن يوليه الاهتمام ويخصه بعنوان رئيس أو ثانوى تبعاً لأهميته، وبذلك يحقق الباحث شرطاً ضرورياً من شروط البحث العلمى ألا وهو انسجام المحتوى مع العنوان الرئيس للكتاب.

٥- ينصح الطالب بعرض خطة البحث الأولية أو المعدلة على الأستاذ المشرف والأساتذة المختصين، فربما التفتوا إلى بعض النقاط المهمة فى الخطة.

٦- إن أسبقية الفصول تعتمد على الترتيب المنطقى، وأفضل ما يمكن أن يتبعه الطالب فى ترتيب فصول الخطة هو حسب التسلسل التاريخى.

٧- يجب أن يلاحظ الباحث أن أحد عوامل وضع خطة جيدة تتوفر فيها الشروط العلمية هو وضع عنوان واضح ومحدد لمشكلة البحث، فكلما كانت كذلك يمكن من وضع خطة دقيقة وشاملة ومتوازنة.

خطة مقترحة

إذا كان عنوان البحث هو (ابن الأثير ومساهماته في التدوين التاريخي) فهذا يتطلب أن يضع الباحث خطة تشتمل على سيرة المؤلف وجميع ما أنتجه من كتابات تاريخية، أما إذا كان العنوان بالشكل الآتي (ابن الأثير وكتابه الكامل في التاريخ) فستكون الخطة الأولية على النحو الآتي:

ابن الأثير وكتابه الكامل في التاريخ

- المقدمة وتحليل المصادر
- ملامح الحياة السياسية والثقافة لعصر المؤرخ
- الفصل الأول: سيرة ابن الأثير
أولاً: ولادته ونسبه ونشأته
ثانياً: أسرته ومكانتها الاجتماعية والعلمية
ثالثاً: دراساته وشيوخه
رابعاً: رحلاته وعلاقاته وأثرها في نضجه العلمي
خامساً: وفاته
- الفصل الثاني: مكانته العلمية
أولاً: ثقافته
ثانياً: تلامذته
ثالثاً: مؤلفاته
رابعاً: أقوال العلماء فيه
خامساً: المصادر التي اعتمدت على كتاباته

- الفصل الثالث: - كتاب الكامل فى التاريخ
أولاً: عنوان الكتاب ومخطوطاته وطبعاته
ثانياً: الإطار الزمنى لحوليات الكتاب
ثالثاً: تقسيم الكتاب
- الفصل الرابع: - منهج ابن الأثير فى كتابه الكامل فى التاريخ
أولاً: منهجه فى ذكر الحوادث
ثانياً: منهجه فى ذكر التراجم
ثالثاً: مصادر الكتاب
رابعاً: النقد التاريخى
خامساً: المآخذ على الكتاب
- الخاتمة
- قائمة المصادر والمراجع
- الفهرست

٥ - جمع المادة التاريخية

بعد أن يضع الباحث خطة البحث بشكلها الأولى، يأتى على مرحلة جمع النصوص على أساس مفردات الخطة، وهنا ينصح طالب الماجستير أو الباحث المستجد بالآتى:

أ- قراءة مقدمة المحقق إذا كان الكتاب مصدراً أولياً، أو مقدمة المؤلف إذا كان مصدراً غير محققاً أو مرجعاً، فإن ذلك سيعطيه فكرة عن المؤلف والكتاب.

ب- الاطلاع على محتويات الكتاب المثبتة عادة أما فى بدايته أو فى نهايته، كى يعلم ما إذا كان هذا الكتاب فائدة لبحثه أم لا.

ج- الاطلاع على فهارس الكتاب التي يضعها بعض المحققين للمصادر التي حققوها وهي تشتمل على فهارس الأعلام والمدن وأحياناً المؤلفات والمصطلحات الإدارية والحضارية، فلعلها تنبئه إلى صفحات تواجد المعلومات المطلوبة.

د- بعد التأكد من أن هذا المصدر أو المرجع يتضمن نصوصاً لها صلة بموضوع البحث، يخصص الباحث بطاقة بلون معين يسجل فيها كل ما يحتاجه من معلومات عن المصدر في تنظيم قائمة المصادر والمراجع.

هـ- يفضل أن يكون جمع النصوص على أساس الجرد الذي حصر به الباحث المصادر والمراجع التي تتضمن نصوصاً تخص موضوع البحث، فينظر بها مصدرًا بعد آخر، وهذا يعنى أنه سيخصص بطاقة لكل نص سواء أكان يخص الفصل الأول أم الثاني أم الثالث، ولا ينصح بأن ينقل من الكتاب ما يخص الفصل الأول مثلاً ثم ينهى المصادر ليعود مجددًا لجمع النصوص الخاصة بالفصل الثاني، لأن ذلك سيفقده حتمًا بعض النصوص وسيبذل جهدًا ووقتًا إضافيًا، على أن يؤشر الباحث علامة معينة إزاء كل كتاب قام بجمع نصوصه، كي لا يتوهم فيعود إليه ثانيًا.

و- ينصح الطالب أن يقوم أثناء جمع المادة بتسجيل كل ما يعن له من ملاحظات وهذه الملاحظات قد تسد ثغرة ما أو تصلح لأن تكون علو البحث أو حتى فصل، أو تشكل رأى أو فكرة تطرح أثناء الخوض في موضوع البحث ويجب تسجيلها وعدم الاعتماد على الذاكرة في حفظها لأن نصيها سيكون النسيان بتوالي الأيام والاسترسال بالبحث والتقصي. وقد أشار بعض المؤلفين العرب المسلمين إلى ذلك كقول

القزويني (ت ٦٨٢هـ): (لقد حصل لي في طريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة، فأحببت أن أقيدها لتثبت، وكرهت الذهول عنها مخافة أن تفلت)^(١).

٦ - طرق جمع النصوص

هناك خمسة طرق متبعة من قبل الباحثين في الوقت الحاضر، منها ما هو تقليدى ومنها ما هو حديث ومتطور بتطور وسائل الحصول على المعلومات إلكترونيًا. وهذه الطرق، هي:

أ- طريقة الدفتر: ويقوم الباحث وفقًا لهذه الطريقة بجمع النصوص على أوراق الدفتر الثابتة، وهى طريقة قليلة الاستخدام لما تحمله من سلبيات، أهمها أن الدفتر المستخدم قد يتعرض للضياع لأن الباحث سيضطر إلى حمله معه في تجواله بحثًا عن المصادر ما دامت أوراقه خالية لم يسجل عليها شيء في حين نجد العكس في طريقة البطاقات إذ لا يحمل معه الباحث إلا عددًا من البطاقات الفارغة، كما أن هذه الطريقة ستتعب الباحث حينما يأتي لمرحلة فرز المادة إذ لا يمكن أن يتم ذلك، وإذا أراد الكتابة دون فرز فإنه سيضطر إلى تقليب أوراق الدفتر مرات ومرات بحثًا عن النص المنشود لذا ينصح طالب الدراسات بالابتعاد عنها.

ب- طريقة الملف: وعلى أساس هذه الطريقة يقوم الباحث بجمع مادة البحث على أوراق يشبثها فيها بعد في الملف أو (البوكس فايل) وهذه الطريقة يستحسنها بعض الباحثين^(٢) للأسباب التالية:

(١) زكريا بن محمد القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (ص ١٧).

(٢) أحمد شلبى، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، (ص ٨٠).

أولاً- أن الطالب يسيطر على بحثه إذا اتبع هذه الطريقة.

ثانياً- أن الملف يحفظ الأوراق ولا تحفظها طريقة البطاقات.

ثالثاً- سهولة الرجوع إلى النص المنقول على أوراق الدوسيه لأنه مقسم إلى أقسام.

رابعاً- إمكانية التحقق من حقيقة نقله للنص إذا شك في ذلك لأن الباحث يحمل الملف معه وهو يجمع النصوص.

ج- طريقة البطاقات: أو (الجزازات) كما كان يسميها المؤلفون القدامى^(١). إن البطاقات المستخدمة حالياً تختلف عن سابقتها فهي ملونة ومصنوعة من الورق المقوى الصقيل لتسهيل استخدامها عند الباحث وهي عادة تكون بشكل مستطيل وبحجم واحد ولا يوجد اتفاق حول قياسات حجمها وعلى الأكثر فإن ذلك يتوقف على ما يرغب به الباحث، ووفقاً لهذه الطريقة ينحصر الباحث مجموعة من البطاقات بلون معين لكل فصل من فصول الرسالة أو البحث، ولا يكتب إلا نصاً واحداً فقط على وجه واحد فقط من وجهتي البطاقة مهما كان ذلك النص قصيراً وذلك لأن كتابة أكثر من نص سيؤدي إلى فقدان بعضها إذا ما اقتبس الباحث النص الأول وترك الثاني ليعود إليه مجدداً، فإنه حتماً سينسى ذلك بسبب استغراقه في الكتابة، أما إذا كان النص طويلاً فيمكن له أن يستخدم أكثر من بطاقة على أن يرقم البطاقات ويشير في أسفل يسار الأولى إلى تكملة النص في الثانية بعلامة معينة أو كلمة (يتبع). ولا ينصح الباحث باستخدام ظهر البطاقة إلا في حالة واحدة، وهي أن الباحث تعن له أحياناً وجهة نظر أو رأى ما

(١) الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) إلى أنه استخدمها، انظر: تاريخ بغداد، (١٢ / ٤٧٤). وكذا الحال لابن العديم (ت ٦٦٠هـ) الذي سماها الجزازات، ابن العديم: بغية الطلب، (ج ٦ / ص ٢٥٣٦).

أو نقد معين أثناء جمعه للنص فيمكن له في هذه الحالة أن يسجله على ظهر البطاقة كأن يكتب كلمة (خاص) متبوعة بسهم كدلالة على أن هناك رأى خاص بالباحث.

ويفضل الكثير من الباحثين هذه الطريقة على الطريقتين السابقتين للأسباب الآتية:

أولاً- سهولة استخدامها وتحريكها لطبيعة الورق المصنوعة منه على عكس أوراق الملف.

ثانياً- سرعة الفرز لأنها ملونة بخلاف أوراق الملف.

ثالثاً - سهولة وضعها في درج مقسم إلى عدة أقسام على عدد فصول البحث.

رابعاً- سرعة الرجوع إلى البطاقة المطلوبة للتأكد من أن النص تم نقله أو لا في حالة إذا ما شك الباحث بنقله لأنها ملونة أولاً ولأن الباحث هنا سيشير في أعلى يسار البطاقة إلى النقطة من نقاط الفصل التي يتعلق بها النص المنقول.

خامساً- لا يحمل الباحث معه إلا البطاقات الفارغة التي يحتاجها لتسجيل النصوص، أما البطاقات الأخرى ستكون في مكتبة بدرجها الخاص بها وهو مطمئن على وجودها.

٧ -الجمع وفق نظام البطاقات

عمد الباحثون على استخدام نظام البطاقات في جمع المادة العلمية المراد جمعها للبحث المميز مع كتابه وهذا النظام يوفر للباحث الجهد والوقت والتنظيم وفق أبوابه وعنوانات البحث المراد كتابته.

فعند اختيار بحث ما نعمل في بداية الأمر على رسم خطة للبحث تشتمل

على مباحث رئيسية وعلى عناوانات فرعية لكل مبحث وعند استخراج معلومات المعينة بالبحث من مصادر ومراجع نكتب هذه المعلومات (بطاقات خاصة).

ونجعل لكل بطاقة عنواناً يتلاءم مع عناوين خطة البحث وتكرر هذه العملية عند قراءة كل كتاب حتى يصل بنا مطاف لجمع المعلومات عن عدة الكتب التي تخص موضوع البحث وبعد الانتهاء من عملية الجمع نقوم بفرز المعلومات المدونة على بطاقات حسب الخطة التي رسمناها للبحث ومن ثم نقوم بعزل البطاقات ونبدأ بالكتابة وفق أولويات المعلومات المستحصلة في عملية الجمع.

ملاحظات عامة

عند كتابة الهامش لأول مرة نعتمد الآتي:

نكتب اسم المؤلف، عنوان كتاب، واسم المحقق إن وجد، طبعته مطبعة، مكان الطبع، سنة الطبع، جزء.

مثال:

الطبرى، (محمد بن جرير)، (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق
(محمد أبو الفضل إبراهيم)، طبعه، مطبعة بولاق، مصر (١٩٦٧ ج ٤ ص ١١٤).

إذا استخدمنا المصدر أعلاه للمرة الثانية سواءً في ذات الورقة أو الأوراق التالية من بحث تعمد إلى الاختصار نكتب الطبرى، تاريخ الرسل، ج، ص.

الإدارى للدولة ثم تأخذ أبرز الأعمال التي قامت بها الدولة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتتابع هذه الأعمال حتى الفصل الأخير الذى يتناول كيفية سقوط الدولة وإنهارها.

قبل دخول المكتبة يجب أن تكون لنا معلومات عن كيفية فهرست الكتب في

داخل المكتبة ليتسنى لنا إخراج الكتاب بسرعة محكمة وعدم التعثر وإضاعة الوقت لعدم معرفتنا لفهارس المكتبات.

فهرست المكتبات

وفق نظام عالمى الشهرة ويسمى أيضًا بتصنيف (ديوي) وقد عمد هذا التصنيف الكتب حسب الاختصاصات ووفق نظام عشري بجعل من رقم واحد الـ ٩٩ لاختصاص معين.

ومن (١٠٠ - ١٩٩) اختصاص آخر وهكذا

وكتب التاريخ من (٩٠٠ - ٩٩٩).

كل كتاب يدخل مكتبة يُعمل له تصنيف (هوية) ولتسهيل مهمة البحث عن هوية الكتاب بالنسبة للباحث عمل أهل المكتبات إلى جعل لكل كتاب ثلاث هويات وثلاث بطاقات تعريفية للكاتب

١- البطاقة الأولى تحمل اسم المؤلف ومن ثم اسم الكتاب ومن ثم عدد أجزاء الكتاب وتحمل رقم التصنيف العشري للكتاب داخل المكتبة.

مثال الطبرى

المؤلف: محمد بن جرير الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

مطبعة بولاق مصر (١٩٧٧)

عدد الأجزاء (١٠)

٢- البطاقة الثانية لذات الكتاب تكون كالآتي: اسم الكتاب ثم اسم المؤلف

تفاصيل الطبع على الأجزاء وتحمل نفس تفاصيل البطاقة الأولى

تاريخ الرسل والملوك ٩٥٣ / ٧٥ / ٤١٤

محمد بن جرير الطبرى متوفى ٣١٠ هـ

مطبعة بولاق مصر ١٩٧٧

عدد الأجزاء (١٠)

٣- البطاقة الثالثة لنفس الكتاب وتشمل على مضمون الكتاب ثم الكتاب ثم المؤلف ثم التفاصيل، الطبع. عدد الأجزاء وتحمل نفس التطبيق العشري تاريخ إسلامي (٩٥٣/٧٥/٤١٤)

تاريخ الرسل والملوك

محمد بن جرير الطبري

مطبعة بولاق ١٩١٧

عدد الأجزاء (١٠)

هذه التصنيفات وضعت لخدمة الباحث لإخراج الكتاب بسرعة ممكنة فإذا كان الباحث يعرف اسم المؤلف ولا يعرف اسم الكتاب فعليه أن يبحث بالمجلات (الأزكسان). المهية بأسماء المؤلفين فإذا كان المؤلف يبدأ اسمه بحرف الياء فعليه، وإذا كان في حرف الألف نفتش عليه في الدكس الألف، أما إذا كان الباحث يعرف اسم الكتاب ويجهل اسم المؤلف فعليه أن يفتش عنه في مجرات العناوين.

فإذا كان البحث في التاريخ فيذهب إلى إندكس التاريخ بعد استخراج الكتاب والإطلاع على محتويات الكتاب ومضامين الكتاب ومعرفه هل تناول للكتاب موضوع البحث أم لا؟

فإذا كان الكتاب تناول موضوع البحث يجب أن تدور معلومات وأي جمع المعلومات بشكل عشوائي ولعملية جمع المعلومات وفق أسس علمية منها الاعتماد على أسلوب جمع معلومات وفق نظام يسمى البطاقات، ويجب الابتعاد عن عملية جمع المعلومات بالأوراق أو بدفاتر خاصة مما لهذه العملية من مساوئ

تشتمل بإضاعة الوقت وعدم الترتيب التى تخص بها نظام البطاقات إن نظام البطاقات يوفر للباحث الجهد والوقت فى آن واحد ولهذا فضلاً عن التبويب التى وضعها الباحث للموضوعات التى تناولها الباحث.

ما هى الطرق المطلوبة فى كتابة البحث (اختيار عنوان الموضوع)

١- وضع الخطة

٢- كل جدول - للكتب والمصادر

٣- العمل فى كتابة الموضوع إما على نظام الأوراق أو البطاقات.

اسمه/ عبد الله محمد بن على

السياسى (١)

ولد فى دمشق

(١) الطبرى، عبد الله محمد بن على

تاريخ الرسل والملوك ت/ محمد

مطبعة بولاق ١٩٦٧هـ

تكتب تفاصيل الكتاب بكامله عند ورود المصدر لأول مرة: اللقب، الاسم الكتاب / ت/ طبعة / سنة ومكان الطبع ثم جزء وصفحة.

الطبرى، محمد بن جرير، الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط، مطبعة بولاق.

إذا ورد المصدر مرة ثانية سواء فى نفس الصفحة أو صفحات أخرى نعلم إلى الاختصار فنذكر اللغة، اسم الكتاب جزء وصفحة.

كتابة البحث

بعد الانتهاء من عملية جمع معلومات نبدأ بتبويب المعلومات (إعداد خطة البحث) التى تشتمل على المقدمة وفق التقسيمات الداخلية للموضوع فإذا كان

البحث المراد كتابته يتعلق بشخصية معينة كأن يكون حول الخليفة أبو جعفر المنصور فنقسمه كالآتي:-

المبحث الأول: ويشمل على

اسمه / ولادته / كنيته / لقبه / تربيته / نشأته الأولى / وأهم الوظائف والأعمال التي أنيطت به قبل توليه الخلافة.

المبحث الثاني:

توليه الخلافة / الأعمال التي قام بها:

كأن يكون أعمال سياسية / الأعمال الإدارية / الأعمال العسكرية.

المبحث الثالث:

أن يكون عن الناحية العمرانية بناء بغداد - تخطيط المدينة اختيار الموقع / سكان القبائل.

وبعد هذا تكون الخاتمة وتشمل:

أ- أبرز الاستنتاجات التي توصل إليه المبحث ومن ثم قائمة المصادر

بعد رسم الخطة أعلاه نبدأ بعملية كتابة البحث وكتابة البحث نعتمد على المعلومات التي جمعناها فنبداً بتقسيم معلومات المجموعة وتوزيعها حسب الفصول والمباحث التي رسمناها في الخطة، نستخرج البطاقات التي تناولت اسم المصدر ونبدأ بقراءتها وتصنيفها وكتابتها للبحث، علماً بأن الورق المستخدم في البحث تقسم إلى قسمين بخط لا يتجاوز منتصف الصفحة فيصبح الجزء العلوي من الورقة (متن) والجزء السفلي من الورقة (هامش).

الإداري للدولة ثم نأخذ أبرز الأعمال التي قامت بها الدولة من الناحية

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتتابع هذه الأعمال حتى فصل الأخير الذى يتناول كيفية سقوط الدولة وانهارها.

قبل الدخول إلى المكتبة يجب أن تكون لنا معلومات عن كيفية فهرست الكتب داخل المكتبة ليتسنى لنا إخراج الكتاب بسرعة ممكنة وعدم التعثر وإضاعة الوقت لعدم معرفتنا لفهارس المكتبات.

٨ - الخاتمة

ورد مصطلح (الخاتمة) عند بعض المؤلفين العرب المسلمين، لكن استخدامها لم يكن كما هو فى البحث العلمى الحديث، إذ كان يضع بعض المؤلفين عنوان الخاتمة للباب الأخير من أبواب الكتاب، وفى المنهج الحديث لكل بحث خاتمة وتسمى عند بعض الباحثين باسم (الخلاصة) ^(١) وهى تسمية غير دقيقة لأنها تختلف من حيث المضمون عن الخاتمة، وقد تسمى أحياناً (الاستنتاج) أو (النتائج).

والخاتمة فى البحث التاريخى، مكرسة لذكر ما توصل إليه الباحث من نتائج أو حقائق أو آراء خلال عملية البحث، وهذه النتائج المذكورة فى الخاتمة يلتقطها.

٩ - قائمة المصادر والمراجع

وهى أحد أجزاء ما حول البحث (مكملاته) وتسمى أحياناً فهرست المصادر أو ثبت المصادر، والتسمية التى أثبتناها هى الأكثر شيوعاً عند الباحثين، إن على الباحث أن يسجل جميع المصادر والمراجع التى استقى منها معلومات البحث حتى وإن كان نصاً واحداً فقط، وهناك ملاحظة مهمة فى هذا الجانب تتعلق بسؤال قد يتبادر إلى ذهن طلبة الماجستير وهو: هل أن هناك مصادر لا تذكر فى

(١) خليل سعيد، منهج البحث التاريخى، ص ١٩٣.

القائمة؟ نعم وهى تلك المصادر التى أحال عليها الباحث إحالة خارجية كى يطلع عليها القارئ دون أن يكون الباحث قد استقى منها معلومات. كما أن الكتاب المتكون من عدة أجزاء يعد مصدرًا واحدًا فقط وليس بعدد أجزائه وهذه القائمة مهمة، ولا بد منها فى جميع البحوث التاريخية وذلك لأنها تعكس للمطلع على الكتاب طبيعة المصادر المعتمدة ومدى أهميتها من جهة ومن جهة ثانية - تزود البحث بما يحتاجه من معلومات عن المصادر الموجودة فيها، وتأتي هذه القائمة قبل فهرست المحتويات إذا كان ذلك الفهرست قد وضع فى نهاية البحث.

أن جمع المعلومات المطلوبة عن كل مصدر ومرجع بغية تسجيلها فى هذه القائمة ترافق مرحلة جمع النصوص، ولا ينصح الطالب أو الباحث المبتدئ بترك ذلك حتى الانتهاء من كتابة البحث، لأنه سيبدل وقتًا وجهدًا إضافيًا، كما أن المعلومات عن بعض المصادر ربما يصعب أمر الحصول عليها، لذا عليه أن يخصص بطاقة بلون يختلف عن ألوان بطاقات جمع المادة التاريخية ويدون فيها معلومات أى مصدر ومرجع تأكد أنه سينقل منه نصًا، وليكتب المعلومات بالصورة التى سيرتبها مع كل مصدر أو مرجع فى القائمة على النحو الآتي:

اسم الشهرة

الاسم الثلاثى

سنة الوفاة إن كان من المؤرخين المسلمين القدامى.

عنوان الكتاب الكامل

اسم المحقق أو المترجم إن وجد

رقم الطبعة ويرمز لها بحرف ط أعلاه الرقم (ط ٤).

اسم دار النشر

مكان وتاريخ النشر بين قوسين.

على أن يفصل بين معلومة وأخرى بفارزة ثم تنتهي المعلومات دائماً بنقطة وينصح الطالب أو الباحث حين تسجيل تلك المعلومات على (بطاقة المصدر) بوضع الحرف الأول من اسم الشهرة على وسط تلك البطاقة وبخط واضح لتسهيل أمر ترتيب البطاقات عند فرزها ومحاولة تنظيم قائمة المصادر والمراجع.

إن اسم الشهرة المتبع هنا قد يكون اسماً لأحد أجداد المؤلف، أو أبيه وربما كان نسباً أو نسبه أو لقباً، كما أن التنظيم الأساس لمصادر القائمة حسب حروف المعجم ومن الأخذ بنظر الاعتبار ألفاظ (أبو، ابن، أبي، أل) فإنها تكتب ولا يؤخذ بها في الترتيب الهجائي أو الأبجدي فإذا كانت شهرة المؤلف ابن كثير فإن ترتيب المصدر سيكون على حرف الكاف وإذا كانت شهرته الطبري سيرتب على حرف الطاء وإذا كان ابن أبي الحديد فسيكون حرف الحاء وهكذا.

قائمة المصادر والمراجع
لمنهج البحث التاريخي

- ١- القرآن الكريم.
٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط ٢، ت عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٥).
- ٣- ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد الموصلي (ت ٦٣٧هـ)، المثل السائر، ت محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (بيروت - ١٩٩٥).
- ٤- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت مصطفى زيادة، (القاهرة - ١٩٨٤).
- ٥- ابن تغري بردي، أبوالمحسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ت محمد أمين، (القاهرة - ١٩٨٦).
- ٦- الجاحظ أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى (ت ٢٥٥هـ)، كتاب الحيوان، ت عبد السلام محمد هارون، (القاهرة - ١٩٣٨ - ١٩٤٥).
- ٧- رسائل الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، (القاهرة - ١٩٦٤).
- ٨- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت ٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، (حيدر آباد الدكن ١٣٥٤هـ).

- ٩- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية، (بغداد - ١٩٩٠).
- ١٠- الجوهري، أبو ناصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح في اللغة، أحمد عبد الغفور عطا (القاهرة - ١٩٥١).
- ١١- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت - ١٩٩٢).
- ١٢- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، (القاهرة - ١٣٢٨هـ).
- ١٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ت عبد المعين خان، (حيدر أباد الدكن - ١٩٧٢).
- ١٤- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، (القاهرة - ١٩٢٢).
- ١٥- معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت - ١٩٩٥).
- ١٦- الحميري، محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية، (القاهرة - ١٩٦٦).
- ١٧- الخزرجي، الملك الأشرف الغساني (ت ٨٠٣هـ)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ت شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، (بيروت - ١٩٧٥).
- ١٨- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت - د. ت).
- ١٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي (بيروت - د. ت).

- ٢٠- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت - ١٩٦٨).
- ٢١- الدلجى، أحمد بن علي (ت ٨٣٨هـ)، الفلاكة والمفلوكون، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٣).
- ٢٢- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، مكتبة الحرم المكي، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن - د.ت).
- ٢٣- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر قزاوغي (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن - ١٣٧٠هـ).
- ٢٤- السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت (٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، مكتبة المثنى (بغداد - ١٩٦٣).
- ٢٥- ابن سعد، محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت - ١٩٧٥).
- ٢٦- ابن شاکر، أحمد بن شاکر الکتبی (ت ٧٦٤هـ)، عیون التواریخ، تحقیق: نبیلة عبد المنعم، (بغداد - ١٩٩١).
- ٢٧- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذیل علی الروضتین، دار الجیل، (بیروت - ١٩٧٤).
- ٢٨- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط ١، مطبعة السعادة، (القاهرة - ١٣٤٨هـ).
- ٢٩- الصفدى، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، نكت الهميان في نكت العميان، (القاهرة - ١٩١١).

- ٣٠- الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ)، أبناء الهصر بأبناء العصر، تحقيق: حسن حبشي (القاهرة - ١٩٧١).
- ٣١- ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٢٨هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، دار الفكر، (بيروت - ١٩٨٨).
- ٣٢- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٠٧هـ).
- ٣٣- العسكري، أبو هلال (ت ٣٩٥هـ)، كتاب جمهرة الأمثال، دار الفكر، (بيروت - ١٩٨٨).
- ٣٤- القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢هـ)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (بيروت - ١٩٧٨).
- ٣٥- الكافيجي، محي الدين محمد بن سليمان (ت ٨٧٩هـ)، المختصر في علم التاريخ، نشر مع كتاب علم التاريخ لروزنثال، (بغداد - ١٩٦٣).
- ٣٦- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت - د.ت).
- ٣٧- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ١، دار الكتاب العربي (بغداد - د.ت).
- ٣٨- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، التراث العربي (بيروت - د.ت).
- ٣٩- المقدسي، أبو عبد الله أحمد بن أبي بكر البشاري (ت ٣٨١هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.
- ٤٠- المقدسي، مطهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة - د.ت).

- ٤١- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار الفكر، (بيروت - ١٩٥٥ - ١٩٥٦).
- ٤٢- ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ)، الفهرست، دار المعرفة، (بيروت - ١٩٧٨).
- ٤٣- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء، ط ١، مطبعة السعادة، (القاهرة - ١٩٣٨).
- ٤٤- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، ط ١، مطبعة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن - ١٣٨٠هـ).
- ٤٥- أنجلو، النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية، (القاهرة - ١٩٦٢).
- ٤٦- باقر، طه ومحمد، عبد العزيز: طرق البحث التاريخي في التاريخ والآثار، (بغداد - ١٩٨٠).
- ٤٧- جابر، الدكتور فاضل، أغرب الأخبار في ضياع الحقائق والكتب والآثار، مطبعة العصامي، (بغداد - ٢٠٠٦).
- ٤٨- محاضرات في منهج البحث التاريخي، المكتبة الوطنية، (بغداد - ٢٠٠٦).
- ٤٩- ابن كثير ومنهجه في كتابة البداية والنهاية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١.
- ٥٠- جوتشلك، لويس، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائد سليمان وأحمد مصطفى، (بيروت - ١٩٦٦).
- ٥١- الدايني، واثق، على هامش ترجمة كتاب الأطروحة والكتاب، ترجمة واثق الدايني، دار الشؤون الثقافية، (بغداد - ١٩٨٨).

- ٥٢- دولنيك، وليام سي، اجتناب الرسالة العلمية المكررة، بحث ضمن كتاب الأطروحة والكتاب، ترجمة واثق الدايني، دار الشؤون الثقافية، (بغداد - ١٩٨٨).
- ٥٣- روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، مكتبة المثنى، (بغداد - ١٩٦٣).
- ٥٤- السامر، فيصل، ابن الأثير، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد - ١٩٨٦).
- ٥٥- سعيد، خليل، منهج البحث التاريخي، (بغداد - د.ت.).
- ٥٦- شلبي، أحمد، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، ط ١٥، مكتبة النهضة الأوربية، (القاهرة - ١٩٨٢).
- ٥٧- طه، عبد الواحد زنون، أصول البحث التاريخي، (الموصل - ١٩٩٠).
- ٥٨- عثمان، حسن، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، (القاهرة - ١٩٧٦).
- ٥٩- العمرى، أكرم ضياء، بحوث في السنة المشرفة، ط ٢، مطبعة الإرشاد، (بغداد - ١٩٧٢).
- ٦٠- موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، دار القلم، (بيروت - ١٩٧٥).
- ٦١- غنيم، عادل حسن وحجر، جمال محمود، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة، (الإسكندرية - ١٩٩٣).
- ٦٢- الفياض، عبد الله، التاريخ فكرة ومنهجاً، مطبعة أسعد، (بغداد - ١٩٧٢).
- ٦٣- مزبان، إسماء مهدي، الصراع على السلطة في مصر - عصر دولة المماليك البحرية - رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠٠٦.

- ٦٤- المعاضيدى، خاشع وآخرون، تاريخ الوطن العربى والغزو الصليبي، (بغداد - ١٩٨١).
- ٦٥- المطبعي، حميد، الدكتور جواد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد - ١٩٨٧).
- ٦٦- الملاح، هاشم يحيى وآخرون، دراسات في فلسفة التاريخ، (الموصل - ١٩٨٨).
- ٦٧- موافي، عثمان، منهج النقد التاريخي الإسلامى والمنهج الأوربي، (الإسكندرية - ١٩٨٤).
- ٦٨- الهوارى، صلاح الدين، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، دار ومكتبة الهلال، (بيروت - ٢٠٠١).
- ٦٩- هولمز، أوليف، الأطروحة كتاباً، بحث ضمن كتاب الأطروحة والكتاب، ترجمة واثق الدايني، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد - ١٩٨٨).
- ٧٠- النجدى، أحمد جاسم، منهج البحث الأدبي عند العرب، وزارة الثقافة والفنون، (بغداد - ١٩٧٨).
- ٧١- النقيب، مرتضى، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي، (بغداد - د.ت).

الفصل الثالث

المبحث الأول

منهج البحث الأدبي

تعريفه .. تطوره .. منهجه .. صفات الباحث

تعريف البحث

هو الطريقة^(١) التي يصل بها الباحث إلى الحقيقة، وهو المنظم الذي يكتمل في إطاره البحث فكرة ونتائج مدونة مرتبة مؤيدة بالبراهين والأسانيد والحجج وقد وضحت فيه الحقيقة المقصودة.

ومنهج البحث عريق في القدم فجذوره ممتدة في بلدان لها حضارات وأمجاد تليدة كالعراق ومصر والصين. هذه البلدان التي غصت بالفلاسفة والمفكرين فنورت أفكارهم ونظرياتهم الناس كافة. حيث نلمح لكل فيلسوفٍ منهجه وطريقته الخاصة. فالحاجة إلى تنظيم نتاج المؤلف وضبطه وعدم الانسياب وراء الفكرة دفعت أولئك المفكرين إلى اعتماد المنهج لأهميته في إبراز فكرته، وتعميمها منظمة مرتبة واضحة. ويعد (المنطق لأرسطو) أول مؤلف تلمح فيه علامات المنهج بل عُدَّ أول منهج وضع للبحث العلمي وطرق الاستدلال والاستنباط وفيه رأيه عن الكليات الخمس المعروفة: الجنس، النوع، الفصل، الخاصة والعرض^(٢). وقد اهتم العرب بمنطق أرسطو منذ مطلع القرن الثاني الهجري

(١) الألوسى، نوري شاكراً، البحث الأدبي ومنهجه، (دار الحرية للطباعة، سنة ١٩٨٤م) ص (٩-١١).

(٢) شوقي ضيف - البحث الأدبي، ص (٧٩).

حيث سبقوا إلى ترجمته وشرحه وتلخيصه واستلهموه في وضع علومهم وبحوثهم الأدبية مع محاولة العناية بالمفردات واكتمال الاستقراء وبخاصة في علم النحو في الاعتماد الكلي على السماع وصحة الاستنباط مع شدة الملاحظة واعتماد التجربة.

وقد جاء في لسان العرب: (البحث: طلبك الشيء في التراب ... والبحث أن تسأل عن شيء وتستخير، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثًا: سأل، وكذلك استبحثه واستبحث عنه..)^(١).

ويلاحظ من هذه الشروح اللغوية أن لفظة (البحث) تشتمل على المعنيين الأول منها مادي هو طلب الشيء والتفتيش عنه، والثاني منها معنوي هو السؤال عن الشيء. والعلاقة بين المعنيين واضحة، ذلك أن التفتيش عن الشيء مرحلة أولى في سبيل الكشف عنه والعثور به، فإن يتمكن الإنسان من إيجاد ما يطلب بواسطة التفتيش سأل عن ذلك الشيء للتعرف على مكانه، ومن هنا نرى أن المدلول المعنوي تطور منطقي لمدلوله المادي. وردت لفظة^(٢) (البحث) مصطلحًا في الكتب الأدبية القديمة بمعنيين:

الأول: التفتيش عن النصوص والأخبار، ومن النصوص الدالة على هذا قول أبي أحمد العسكري: (شرحت في كتابي هذا الألفاظ والأسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر... فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يكمل لها إلا من أتقن في العلوم ولقى

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بحث).

(٢) النجدي، أحمد جاسم (الدكتور)، منهج البحث الأدبي عند العرب، ص ٢٩-٢٤.

العلماء والرواة.... واستقبح لذة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنفير....^(١).

وطبيعي أن التفتيش عن النصوص والأخبار وجمعها، ويتبعه قيام المؤلف بدراسة هذه النصوص لفهمها والوصول إلى معانيها الحقيقية، لهذا ترد لفظة (البحث) دالة على القدرة على التعمق في دراسة النص ومقرنة بالنظر والتأمل عند كثير من المؤلفين، من مثل ما نراه في قول ابن طباطبا العلوي: (إذا اتفق لك في الأشعار التي يحتاج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول أو حكاية تستغربها فابحث عنه ونقر معناه فإنك لا تعدم أن تجد تحته خيبة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها)^(٢).

والمعنى الثاني لمصطلح البحث عند القدامى هو المناقشة والجدل، وقد دل المصطلح على هذا المعنى منذ القرن الثالث للهجرة، ففي كتاب الكامل للمبرد في معرض الحديث عن الخوارج نرى النص التالي: (وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه، فرأى منه ما شاء فهمًا وعلماً، ثم بحثه فرأى ما شاء أرباً ودهياً فرغب فيه فاستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه...) ^(٣)، وواضح أن لفظة

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ١، وورد (البحث) بهذا المعنى في كثير من الكتب، ينظر على سبيل المثال: رسائل أبي حيان، (١٠٨ - ١٠٩)، تاريخ علماء الأندلس، (١/٢)، البديع في وصف الربيع، (١٦٠ - ١٦١)، الذخيرة، (٢/١/١)، جذوة المقتبس، (٧٠)، الجمان، (٢٢٣)، سمط اللآلي، (٤٣٠/١)، بغية الملتبس، (٤١٥ - ٤١٦)، الصلة، (٩١/١)، بدائع البدائع، (٤/٤٠٧ - ٤٠٨)، معجم الأدباء، (٩٧/٥)، الجامع الكبير، (١)، المثل السائر، (١/١١٢)، إنباه الرواة، (٣/٦٢)، نهاية الأرب، (٨/٥١)، بغية الوعاة، (٢/١١٠).

(٢) عيار الشعر، (١١)، وورد البحث بهذا المفهوم في كثير من الكتب، ينظر على سبيل المثال: مروج الذهب، (٩١/١)، (١٤٤ - ١٤٥)، الوساطة، (٢٠٨)، إعجاز القرآن، (٣٨٨)، أسرار البلاغة، (٤٢، ٧٨)، أحكام صناعة الكلام، (٩٥ - ٩٦)، نكت الهميان، (٦٥)، تذكرة السامع، (٧٢ - ٧٣)، مقدمة ابن خلدون، (٣٨).

(٣) الكامل، (٣/٢٣١).

(بحثه) هنا تعنى جادله وناقشه، وقد استعمل (البحث) بهذا المعنى في كثير من الكتب القديمة^(١)، واستقر لدى المتأخرين مصطلحاً خاصاً بالجدل والمناظرة، وفي هذا يقول الشريف الجرجاني: (آداب البحث: صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخطب في البحث وإلزاماً للخصم وإفحامه..)^(٢). وقد ألف المتأخرون كثيراً من الرسائل والكتب في هذا الموضوع معنونة بآداب البحث، لا حاجة بنا إلى ذكرها لكونها إلى علم المنطق أقرب منها إلى علم الأدب.

وللبحث عند القدامى - كما هو الحال عند الدارسين المحدثين - منهج معين يلتزم به المؤلفون ويسرون على خطواته ومبادئه، والدلائل التي تؤكد هذه الفكرة عديدة متنوعة تبدو أولاً في نظرتهم إلى صعوبة التأليف وإشاراتهم إلى كثرة الطاعنين على الكتب والمؤلفات، من مثل قول الجاحظ: (من صنف كتاباً فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف...)^(٣)، وقوله أيضاً: (لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعراً أو يصنف كتاباً)^(٤)، وشبيه بهذا ما ينقله الراغب الأصفهاني من قولهم: (عرض بنات الصلب على الخطاب أسهل من عرض بنات الصدور على الألباب)^(٥)، وقول الخطيب البغدادي: (من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس).

هذه الأقوال السابقة واضحة الدلالة على إحساس المؤلفين القدامى بصعوبة

(١) سبيل المائل: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، (٣١)، زهر الآداب، (٢/ ٨٤٤ - ٨٤٥)، أسرار البلاغة، (٦٥)، أيها الولد، (٤٥)، تذكرة السامع، (٤١)، الغيث المسجم، (١ / ٤).
(٢) التعريفات، ١٤، وينظر: التحفة النظامية، (٤٩)، كشف الظنون، (١ / ١١٨).
(٣) القيرواني، زهر الآداب، (١ / ١٤٢).
(٤) محاضرات الأدباء، ١ / ٤١.
(٥) المصدر نفسه.

التأليف وحراجة موقف المؤلف واحتياطه وحذره لئلا يتناوله الآخرون بالطعن والتجريح، فهي لهذا واضحة الدلالة على وجود طريقة معروفة للتأليف، لذا لا يمكن أن نتصور أنهم ينصتون على صعوبة التأليف وهو عندهم جمع عشوائي لا يسير على منهج معين، ولا يمكن أن يكون المؤلف محرّجاً أمام الآخرين إذا لم يكن في ذهن الآخرين مفهوم واضح لطريقة معينة في التأليف.

ويتصل بهذا ما نراه كثيراً من اعتذار المؤلفين خلال كتبهم عما يبدو فيها من خلل أو نقص واضطراب، وتوجهنا مثل هذه الاعتذارات منذ القرن الثالث الذى يمثل حقبة متقدمة في التأليف الأدبي، فالمبرد يقول في كتابه الفاضل: (وسنذكر في كتابنا هذا أبواباً من كلام العرب وبعض ما روى عنها ... ونقيم العذر في تقصير إن وقع فيه أو خلل إن لزمه، فإننا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه ونسأل الله توفيقه وحسن معونته). وواضح أن المؤلف يعتذر من قارئ الكتاب مما قد يجده القارئ من نقص أو خلل يرجع إلى عجلة المؤلف في إخراج الكتاب، وهذا يدل على أن القارئ الذى يتوجه المؤلف بهذا الاعتذار إليه يتفهم من عملية التأليف التآنى والانصراف إلى البحث وحسن تنسيقه، كما يعرف مواضع الخلل والنقص في الكتاب الذى يقرؤه، وأى خلل أو نقص يبدو واضحاً للقارئ، إذا لم يكن في ذهنه صورة أو طريقة معروفة في التأليف، وأى سبب يدعو المؤلف إلى الاعتذار إن لم يكن التأليف قد بلغ المنزلة التى يكون بوساطتها تقليداً أو علماً له قواعد وأصول بالشكل الذى يحمل المؤلف على الاعتذار إن هو أحل بشيء منها؟ ومن هنا كنا نفهم من هذه الاعتذارات التى يبديها المؤلفون في كتبهم أنها تدل على أن هناك منهجاً معروفاً للبحث والتأليف عند الجميع إن خالفه المؤلف استوجب اعتذاره.

وإذا ما تركنا القرن الثالث واجهتنا في القرون التالية له كثرة من أمثال هذه الاعتذارات التى تصبح قاعدة في التأليف لا يكاد يخلو منها كتاب، من مثل قول

أبى أحمد العسكري: (وأسأل الله التوفيق للصواب والسلامة من الزلل، فإنى أمليت هذا الكتاب على حين تقسم من القلب وتشعث من الفكر واضطراب من الجسم ... وفي أيسر هذه الشواغل وأقل هذه الدواعى ما يذهل ويشغل وينسى معه ما قد حفظ).

واعذاره هذا قائم على أساس عدم استقرار الحالة النفسية والصحية للمؤلف عند تأليفه الكتاب، وارتباط الاعتذار بهذه الناحية دليل أكيد على وجود منهج علمي في التأليف تستدعى مراعاته والسير على خطواته - من ضمن ما تستدعيه - استقرار المؤلف نفسيًا.

ولابن القيم الجوزية اعتذار مهم في كتابه (روضة المحيين) يقول فيه: (والمرغوب إلى من يقف على هذا الكتاب أن يعذر صاحبه فإنه علقه في حال بعده عن وطنه وغيبته عن كتبه). وهو في اعتذاره هذا يشير صراحة إلى أن سبب ما قد يظهر في كتابه من نقص يرجع إلى بعده عن كتبه، ومن ثم يشير صراحة إلى ناحية مهمة في منهج البحث ألا وهى جمع المصادر قبل الشروع بالتأليف، وما توجه بالاعتذار إلى قارئه إلا لأن هذه الفكرة المنهجية (جمع المصادر) مفهومة لدى الجميع.

ونستطيع الوقوف على دليل آخر يقوى الاعتقاد بوجود المنهج عند المؤلفين القدامى، وهو ما يواجهنا كثيرًا من وصفهم لبعض المؤلفين بإجادة التأليف ووصفهم لبعضهم الآخر بعدم إجادته، وهذه الإشارات كثيرة في الكتب وحسبنا أن نذكر بعضها لنرى بم ترتبط هذه الأوصاف وعلى أى شيء تدل.

يقول المرزبانى عن أبى بكر الصولى: (... فكان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب والافتنان فيها حاذقًا بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها)، ونلاحظ أن وصفه للصولى بإجادة التأليف مرتبط بحسن ترتيب الصولى لمواد

كتبه ووضعها في أماكنها المناسبة، وهذا يشير إلى مسألة مهمة من مسائل المنهج إلا وهي التبويب والتنسيق لمواد الكتاب حسب الترابط فيما بينها.

ويشبه هذا ما يقوله الخطيب البغدادي في وصف المرزباني: (.. كان حسن الترتيب لما جمعه)^(١)، وما يقوله ياقوت الحموي عن الوشاء: (من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف)^(٢).

وقد ترتبط إجادة التأليف عندهم بوضوح المادة العلمية وحسن عرض المؤلف لها، نرى هذا في قول ياقوت الحموي متحدثاً عن كتاب (المقدمة في النحو) للجوهري: (وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم أحسن تصنيفه وجود تأليفه وقرب تناوله ... وضعه على قريحة سالمة. ونفس عالمة..)^(٣).

كما يرتبط حسن التأليف أحياناً بحسن استيعاب المؤلف لمادة كتابه وموضوعاته، من مثل قول ياقوت الحموي في أبي الفرج الأصفهاني: (لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه..)^(٤).

ويتصل حسن التأليف أيضاً بحسن اختيارات المؤلف وجودة دراسته ومنافسته للأحكام، كما يفهم من قول الصفدي في المرزوقي: (كان غاية في الذكاء والفطنة، حسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار..)^(٥) أو قد يرتبط حسن التأليف بجودة عبارة المؤلف في كتابه، كما نرى هذا في قول

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (٣ / ١٣٥).

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (٦ / ٢٧٧).

(٣) المصدر نفسه، (٢ / ٢٦٨).

(٤) المصدر نفسه، (٥ / ١٤٩).

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، (٨ / ٥).

الصفدي متحدثاً عن كتاب الذخيرة لابن بسام: (ولا أعرف في الأدب كتاباً مثله في بابهِ في الاستطراد بالنظائر والأمثال والأشباه وذكر السرقات، وأما نشره في تراجم من ذكره فيها فإنه كالمدام وصفًا والنسيم لطفًا)^(١).

هذه أمثلة لما يواجهنا من وصف بعض المؤلفين بحسن التأليف وإجادته وقد رأينا أن هذا الوصف يرتبط بصفاء لغة المؤلف حيناً وحسن ترتيبه لمواد كتابه حيناً آخر، كما يرتبط بجمع المؤلف لمصادر كتابه وحسن عرضه لمواد الكتاب وجودة دراسته للنصوص إضافة إلى حسن استيعابه لها في أحيان أخرى. وكل هذه المسائل تعد مسائل أساسية في منهج البحث، ومن ثم يمكن القول بأن النصوص السابقة تدل على وجود هذا المنهج عند المؤلفين العرب ومعرفتهم به. هذا المنهج الذي يحتوي - من ضمن ما يحتويه - على هذه المسائل المنهجية المهمة، التي إن التزم المؤلف بها كان مستحقاً لأن يوصف بإجادة التأليف، فإن أخل بإحدى هذه المسائل أو بمسائل أخرى تعد أساسية في منهج البحث وصف بعدم إجادة التأليف، كما نرى هذا عند القفطي وهو يتحدث عن عبد اللطيف ابن يونس البغدادى: (وكان يدعى تصنيف كتب ما فيها مبتكر، وإنما يقف على تصانيف غيره فيما أن يختصر أو يزيد ما لا حاجة إليه وهى في غاية البرودة والركاكة)^(٢)، وواضح أن نقد هذا المؤلف قائم على أساس انعدام صفة الابتكار والجدة في مؤلفاته، والابتكار أهم سمة من سمات البحث العلمى وأهم ما يجب أن يتوخاه باحث عند اختياره موضوعاً معيناً.

وفي ثنايا الكتب القديمة نصوص تشير صراحة إلى وجود طريقة خاصة للتأليف، وطريقة التأليف تقابل منهج البحث في المعنى، ونحسب أن نص

(١) المصدر نفسه، (١٢ / ١٣).

(٢) القفطي، أنباه الرواة، (٢ / ١٩٤ - ١٩٥).

المؤلفين على وجود هذه الطريقة الخاصة للتأليف من أقوى الدلائل على وجود منهج للبحث عندهم.

ويقول المحسن التنوخى فى وصف كتابه نشوان المحاضرة: (هذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال وما دار بينهم فى المجالس... ولعل قارئها والناظر فيها أن يستضعفها إذا وجدها خارجة عن السنن المعروفة فى الأخبار والطريق المؤلف فى الحكايات والآثار الرتبة فى الكتب المتداولة بين أهل الأدب) ^(١) فهو يشير صراحة إلى أن ما فى كتابه خارج عن الطريقة المعروفة الثابتة عند أهل الأدب فى تأليفهم للحكايات والأخبار، وهذه الطريقة منذ القرن الرابع وهو القرن الذى عاش فيه المؤلف، ويشبه قوله السابق قوله فى كتابه الآخر (الفرج بعد الشدة): (وكننت قد وقفت فى بعض محنى على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني وسماها: كتاب الفرج بعد الشدة والضيق، وذكر فيها أخباراً تدخل جميعها فى هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج صغير ولم تأت مؤتلفة ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة) ^(٢)، وواضح ما بعبارته الأخيرة من نص صريح على وجود طريقة خاصة بتأليف الكتب، نرى النص عليها واضحاً أيضاً فى قول أبى حيان التوحيدي متحدثاً عن رسالته فى أخلاق الوزيرين: (ولقد اضطرب على نسج الرسالة على مذهب المصنفين)، وقوله فى كتابه الإمتاع والمؤانسة: (قد رأيت أيها الشيخ - أحاطك الله - عند بلوغى هذا الفصل أن أختتم الجزء الأول بما انتهى إليه وأشفعه بالجزء الثانى... غير عائج على ترتيب يحفظ صورة التصنيف على العادة الجارية لأهله...) ^(٣).

(١) التنوخى، نشوان المحاضرة، (١ / ١).

(٢) التنوخى، الفرج بعد الشدة، (١ / ٦).

(٣) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، (١ / ٢٢٦).

وكل هذه النصوص وما سبقها تدل دلالة قوية على وجود منهج واضح ومعروف في البحث الأدبي عند القدماء، ومن ثم يمكن القول بأن عملية البحث والتأليف الأدبي عندهم كانت ذات صفة علمية تتمثل في وجود منهج معروف لها سار عليه المؤلفون والتزموا بأصوله وقواعده.

صفات الباحث الأدبي^(١)

يقول أبو زكريا النووي متحدثاً عن آداب العالم: (وينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له... وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له فإنه يضره في دينه علمه وعرضه..)^(٢). ويقول الشيخ عز الدين الزركشي: (من فروض الكفاية تصنيف الكتب لمن منحه الله فهمًا واطلاعًا....)^(٣).

والقولان يعبران عن فكرة واحدة هي وجوب توافر صفات علمية فيمن يروم التأليف، ذلك أن التأليف - كما فهمه القدماء - عمل علمي يتطلب من المتصدي له صفات خاصة تجعله مؤهلاً للقيام به. ومن هنا يمكننا أن نلاحظ في ثنايا الكتب الأدبية القديمة كثيرًا من الإشارات إلى الصفات التي رأى القدماء وجوب توافرها في المؤلفين والعلماء، وقد ترد هذه الصفات منصوبًا عليها

(١) النجدي، أحمد جاسم (الدكتور)، منهج البحث الأدبي عند العرب، (دار الحرية للطباعة، سنة ١٩٧٨) ص (٣٧-٤٨).

(٢) التعريف بآداب التأليف ٣. والنووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عالم مشارك في كثير من العلوم الإسلامية، ولد بـ (نوى) من أعمال حوران، وتوفي بها عام ٦٧٦ هـ. (ينظر: البداية والنهاية: ٢٧٨/١٣ - ٢٧٩، شذرات الذهب: ٥ / ٣٥٤ - ٣٥٦، ومعجم المؤلفين: ٢٠٢/١٣ في ذكر المصادر الأخرى لترجمته).

(٢) التعريف بآداب التأليف ٢ - ٣، والشيخ الزركشي هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الشافعي، تركي الأصل، مصري المولد، له مشاركة في معظم العلوم الإسلامية، توفي بالقاهرة عام (٧٩٤) هـ. (ينظر: شذرات الذهب ٦/ ٣٣٥)، معجم المؤلفين ٦/ ٣٣٥).

أحياناً، أو ترد مفهومة من نص وارد في ذم المؤلف أو مدحه، ومن جميع هذه الإشارات والنصوص نستخلص الصفات التالية:

التحصيل

التحصيل لغة يعنى الجمع. جاء في لسان العرب: (تحصل الشيء: تجمع وثبت..)^(١)، وقال التهانوني: (التحصيل في اللغة: الجمع، وفي العرف العام: جمع العلم...)^(٢).

وورد الاستعمال الاصطلاحي لهذه الكلمة في كثير من الكتب القديمة من مثل قول الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم: (وقد جمعت في هذا الكتاب أكثر ما يحتاج إليه من هذا النوع متحريراً للإيجاز والاختصار ومتوقفاً للتطويل والإكثار راعيت المشهور المتعارف من الجمهور وما هو غامض غريب لا يكاد يخلو إذا ما ذكر في الكتب من شرح طويل وعنيت بتحصيل الوساطة من هذين الطرفين..)^(٣)، وشبيه به ما يذكره الثعالبي متحدثاً عن شعراء الشام: (وأخبرني جماعة من أصحاب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى... ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم)^(٤).

ويدل التحصيل في الكتب القديمة على معنى ثان هو القدرة على استيعاب النصوص والتمييز بين صحيحها وزائفها، من مثل قول الجاحظ: (وما هو إلا أن ولد أبو مخنف حديثاً أو الشرقي ابن القطامي أو الكلي أو ابن الكلبي... ثم صوره في كتاب وألقاه في الرواقين إلا رواه من لا يحصل ولا يتثبت...)^(٥). وعدم

(١) لسان العرب (حصل).

(٢) كشف اصطلاحات الفنون، ١/ ٣٤٦.

(٣) مفاتيح العلوم، ٤.

(٤) يتيمة الدهر، ١/ ٢٥.

(٥) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٦.

التحصيل في هذا النص يعنى عدم القدرة على التمييز بين صحيح الأخبار وزائفها، ولهذا يكون معنى التحصيل هنا هو الفهم الصحيح للنصوص والأخبار وعدم التسليم بصحة كل ما يقرأ وينقل. ويشبهه في استعمال المصطلح بهذا المعنى أبو الفرج الأصفهاني في قوله متحدثاً عن السيد الحمي: (وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإمامية وله في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية محصل ولا شعره أيضاً من هذا الجنس)^(١).

وبسبب هذه المعانى الاصطلاحية التى رأيناها لكلمة التحصيل وما دل عليه من الوجهة العلمية صار هذا المصطلح صفة لازمة للعلماء مقترنة بهم عند القدامى، كما نرى هذا في قول السيرافى متحدثاً عن المبرد: (وسمعت نفظويه يقول: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبى العباس فرات، وكذلك أخبرنا أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع... وأكثر أهل التحصيل يفضلونه...) ^(٢)، ولا يخفى أن (أهل التحصيل) هنا هم العلماء البارزون الذين تعتمد آراؤهم في مجال اختصاصاتهم، وشبيه بهذا النص قول أبى الفرج الأصفهاني: (ومن دونت صنعته من خلفاء بنى العباس الواثق بالله، ولم نعلمه حكى ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدمنا سوء العهد فيه عن ابن خرداذبة، فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم، وأتى فيه بأشياء غثة لا يحسن محصل ذكرها...) ^(٣).

(١) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني: (٧/ ٢٣٥ - ٢٣٦)، وهناك نصوص أخرى ورد فيها مصطلح التحصيل بمعنى لما سبق. ينظر: الحوان: (٣/ ٩٧). نقد الشعر: (١٦٦ - ١٦٧)، آداب المتعلمين: (١٤٣ - ١٤٥).

(٢) أخبار النحويين البصريين: (٧٧).

(٣) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني: (٩/ ٢٧٦).

التحقيق

التحقيق لغة معناه التأكد من صحة الخبر وصدقه. جاء في لسان العرب: (وتحقق عنده الخبر أى صح، وحقق قوله وظنه تحقيقاً أى صدق) ^(١). وهو اصطلاحاً يعنى إثبات المسألة بالدليل. يقول الشريف الجرجاني: (التحقيق: إثبات المسألة بدليلها) ^(٢)، ويقول التهانولى: (التحقيق فى عرف أهل العلم: إثبات المسألة بالدليل) ^(٣).

وفى الكتب الأدبية القديمة تستعمل هذه اللفظة معنيها اللغوى والاصطلاحى، فمن أمثلة استعمالها بالمعنى اللغوى ما ورد عند ابن المعتز بعد أن أورد عدة روايات فى سبب مقتل صالح بن عبد القدوس، لم يستطع ترجيح إحداها، فقال بعدها: (والله أعلم بتحقيق ذلك) ^(٤). وقوله هذا يدل على أنه لم يستطع التأكد من صحة رواية من هذه الروايات التى يوردها.

واستعمل الحريري (التحقيق) بمعناه الاصطلاحى فى قوله: (فأما قول الشاعر:

وعدت فكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه ييترب

فأكثر الرواة يروونه (ييثرب) ويعنون به المدينة، وأنكر ابن الكلبي ذلك وحقق أن الرواية: (ييترب) بتاء مُعجّمة... واحتج فى ذلك بأن عرقوباً كان من العمالة الذين لم ينزلوا بالمدينة..)، ووضح أن ترجيح ابن الكلبي لرواية لفظه

(١) أبى منظور، لسان العرب (حقق).

(٢) التعريفات: ٥٥.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، ١/ ٣٣٦.

(٤) أبى قتيبة، طبقات الشعراء، ٩١.

معنية في البيت المتقدم كان مستندًا إلى دليل، ولهذا أطلق الحريري على هذا الترجيح اسم التحقيق مشيرًا به إلى المعنى الاصطلاحي للكلمة^(١).

ولما كان التحقيق بهذا المعنى صار صفة من صفات العلماء في كل مجال من مجالات العربية، فللبیان علماء محققون كما يظهر في قول ابن الأثير: (وأورده جماعة من العلماء مثل قدامة والجاحظ وأبى هلال العسكري والغانمي... في تصانيفهم في باب الاستعارة ولم يذكروا أن الأصل فيه تشبيه بليغ، فما أعلم هل ذلك إخفائه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه، وهو الأصل المقيس عليه في التشبيه الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان..)^(٢)، وللأدب أيضًا علماء محققون به كما نرى هذا في قول السيوطي: (.... كان أحد أفراد أهل الأدب والمحققين به)^(٣)، وللعربية على وجه العموم علماء محققون بها كما يظهر في قول الفيروز آبادي: (محمد بن طلحة... النحوى، إمام في العربية... غب عليه تحقيق العربية والقيام عليها...)^(٤).

التمييز

التمييز لغة هو العزل والفرز بين الأشياء^(٥)، أما اصطلاحًا فنستطيع أن نتيين مما جاء في الكتب الأدبية القديمة أنه يعنى قدرة المؤلف على الفصل بين المتشابهات من النصوص والأخبار التي يدرسها، أى أن المعنى الاصطلاحي

(١) وورد استعمال التحقيق بهذا المعنى في الكتب التالية: أسرار البلاغة: (٢٦، ٨٨)، دلائل الإعجاز: (١١٨)، سر الفصاحة: (٢٧ - ٢٨)، ذم الهوى: (٥)، منهاج البلغاء: (١٣٣ - ١٣٤).

(٢) الجامع الكبير: (٨٢ - ٨٣)، ووردت عبارة (المحققون من علماء البيان) عند أبى الأصحح المصري أيضًا في كتابه: بديع القرآن: (٢٧).

(٣) بغية الوعاة: (٢/ ٢٤١).

(٤) البلغة: (٢٢٥ - ٢٢٦).

(٥) لسان العرب (ميز).

لهذه الكلمة لا يختلف بشيء عن معناها اللغوى عند المؤلفين فى الأدب، فالمبرّد مثلاً يقول فى كتابه الفاضل: (ونقدم العذر فى تقصير إن وقع أو خلل إن لزمه فإننا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه). ومن الواضح أنه فى اعتذاره هذا يستند إلى أنه كان عاجلاً فى تأليف الكتاب بشكل لم يتح له دراسة نصوصه دراسة متأنية، ومن ثم اختلطت النصوص ببعضها ففقد المؤلف صفة التمييز فيما بينها، وهذا ما يفهم من قوله: (ولا تمييز لما تضمنه).

وغير خفى أن صفة الفرز والعزل بين المتشابهات من النصوص والأخبار تستدعى الفطنة والذكاء، ولهذا كان مصطلح التمييز مقترناً بالعلم والذكاء مرادفاً لهما فى بعض النصوص التى تصادفنا فى الكتب الأدبية.

لما رأى الحلم والجهل ومروحاً وعزيباً جعلهما فى هذه الجملة... وشييه به قول أبى الوليد الحميرى: (وتأمل أيها الناظر فى كتابى هذا تأمل اليقظ المتقد والمميز المتقد تر أغرب التشبيهات...) ^(١)، واقران التمييز بالانتقاد واليقظة فى النص يعنى اقترانه بالذكاء والفطنة.

ولا يخفى أن هذا المصطلح بما دل عليه من ذكاء وفطنة وقدرة على الفصل بين المتشابهات يعد صفة أساسية من صفات الباحثين والعلماء، ولهذا أطلقه القدامى صفة على المؤلفين والعلماء من مثل قول أبى هلال العسكري: (وقال ابن المقفع: البلاغة كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق فى صورة الباطل، والذى قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل...) ^(٢)، وقول عبد الواحد المراكشى فى ترجمة المعتمد بن عباد: (وله رحمه الله شعر كثير برز فى أكثره وأجاد ما أراد، وسيمر منه فى أضعاف أخباره ما يشهد له بالتبريز عند ذوى التمييز...).

(١) البديع فى وصف الربيع: (٣).

(٢) الصناعتين: (٥٣).

التثبت

جاء في لسان العرب: (وتثبت في الأمر والرأى واستثبت: تأنى فيه ولم يعجل، واستثبت في أمره إذا شاور وفحص عنه...) ^(١)، وهذا المدلول اللغوي لكلمة التثبت شبيه بمدلولها الاصطلاحي عند المؤلفين كما يظهر في كثير من النصوص الواردة في الكتب الأدبية القديمة من مثل قول الجاحظ: (وكانوا يأمرمون بالتبين والتثبت والتحرر من زلل الكلام ومن زلل الرأى ومن الرأى الدبرى، والرأى الدبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضي الرأى الأول وفوت استدراكه...) ^(٢). والتثبت كما يتضح من هذا النص يعنى وجوب تأني العالم وعدم عجلته في إبداء رأى معين بعد التأكد من صحته، وهذا هو المدلول اللغوي نفسه، واتجاه العالم هذا الاتجاه من الدقة والتحرر من العجلة يجعل ما يصدر عنه من آراء وما ينقله من نصوص صحيحاً موثقاً به. ولهذا نجد القدامى يربطون بين التثبت والابتعاد عن الخطأ من مثل قول الخطيب البغدادي: (ذكر أبو زكريا أبا عبيدة الحداد فقال: كان من المثبتين ما أعلم أنا أخذنا عليه خطأ البتة...) ^(٣). ولهذا كانت هذه الصفة من الصفات التي اشترطوا وجوب توافرها في العلماء والدارسين، فالجاحظ يراها مما يمتاز به الإنسان العاقل من غيره في قوله: (وإذا كانت البهيمة إذا أحست شيئاً من الأسباب القانص أحدث نظرها واستفرغت قواها في الاسترواح وجمعت بالها للسمع... كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف...) ^(٤)، والقاضى الجرجاني يجعل هذه الصفة قرينة لصفة العدالة والإنصاف في قوله: (وليس يجب

(١) ابن منظور، لسان العرب (ثبت).

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: (١/ ١٩٧).

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: (١١ / ٤).

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين: (٢ / ٤٢).

إذا رأيتني أمدح محدثاً أو أذكر محاسن حضري أن تظن بي الانحراف عن متقدم... بل يجب أن تنظر مغزاي فيه وأن تكشف عن مقصدي منه ثم تحكم عليّ حكم المنصف المثبت وتقضي قضاء المقسط المتوقف...).

التواضع

للمؤلفين القدامى كثير من النصوص الدالة على اشتراط توافر هذه الصفة في العلماء، منها ما جاء على شكل وصايا وآراء عامة، ومنها ما جاء على شكل أحكام وأقوال تستوجب وجود هذه الصفة وتحبذها.

يقول الجاحظ: (وقال عمر بن عبد العزيز: من قال لا أدري فقد أحرز نصف العلم) ويقول أيضاً (وكانوا يستحبون ألا يجيبوا في كل ما سئلوا عنه) وهذان القولان يدوران حول فكرة واحدة هي وجوب اعتراف العالم بعدم معرفته لشيء مجهله عن كل شيء يسأل عنه.

يعترف بتواضع هنا أن ما فاته من مواد الكتاب قد يكون أكثر مما أثبتته، ولو لم تكن صفة التواضع ماثلة أمام عينيه لما اعترف بهذا ولا أدعى الإحاطة والاستيعاب.

وفيما قالوه من ذم للمتعالمين، ولمن يرون أنفسهم أكثر مما يستحقون دليل آخر على أن هذه الصفة كانت من الصفات المهمة عندهم فقد نقل عن ثعلب قوله متحدثاً عن الرياشي: (فقلت له: وجالست الأخفش؟ قال: نعم، وأنا أرى أني أعلم منه، فما أعجبتني هذه الكلمة منه لأنني وجدته أفرط فيها...) ^(١)، ويقول أبو الطيب اللغوي ناقداً بعض أهل عصره: (يتقلد كل علم ويدعيه ويركب كل أفك ويحكيه، ويجهل ويرى نفسه عالماً، ويعيب من كان من العيب سالماً، ثم لا يرضى بهذا حتى يعتقد أنه أعلم الناس...) ^(٢).

(١) مجالس العلماء: (٦٠).

(٢) مراتب النحويين: (٣).

البعد عن الهوى والعصبية

يقول الجاحظ بعد أن يورد بعض الأبيات من أرجوزة لأبي نواس: (وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب لأنه كان عالماً راوية، وكان قد لعب الكلاب زماناً وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره... وإذا تأملت شعره فضلت له إلا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر... فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوباً...)^(١) والذي^(٢) يبدو واضحاً من قول الجاحظ هذا أنه يرى في التعصب ستاراً يحجب الحقيقة ويقف حائلاً دون التمييز بين الحق والباطل، ومثل هذه النظرة تدل على تفهم علمي للأثر السيئ الذي تتركه العصبية على أصحابها وما يصدر عنه من أحكام ويؤمنون به من آراء.

وللمؤلفين القدامى كثير من النصوص التي تدل على مثل هذا الفهم العلمي لأثر التعصب في صاحبه. فقد انتقدوا المتعصبين وسفها أحكامهم من مثل قول الصولي بعد أن يورد بعض الأخبار التي تدل على تعصب ابن الأعرابي على المحدثين: (ومثل هذا من نقص ذوى الفضل والمتقدمين في الصنائع من جميع الناس قبيح، وهو من العلماء أقبح، نعوذ بالله من اتباع الهوى ونصر الخطأ... والللجاج والعصبية...)^(٣).

وقد شملت هذه النظرة عندهم الكتب التي يظهر فيها أثر للتعصب فوقفوا منها موقف الناقد منبهين على عدم فائدها وجدواها من مثل قول المرزبانى: (تحامل الزبير بن بكار على كثير - فيما جمعه من أخباره وبين عليه من سرقاته -

(١) الحيوان: (٢/ ٢٦-٢٧).

(٢) الدكتور أحمد جاسم النجدى، منهج البحث الأدبي عند العرب، ص (٤٥-٤٩).

(٣) أخبار أبي تمام: (١٨١).

ظاهر، وهو خصم لا يقبل قوله على كثير لهجاء كثير لولد عبد الله بن الزبير^(١)، وقول ابن الأثير متحدثاً عن كتاب ابن الدهان الموسوم بالمآخذ الكندية: (فهذه عيوب خمسة وجدت في الكتاب المشار إليه، وإذا كان بهذه الصورة فلم تكن بذلك الرجل العالم حاجة إلى تأليفه لأنه عليه لا لهُ، وجملته وتفصيله ينطقان بالتعصب على المتنبي والغض منه)^(٢). ولهذا نرى بعضهم يعلن في مقدمة كتابه عن ابتعاده عن التعصب فيما يؤلف وكأنه بهذا يريد إبعاد ما يطعن على الكتاب ابتداءً، من مثل قول حمزة الأصفهاني مخاطباً من ألف له كتابه التنبيه على حدوث التصحيف: (وأنا أجيبك عما سألت عنه سالكاً طريق الإنصاف، وتاركاً سبيل العناد وملتمساً النجاة من ركوب العصبية أو الركون إلى الفساد واللجاج وحمية الجاهلية...) (٣).

ولهذا كانت صفة البعد عن الهوى والعصبية من الصفات المهمة التي رأوا وجوب اتصاف العلماء بها، وقد نصوا على هذا في كثير من النصوص الواردة في كتبهم من مثل قول صاحب بن عباد: (وليس من الحزم أن يزري العالم على نفسه بالعصبية ويضع من علمه بالحمية، فالناس مع اختلافهم وتباين أصنافهم متفقون على أن تغلب الأهواء يطمس أعين الآراء، وأن الميل عن الحق بينهم سبيل الصدق)^(٤)، وقول أبي أحمد العسكري: (وقد كان بعض شيوخ بغداد، ممن يتعصب على علماء الكوفيين ويفرط فيه. عمل كتاباً جمع فيه تصحيفات علماء الكوفة واستقصاها وأضرب عما روى من أوهام العلماء البصريين تعصباً، فلم أر ذلك منه إنصافاً ولا مشاكلاً لأخلاق العلماء...) (٥).

(١) الموشح: (٢٤٥).

(٢) الاستدراك: (٣).

(٣) التنبيه على حدوث التصحيف: (٥٦).

(٤) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، (٢٩).

(٥) شرح ما يقع فيه التصحيف، (٦ - ٧).

الاجتهاد والبعد عن التقليد

الاجتهاد لغة: بذل الوسع والمجهود^(١)، وهو في اصطلاح الأصوليين: استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي^(٢)، أو هو رد القضية التي تعرض للحاكم من طريق القياس إلى الكتاب والسنة^(٣).

وبين هذين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة الاجتهاد علاقة وطيدة، إذ أن اجتهاد الحاكم في إصدار حكم عن طريق القياس يقتضي منه اللجوء إلى التفكير وبذل الجهد في سبيل التوصل إلى هذا الحكم.

ويناقض مصطلح الاجتهاد من حيث المدلول مصطلحاً آخر هو التقليد، إذ إن التقليد اصطلاحاً هو العمل بقول الغير من غير حجة^(٤)، ومعنى هذا أن عدم التقليد معناه الابتعاد عن متابعة الآخرين في آرائهم وأحكامهم ومحاولة العالم أو المؤلف التوصل إلى رأى معين باللجوء إلى التفكير العقلي والاستناد إلى الدلائل والحجج، ومن هنا يلتقي الاجتهاد بعدم التقليد عند المؤلفين القدامى في الأدب، وكأنهما شيء واحد، كما نرى هذا في قول ابن الأثير: (والذى أدانى إليه نظر الاجتهاد دون التقليد أن جريراً والفرزدق والأخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية، وبينهم وبين أولئك فرق بعيد، وإذا استفتيت قلت: إن أبا تمام والبحترى والمنتبى أشعر من الثلاثة المذكورين وليس عندي أشعر منهم في جاهلية ولا إسلام، لأن أبا تمام والمنتبى غاصا على المعانى فتعمقا ودققا وأتيا بكل غريبة، أما البحترى فإنه فاز بدبياجة السَّبْك التي ليست لغيره...) ^(٥).

(١) لسان العرب (جهد).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، (١/١٩٨).

(٣) لسان العرب (جهد).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، (٣/١٧٨).

(٥) الاستدراك: (٢٥).

ويلاحظ في هذا النص أن الاجتهاد مقترن بعدم التقليد ومرتبطة به مدلولاً والذي يدل عليه كلاهما هو وصول المؤلف إلى نتيجة معينة وإصدار رأى معين مع تقديم الدليل والبرهان على ما يقول، وهذا واضح جلي في كلام ابن الأثير السابق إذ يتوصل إلى تفضيل بعض الشعراء العباسيين على شعراء العربية كافة معللاً رأيه هذا، وكأنه يقدم الدليل العلمى على ما يقول، ويشبهه في هذا القلقشندى في قوله: (..) وكيفما كان فالإقتصار على معرفة المصطلح والإضراب عن تعرف أصول الصنعة ضعف همة وفتور، والمقلد لا يوصف بالاجتهاد، فستان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جهد على التقليد مع جزم الاعتقاد^(١).

ونراهم يشيرون كثيرًا إلى أن صفة التقليد ترتبط بقلّة المعرفة وقلة الفهم، ومن أمثلة هذا ما نراه في قول العميدى: (إنما يذهب في مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون في علومه خفيف البضاعة قليل الصناعة، صفر وطاب الأدب... قصير باع الفهم جديب رباع العقل...) ^(٢)، وأكدوا أن التقليد يحول دون التأمل والتفكير العلمى الصحيح، كما نرى هذا في قول ابن سنان الخفاجى بعد أن يذكر رأياً لأبي القاسم الأمدى: (..) وهذا الذى قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى، ولو أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم لصحة فكره وسلامة نظره... ^(٣).

وقد توصلوا نتيجة اشتراطهم الاجتهاد واستهجانهم التقليد، إلى أن العقل

(١) صبح الأعشى، (٨/١).

(٢) الإنابة، (٢٠).

(٣) سر الفصاحة، (١٢).

هو الحجة وهو المرجح في الحكم على الأمور، وفي هذا يقول الجاحظ: (وللأمور حكمان: حكم ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحجة...) ^(١)، وتوصلوا أيضًا إلى أن الحقيقة العلمية يجب أن تكون رائد العالم سواء وافقت معتقداته وآراءه أم لم توافق. وفي هذا يقول الجاحظ: (والحق الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه وحث عليه أن ننكر من الخبر ضربين، أحدهما ما يناقض واستحال، والآخر ما امتنع في الطبيعة، فإذا خرج الخبر عن هذين البابين وجرى عليه حكم الجواز فالتدبير في ذلك الثابت، وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك والصدق هو بغيتك كائنًا ما كان، وقع منك بالموافقة أو وقع منك بالمكروه...) ^(٢). وشبهه به قول علي بن حمزة البصري بعد أن يشرح المقصود بكلمة المسكين: (وهذا الذي ذهبنا إليه وأوضحنا صحته هو مذهب محمد بن إدريس الشافعي الفقيه، والفقهاء له منكرون، وهو فيه المصيب وهم المخطئون ولسنا مع هذا على مذهبه ولكن الحق حيث كان فنحن له متبعون...) ^(٣). ولا يخفى ما بهذين القولين من دلالة على تفكير علمي دقيق إذ تصبح الحقيقة العلمية هدف المؤلف وغايته، وبهذا يتوصل بعض المؤلفين القدامى إلى فكرة علمية لا نظن أن المفكرين المحدثين يستطيعون أن يضيفوا إليها شيئًا.

العلم بالشعر والتخصص

تكثر الإشارات في الكتب القديمة إلى صفة علمية تطلق على بعض علماء العربية وهي العلم بالشعر. وقد يأتي الوصف بهذه الصفة في بعض النصوص عامًا كما نرى هذا في قول ابن هشام بعد أن أورد قصيدة لعبد الله بن الزبير: (تركنا منها بيتًا واحدًا، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة

(١) الحيوان، (١/٢٠٧).

(٢) الحيوان، (٣/٢٣٨ - ٢٣٩).

(٣) التبيينات على أغاليط الرواة، (٣١٩).

لابن الزبيري...) (١)، وشبه بهذا ما يقوله أبو حاتم السجستاني عن الأصمعي: (وسأله رجل: أى الناس طراً أشعر؟ قال: النابغة، قال: تقدم عليه أحداً؟ قال: لا، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليها حدًا...) (٢).

ويتصل بهذه النظرة ما قالوه فى نقد المؤلفين الذين يؤلفون فى الموضوعات المختلفة، من مثل قول أبى الطيب اللغوى فى ابن قتيبة: (وكان يتسرع فى أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو وكتابه فى تعبير الرؤيا وكتابه فى معجزات النبي ﷺ)، وعيون الأخبار والمعارف والشعراء ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له...) (٣)، وقول أبى الطيب هذا فى ابن قتيبة دليل واضح على أنهم نظروا إلى صفة التخصص نظرة علمية تتمثل فى وجوب انصراف العالم إلى نوع واحد من أنواع العلوم.

هذه هى صفات الباحث التى يمكن أن نستنبطها مما ورد فى كتبهم من نصوص وإشارات، وهى فى مجموعها لا تكاد تختلف عما ذكره الدارسون المحدثون لمنهج البحث من صفات رأوا وجوب اتصاف الباحث بها (٤)، فصفة التحصيل عند القدماء بما اشتملت عليه من مفاهيم يمكن أن تقابل عند المحدثين ما نصوا عليه من وجوب إنصاف الباحث بالتتبع الكثير وبذل الجهود فى سبيل اعداد البحث، وصفة التحقيق والتمييز يمكن أن تقابلا عند المحدثين ما اشاروا اليه من وجوب اتصاف الباحث بالدقة والذكاء والموهبة، والتثبت صفة أكد الدارسون المحدثون على وجوب توافرها فى الباحث.

(١) سيرة ابن هشام، (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٩)، ويكثر ورود عبارة (العلم بالشعر) عند ابن هشام فى كتابه هذا.

(٢) فحول الشعراء، (٩).

(٣) مراتب النحويين، (٨٥).

(٤) للتفصيل فى ذكر صفات الباحث عند المحدثين، ينظر: منهج البحث الأدبى، (٣٨ - ٤٧)، منهج البحث التاريخى، (١٨ - ٢٠)، طرق البحث، (١٢٩ - ١٣١).

المبحث الثاني اختيار الموضوع وتحديده

اختيار الموضوع

يقول الجاحظ: (إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الأدب سبباً يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتاً ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقاً ومتى أغفل حملة الأدب، وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار وضم كل جوهر نفيس إلى شكله ... بطلت الحكمة وضاع العلم وأميت الأدب)^(١).

وهو في قوله هذا ينص على أن لكل مؤلف سبباً يدعو إلى التأليف، وطبيعي ألا يكون هذا السبب الداعي إلى التأليف واحداً لدى المؤلفين جميعاً فلكل منهم ميوله العلمية ودراساته الخاصة التي تفرض عليه التفكير بشكل قد يخالف فيه المؤلف الآخر ويصدر عن سبب لا يشبه السبب الذي دعا غيره من المؤلفين إلى الكتابة والتأليف، ومن ثم تكون دواعي التأليف عديدة متنوعة مستمرة ما دامت الحياة الفكرية مستمرة غير متوقفة، وفي هذا يقول مجد الدين بن الأثير: (أما بعد، فإن العلماء في سالف الدهر وآنفه مازالوا مختلفي الأغراض فيما ألفوه، متبايني المقاصد فيما صنفوه من أنواع العلوم على كثرتها وفنون المعارف

(١) رسائل الجاحظ، ٢ / ٣٨٣.

على سعتها، لا يكاد يحوى أغراضهم حدٌ ولا يجمع أفرادها عدٌ لكثرة المطالب الباعثة عليها وسعة المباحى الداعية إليها، وما من أحد حاول تصنيف كتاب إلا وقد خصه بوصف يغلب على ظنه أنه لم يسبق إليه ... ومع هذا فإن دواعي التأليف لا تنقطع والهمم فيه دائماً لا تمتنع^(١). وتستطيع القول من خلال استقراء^(٢) النصوص العديدة التى وردت عن القدامى فى هذا الموضوع بأن اختيار المؤلفين القدامى لموضوعاتهم سار فى أربعة اتجاهات يمكن تحديدها بما يلي:

دراسة موضوع لم يدرس

لما كان التأليف خدمة ثقافية وعلمية، كان من أهم البواعث التى تدعو المؤلف إليه كون الموضوع الذى يفكر فى دراسته جديداً لم يسبقه أحد من المؤلفين إلى دراسته، وهو فى تقديمه هذا الجديد إنما يقدم إضافة علمية لطلاب الثقافة والمعرفة لم تنهيا لهم معرفتها فيما وضع من مؤلفات سابقة. وللقدامى نصوص كثيرة تدل على تفهم هذه الفكرة وقصدهم لها فى اختيارهم للموضوعات التى يؤلفون فيها، فقد هاجموا المؤلفين المؤمنين بالفكرة القائلة (ما ترك الأول للآخر شيئاً) لأنها تقف دون بذل الجهود العلمية باستمرار، وتميت النشاط الثقافى والعلمى. يقول أبو عبد الله النمرى: (ويقال إن قول علي ابن أبى طالب (قيمة كل امرئ ما يحسن) لم يُسبق إليه وقالوا: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، قالوا: ولا كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل: (ما ترك الأول للآخر شيئاً)^(٣)، وشبهه بهذا النص رسالة كتبها ابن فارس اللغوى ردّاً على أحد معاصريه لإنكاره تأليف أحد الأدباء المعاصرين كتاباً فى الحماسة، وما

(١) المرصع (٣٢-٣٣).

(٢) الدكتور أحمد جاسم النجدى، منهج البحث الأدبى عند العرب، ص (٥٣-٥٦).

(٣) جامع بيان العلم، (١ / ١١٩).

ورد في بعض الكتب من أقوال تنص على ضرورة استمرار التأليف في كل عصر.

ومعروف أن توصل المؤلف إلى اختيار موضوع جديد لم يدرس من قبل يكون نتيجة لمطالعاته الكثيرة في ميدان اختصاصه مما يهيئ له معرفة ما درس من موضوعات وما لم يدرس، وهذا ما فعله المؤلفون القدامى، إذ أنهم في حديثهم عن موضوعاتهم التي يرونها جديدة تكثر إشاراتهم إلى علاقتهم المستمرة بدراسة الأدب ونقده، مما هيأ لهم العثور بهذه الموضوعات التي يكتبون فيها. يقول قدامة ابن جعفر: (العلم بالشعر ينقسم أقسامًا، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطععه، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه، وقد عنى الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما إليه إلى الرابع عناية تامة... ولم أجد أحدًا وضع في نقد الشعر وتحليص جيده من رديئه كتابًا، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة... ولما وجدت الأمر على ذلك وتبينت أن هذا الأمر أخص بالشعر... رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع...). والذي يلاحظ في قوله هذا أنه يشير إلى أنه لم يعثر بدراسة متعلقة بهذا الموضوع الذي يدرسه على الرغم من أهميته، ولهذا عمد إلى وضع كتاب في هذا الموضوع بعد أن لاحظ ندرة وضع الكتب فيه. وشيبه به قول ابن الأثير متحدثًا عن سبب تأليف كتابه الجامع الكبير: (... فلما كان تأليف الكلام مما لا يوقف على غوره، ولا يعرف كنه أمره إلا بالاطلاع على علم البيان... احتجت حين نشدت نبذة يسيرة من الكلام المنثور إلى معرفة هذا المذكور فشرعت عند ذلك في تطلبه والبحث عن تصانيفه وكتبه، فلم أترك في تحصيله سبيلًا إلا نهجته ولا غادرت في إدراكه بابًا إلا ولجته حتى اتضح عندي باديه وخافيه... ثم لما مضى على ذلك ملاوة من الدهر... لمحت في أثناء القرآن الكريم

من هذا النحو أشياء طريقة... فعرضتها عند ذلك على الأقسام التي ذكرها هؤلاء العلماء وشرحوها... فألفيتهم قد غفلوا عنها... وكان ذلك باعثاً لي على تصفح آيات القرآن العزيز والكشف عن سره المكنون... فحيث أحرزت هذه الفضيلة... أحبيت أن أفرد لها كتاباً...^(١).

ولم تكن الكتابة في موضوع جديد لتقتصر عند القدامى على هذا الجانب، بل اتجه كثير منهم إلى دراسة أدب معاصريهم أو أدب المحدثين كما سموه، وكان اتجاههم هذا منطلقاً من نظرة خاصة ترمى إلى تقديم الجديد إلى القارئ بعد أن مل أخبار القدامى وحكاياتهم، ونرى هذا الاتجاه واضحاً عند المؤلفين القدامى منذ القرن الثالث، إذ صنف أبو عبد الله هارون بن علي المعروف بابن المنجم كتابه (البارع) خاصاً بأشعار المحدثين^(٢)، وأعقبه ابن المعتز فألف كتابه طبقات الشعراء، وكان كثيراً ما يثيره إلى هذه الفكرة في ثانيا تراجم كتابه، فينص على أنه في ترجمته هؤلاء الشعراء المحدثين يتوخى تقديم الجديد إلى القارئ بعد أن مل الناس أخبار القدامى وأشعارهم لكثرة رواياتهم لها^(٣).

ويشبهه في هذا الثعالبي إذ يقول في سبب تأليف كتابه اليتيمة: (وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء وذكر طبقاتهم ودرجاتهم وتدوين كلماتهم، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم، فكم من كتاب فاخر عملوه، وعقد باهر نظموه، لا يشينه الآن إلا نبو العين من أخلاق جدته وبلى برده، ومج السمع لمردداته وملالة القلب من مكرراته، وبقيت محاسن أهل العصر التي

(١) الجامع الكبير: (١ - ٣)، وشبهه به يذكره النويري في سبب تأليف كتابه نهاية الأرب إذ يذكر أن كتابه هذا كان نتيجة مطالعته الكثيرة في علم الأدب، تلك المطالعات التي بينت له موضوعات الأدب وخفائاه ومن ثم عمد إلى وضع كتاب فيه (ينظر: نهاية الأرب: (١/ ٢ - ٣).

(٢) الفهرست، ١٦١.

(٣) طبقات الشعراء، ٨٧.

معها وراء الحداثة ولذة الجدة... غير محصورة بكتاب يضم نشرها وينظم شذرها... ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ويخلد فوائدها..^(١). ويشبهه في هذا ابن بسام الشنتريني إذ يذكر أنه أورد في كتابه الذخيرة ما كان خاصاً بأهل عصره لأن (كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول)^(٢).

ويمكننا أن نعد في هذا المجال الكتب التي خصصت لتراجم المحدثين والتي وضعت تكملة وتذييلاً للتيمة، إذ أنها جميعاً لا تخرج عن هذه الفكرة في سبب تأليفها.

ويمكننا القول بأن دراسة الموضوع الجديد كانت من البواعث المهمة لاختيار الموضوع عند القدامى، ولهذا نرى كثيراً منهم يفتخرون بموضوعاتهم ويُنَوِّهون بها لكونها جديدة مبتكرة لم يسبقهم أحد إلى دراستها، من مثل قول أبي العباس الجرجاني في كتابه المنتخب من كنايات الأدباء: (ومما يبعث على الشغف به أنه من التصانيف مبتكر ومخترع وطريقة لم أسبق إليها ولم أراحم من قبل عليها..)^(٣). ومثل هذا الافتخار والاعتزاز بالموضوع الجديد المبتكر يدل دلالة قاطعة على أن الكتابة في هذا النوع من الموضوعات كانت من الدواعي المهمة للتأليف عندهم، وإلا لما افتخر المؤلفون بها مثل هذا الافتخار ونوهوا بموضوعاتهم الجديدة مثل هذا التنويه، ومما يؤيد هذا أيضاً أننا نرى هذه الفكرة تصبح قاعدة مسلماً بها عند المؤلفين حينما يتحدثون عن أصول التأليف، فأبو الوليد الحميري يقول في كتابه البديع في وصف الربيع: (فإن أحق الأشياء

(١) تيممة الدهر، (١٧١)، وشبهه بهذا ما ذكره في كتابه سحر البلاغة من له بصر فيه على الاستشهاد بأدب المحدثين من أهل العصر (سحر البلاغة، ٥)، وما ذكره الحميري في كتابه البديع في وصف

الربيع، ٢. وابن حزم الظاهري في: طوق الحمامة، ٣.

(٢) الذخيرة، (٢/١/١).

(٣) المنتخب من كنايات الأدباء، ٣.

بالتأليف وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس إليه وتلقاه بالحرص عليه^(١)، وشبيه به ما يقول ابن جماعة فيما يذكره من وصايا للعلماء: (والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه)^(٢).

دراسة موضوع مدروس من قبل^(٣)

اتجه كثير من المؤلفين القدامى إلى دراسة موضوعات سبق لغيرهم من المتقدمين دراستها، واتجاههم هذا يستند إلى أسس ومبادئ تتصل بنظرتهم العلمية إلى التأليف وضرورته وما يقدمه من خدمة علمية وثقافية. فقد رأوا أن المؤلف المتأخر يكون أحسن من المؤلف المتقدم بحكم كثرة التجارب وتراكمها في مجال التأليف، ومن النصوص الدالة على هذه الفكرة قول ابن عبد ربه: (وبعد، فإن أهل كل طبقة وجهاذبة كل أمة قد تكلموا في الأدب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ومع كل زمان وأن كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده.... ثم إنى رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظاً وأسهل بنية وأحكم مذهباً وأوضح طريقة من الأول، لأنه ناكص متعقب والأول بادئ متقدم)^(٤)، وقول المسعودي: (ونحن وإن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين... فنرجو ألا نقصر عنهم في تصنيف نقصده وغرض نؤمه... وقد تشترك الخواطر وتتفق الضمائر، وربما كان أحسن تأليفاً وأتقن تصنيفاً لحنكة

(١) البديع في وصف الربيع، ١.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، ٣٠، وواضح أن القدامى في اعتماد هذا الدافع لاختيار الموضوع يسبقون الدارسين المحدثين، إذ يشترط كثير من الأساتذة على طلبتهم في الدراسات العليا وجوب كون الموضوع الذي يفكرون في دراسته جديداً لم يسبق لغيرهم دراسته.

(٣) الدكتور أحمد جاسم النجدى، منهج البحث الأدبي عند العرب، ص (٥٨-٥٩).

(٤) العقد الفريد، (١/١-٢).

التجارب وخشية التبع والاحتراس من مواقع الخطأ، ومن هنا صارت العلوم نامية غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجده الأول، وذلك إلى غير غاية محصورة ولا نهاية محدودة...^(١).

ولما كان المؤلف المتأخر متعقبًا دائمًا، كما يقول ابن عبد ربه، ومستفيدًا من خبرات التأليف وتجاربه المستمرة كما يقول المسعودي، كان بالضرورة أقل خطأ من المؤلف المتقدم وأوسع نظرة منه مما يهيئ له اكتشاف النواقص في المؤلفات السابقة، ومن ثم دراسة الموضوعات السابقة دراسة جديدة تأتي إلى تلك النواقص فتكملها، وتنبه إلى الأخطاء السابقة فتصححها ولهذا كثرت الإشارات والنصوص التي تشير إلى الأسباب التي حملت المؤلفين القدامى على التأليف في موضوع سبقت دراسته، ونستطيع القول من خلال استقراء هذه النصوص والإشارات أن دراسة الموضوع الذي سبقت دراسته يمكن أن ترد إلى أربعة أسباب:

الأول منها كون الدراسات السابقة غير مستوفية لجوانب الموضوع وتفصيلاته كافة، من النصوص التي تشير إلى هذا قول ابن قتيبة في كتابه الميسر والقдах: (أما بعد، فإنك كتبت تعلمني تعلق قلبك بالميسر وكيفيته والقдах وحظوظها والمياسرين وأحوالهم، ومعرفة ما في الميسر من النفع الذي ذكره الله في القرآن وأنت لم تجد فيه لأحد من علماء اللغة مقالاً كافياً، ولا قرأت فيه لمتقدم من السلف خيراً شافياً، وتسأل أن أكتب بذلك كتاباً يوضحه لك ويسهله عليك...)^(٢)، وواضح أن صديقاً للمؤلف يطلب منه تأليف كتاب في موضوع معين بعد أن رأى أن ما قيل في هذا الموضوع غير كاف، غير مستوف له من

(١) التنبيه والإشراف، ٧٦.

(٢) الميسر والقдах، ٢٦.

جوانبه كافة مما يدل على أن فكرة إعادة الكتابة في الموضوع المدروس سابقاً كانت معروفة شائعة بين المؤلفين والعلماء في حالة عدم استيفاء الدراسات للموضوع. وشبهه بهذا ما نراه في قول إن عبد ربه مبيّنًا سبب تأليفه كتاب العقد الفريد: قد نظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة في فنون الأخبار ولا جامعة لجمال الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيًا شافيًا جامعًا لأكثر المعاني التي تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة..^(١)، وهو في قوله هذا يشير صراحة إلى أن الدافع الرئيس لاختياره الكتابة في هذا الموضوع الذي سبق لغيره دراسته هو كون المؤلفات السابقة غير شاملة ومستوفية للموضوع نفسه. وهناك كثير من النصوص التي تدور حول هذه الفكرة نفسها والتي يؤكد فيها أصحابها أن اتجاههم إلى التأليف في موضوعاتهم هذه كان سبب عدم استيفاء المؤلفات السابقة لموضوعاتها^(٢).

وسبب ثان دفع بالمؤلفين القدامى إلى الكتابة في موضوع سبقت دراسته يتمثل في كون الدراسات السابقة غير مبوبة وغير منسقة مما يجعل المواد الأساسية للموضوع مختلطة بغيرها من المواد الأخرى التي لا علاقة لها بموضوع الكتاب بشكل يضيع على القارئ سبيل الإفادة منها، ومن ثم يكون لبعض المؤلفين العذر في تأليف كتاب جديد في الموضوع نفسه، يجمع فيه ما فرق المؤلف السابق وينسق ما بعثه ويعرضه بنظام جديد، وهذا العمل من المؤلف اللاحق يعد مسوغًا كافيًا للكتابة في موضوع مطروق قبله.

يقول أبو هلال العسكري مبيّنًا سبب تأليف كتابه (الصناعتين): (... فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختبار الكلام ووقفت على موقع هذا

(١) العقد الفريد، (١ / ٤).

(٢) ينظر على سبيل المثال: أدب الكتاب، (٢٠ - ٢١)، البرهان في وجوه البيان، (٥١ - ٥٢)، معجم الأدباء، (١ / ٣ - ٤)، صبح الأعشى، (١ / ٧ - ٨).

العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنبيل ووجدت الحاجة إليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، وهو لعمرى كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة والخطب الرائعة... ألا أن الإبانة عن الحدود البلاغية وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أنائه، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير، فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على ما يحتاج إليه في صنعة الكلام^(١)، وهو في قوله هذا ينص على أن سبب تأليفه في هذا الموضوع هو كون أهم الكتب التي درست الموضوع نفسه غير مبوبة ولا منسقة بشكل تضيع فيه معالم الموضوع وملاحمه الأساسية.

واستناداً إلى هذا السبب وجدت كثير من الكتب التي كان جل اهتمام مؤلفيها منصباً على عرض المادة المدروسة سابقاً بشكل جديد يعتمد على التبويب والتنسيق للمواد السابقة ومن أمثلة هذا ما نراه في قول ابن أبي عون: (سألتني أعزك الله أن أثبت أبياتاً من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم فيها الظريفة، وقد تقدم الناس - أعزك الله - في اختيار الشعر وتمييزه غير أنهم لم يصنفوه أبواباً...) ^(٢) وهو في كلامه هذا الذي يوجهه إلى من ألف له الكتاب يشير إلى أن ما سبقه من اختبارات في هذا الموضوع لم يكن مبوباً، مما يشعر بأن السبب الذي شجعه على القيام بتأليف هذا الكتاب هو محاولة تبويب الاختبارات الواردة في هذا الموضوع، وإذن فلا ضير عليه في أن يؤلف في موضوع مطروق قبله ما دام سيعتمد إلى تبويب مادته تبويباً جديداً^(٣).

(١) الصناعتين، (٤ - ٥).

(٢) التشبيهات، (١ - ٢).

(٣) وشبهه به ما قاله صاحب الحجاسة البصرية في سبب تأليفه كتابه، ينظر: الحجاسة البصرية، (١ / ١).

وثالث: الأسباب التي حملت المؤلفين القدامى على التأليف في موضوعات سبقت دراستها، هو أن الموضوعات السابقة - على كثرتها - لم تتوصل إلى البت في مسألة مهمة ألقت من أجلها ولم تستطع إيضاحها وإصدار حكم نهائي فيها.

يقول الباقلاني في سبب تأليفه كتابه (إعجاز القرآن): (وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتابات لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى، وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك... فأجبناه إلى ذلك متقربين إلى الله عز وجل)^(١) وبالسبب نفسه يواجهنا ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة إذ يذكر أن ما ألف قبله لم يفصل القول في مسألة الفصاحة ولم يبين أقسامها بوضوح^(٢).

والسبب الرابع الذي استند إليه المؤلفون القدامى في الكتابة في موضوعات سبقت دراستها هو كون الدراسات السابقة حاملة كثيرًا من الأخطاء مما يدفع ببعض المؤلفين إلى إعادة التأليف في موضوعها نفسه لكشف أخطاء هذه الدراسات والتنبيه عليها، ومن أمثلة ما يذكره أبو القاسم الأصفهاني في سبب تأليف كتابه (الواضح في مشكلات شعر المتنبي) إذ يقول إنه وقف على كتاب لابن جني في هذا الموضوع فوجد فيه صوابًا وخطأً مما حمله على تأليف في الموضوع نفسه^(٣)، ومن ذلك ما يذكره أبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال إذ يقول إنه ألف كتابه هذا وميز فيه الأمثال العربية الفصيحة من الأمثال

(١) إعجاز القرآن، (٧).

(٢) سر الفصاحة، (٣-٥).

(٣) الواضح في مشكلات شعر المتنبي، (٥).

المولدة ليسلم كتابه من الخطأ الذي وقع فيه حمزة الأصفهاني إذ جمع بين هذه الأمثال دون تمييز^(١)، وكذلك الحال بالنسبة إلى ابن الأثير وكتابه (الاستدراك) إذ أنه ألف هذا الكتاب منبهاً فيه على الأخطاء التي وقع فيها ابن الدهان في كتابه الموسوم بالماخذ الكندية ومستدركاً عليه ما فاته من نماذج السرقات.

التذييل والتكملة

توضع بعض الكتب في حقبة زمنية متقدمة في موضوع معين، ولأهمية موضوعها أو ضرورته توضع فيه كتب أخرى في حقب تالية، تبدأ من حيث انتهت الكتب السابقة عارضة لموضوعات مابه لما سبقها، ويتوالى وضع الكتب على هذا المنوال حتى تكون هناك سلسلة متصلة من الكتب التي تتناول موضوعاً واحداً خلال حقبة من الزمن، ويعد كل منها تكملة للكتاب الآخر، والكتب الموضوعية بهذا الشكل عند القدامى كثيرة متنوعة، ومنها كتاب "الفرج بعد الشدة" للمحسن التنوخي الذي يتحدث لنا في مقدمته عن سبب تأليفه فيقول: (وكنيت قد وقفت في بعض محني على خمس أو ست أوراق جمعتها أبو الحسن على بن محمد المدائني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق، وذكر فيها أخباراً تدخل جميعها في هذا المعنى، فوجدتها حسنة، ولكنها لقلتها نموذج صغير... ووقع إلى كتاب لأبي عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة في نحو عشرين ورقة... وقرأت أيضاً كتاباً للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف القاضي رحمه الله في مقدار خمسين ورقة سماه (كتاب الفرج بعد الشدة)، أودعه أكثر مما رواه المدائني وأضاف إليه أخباراً أخر أكثرها حسنة... فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف

كتاب يحتوى من هذا الفن على أكثر ما جمعه القوم وأبين للمعنى وأكشف وأوضح وإن خالف مذهبهم فى التصنيف وأعدل عن طريقهم فى الجمع والتأليف...) (١).

ويلاحظ واضحاً فى هذا النص أن هناك عديداً من الكتب وضعت فى موضوع واحد، وكان كل واحد منها يضيف على ما تقدمه أخباراً ونصوصاً، حتى كان كتاب القاضى التنوخى هذا آخر حلقة هذه السلسلة ومكماً لتلك الكتب فى الموضوع نفسه، مما يدل على أن مؤلفى هذه الكتب شعروا بأهمية استقصاء الواحد، وإضافة كل ما يجد فيه الزمن ليتكون من مجموع هذه الكتب الموضوعية فيه ما يكون نظرة متكاملة شاملة للموضوع الواحد. وشبيه بهذا ما يقوله النيسابورى فى كتابه عقلاء المجانين: (وكنى فى حادثة سنى سمعت كتباً فى هذا الباب مثل كتاب الجاحظ وكتاب ابن أبى الدنيا وأحمد بن لقمان على سهل ابن علي البغدادي رحمهم الله فوق كل كتاب منها فى جزء أو ما يقارب جزءاً تتبععتها وتيقنتها وضممت إليها قرائنها وعزوتها إلى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير مست تلك الكتب) (٢).

ولم يكن هذا الاتجاه فى التأليف ليقصر على مثل هذه الموضوعات المحددة بل امتد إلى الموضوعات الأدبية كافة فشمل كتب التراجم الأدبية، حتى وجد فى هذا المجال كتب عديدة فى تراجم الأدباء يبدأ كل منها من حيث انتهى المؤلف السابق له، ويكاد هذا الأمر يقتصر على الكتب التى ألفت فى تراجم الأدباء المعاصرين أو قريبي العصر بالمؤلف، وقبل العصر بالمؤلف، وقد كان كتاب

(١) الفرج بعد الشدة، ١ / ٦ - ٧.

(٢) عقلاء المجانين، ١٢.

البارع لابن المنجم من أوائل هذه الكتب^(١). ثم وضعت سلسلة من التكملات له، كان أولها كتاب يتيمة الدهر للثعالبي، الذي أعقبه نفسه بوضع تكملة له سماها تنمة اليتيمة، ثم وضعت لليتيمة تكملات وذيول عديدة، أعقبت بوضع تكملات على الشعراء قديمهم ومحدثهم في أشعارهم خاصة، سوى عيوبهم في أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم وديانتهم وغير هذه الخصال من معانيهم فإننا قد استقصيناها في كتابنا الذي لقبناه بالمفيد وغيره من كتبنا التي جمعناها في أخبار الشعراء وشرحنا فيها أحوالهم، وسوى سرقات معاني الشعر فإنها أحد عيوبه... فإننا قد أتينا بكثير من ذلك في كتاب الشعر...^(٢)، وواضح أن المؤلف وضع كتباً عديدة في الشعراء تناول في كل واحد منها ناحية معينة ثم كان كتابه الموشح هذا آخر هذه الكتب ومكملاً لكتبه الأخرى في الحديث عن الشعراء. ويذكر ابن أبي الأصبغ المصري أن كتابه بديع القرآن هو تنمة لكتاب له آخر سماه (بيان البرهان)^(٣)، مما يشير إلى أنه ألف هذا الكتاب متناولاً فيه مسائل فاته ذكرها في كتابه السابق مما يتعلق بالقرآن وإعجازه. وكل هذا وما سبقه يدل بوضوح على أن اتجاه القدامى إلى وضع الكتاب تكملة لكتب أخرى سابقة كان بدافع حرصهم على استكمال موضوعات معينة وإشباعها بحثاً، وهم بهذا يقدمون إلينا فهماً علمياً قيماً لضرورة التأليف ودواعيه.

الخدمة التعليمية

وضع القدامى كثيراً من الكتب باتجاهات مختلفة تلتقي كلها في هدف واحد هو تقديم الثقافة العامة لطوائف الأدباء والمثقفين عموماً. فهناك عديد من

(٢) ذكر هذا ابن خلكان، وعدد الكتب التي وضعت تذيلاً لهذا الكتاب، ينظر: وفيات الأعيان، (٥) ١٤٩/ - ١٥٠).

(٣) الموشح، (١).

(٤) بديع القرآن، (٣).

الكتب التى جمعت طائفة كبيرة من المعلومات فى موضوعات مختلفة لتقدم بهذا ما يحتاج إليه الأدباء والكتاب بصورة خاصة من معلومات متنوعة. وهناك أيضًا كتب عديدة عنت بتبيان صور الأخطاء التى يمكن أن تحدث عند التأليف ونقل المعلومات عن المصادر، هادفة من هذا إلى إبعاد المؤلفين عما قد يقعون فيه من أخطاء أثناء التأليف، وإلى جانب هذا وجدت كتب عديدة كان الغرض منها تسهيل الدراسة وتيسيرها على الطلاب والراغبين فى المعرفة بوجه عام، وأكثر ما يتمثل هذا النوع من الكتب فى الشروح والمختصرات التى تناول الكتب المشهورة فى مجالات التعليم والدرس.

ومن الواضح أن هذه الكتب جميعًا لم توضع لتقديم موضوع جديد أو إثارة موضوعات غفل عنها الدارسون السابقون أو تكملة لبحوث سابقة كما هو الحال فى الكتب التى ألقت بدوافع سبقت الإشارة إليها. فكل ما تقدمه من معلومات وما تثيره من موضوعات كان معروفًا متداولًا، إلا أنه متفرق فى كثير من الكتب، وفضل المؤلف فى هذا المجال هو جمع هذه المعلومات وإجمالها وتيسير سبل الإفادة منها.

ومن مظاهر هذا النوع من الكتب ما وضعه بعض المؤلفين لخدمة طائفة الكتاب التى كانت بحكم وظيفتها تحتاج إلى مجموعة كبيرة من المعلومات فى موضوعات متنوعة، وأشهر المؤلفين الذين اتجهوا هذا الاتجاه ابن قتيبة الدينورى إذ ينص فى مقدمة كتابه (عيون الأخبار) علة أنه ألفه لهذا الغرض فيقول: (وإنى كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتابًا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد وتبينت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب عفا ودرس، بلغت به فيه همه النفس وثلج الفؤاد... ولما تقلدت له القيام ببعض آتته دعتنى الهمة إلى كفايته.. فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما

أسست... وهذه عيون الأخبار نظمها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة...^(١).

وعنيت مؤلفات أخرى بجمع ما يحتاجه الأدباء في مكاتباتهم ومجالسهم من نماذج، وأكثر ما يظهر هذا في الكتب المؤلفة في الأمثال ككتاب جمهرة الأمثال للعسكري الذي يقول في مقدمته شارحاً السبب في تأليفه: (ثم إنى ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان، بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد في المنطق تفخيماً ويكسبه قبولاً ويجعل له قدرًا في النفوس... ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكر والاستظهار... ولما رأيت الحاجة إليها هذه الحاجة عزمت على تقريب سلبها وتلخيص مشكلها وذكر أصولها وأخبارها.... فعملت كتابي هذا مشتملاً على ما لم يشتمل عليه كتاب أعرفه....)^(٢)، وشبيه به ما يقول الثعالبي في كتابه سحر البلاغة: (فمن مرافق هذا الكتاب قرب متناوله على بلغاء العصر إذا طرزوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره....)^(٣).

ونستطيع أن نعد في هذا الاتجاه التعليمي من التأليف ما ألف من كتب في التصحيف والتحريف، والمؤتلف والمختلف من الأسماء والألقاب، زيادة على ما وضع من كتب لتبيان أخطاء العلماء والمؤلفين السابقين، وقد صرح مؤلفو هذه

(١) وشبيه بهذا ما يقوله في مقدمة كتابه أدب الكاتب، ص (٩)، وما يقوله الصولي في كتابه أدب الكاتب، ص (٢٠)، وابن درستويه في كتاب الكتاب، ص (٦)، وكل هذه الكتب هو واضح من موضوعاتها أنها وضعت لخدمة الكتاب على مر العصور حتى كان كتاب صبح الأعشى للقلقشندي آخر هذه الكتب وأوسعها، وقد صرح بالسبب الذي دعاه إلى تأليفه في مقدمته. ينظر: صبح الأعشى، (١ / ٨ - ١٠).

(٢) جمهرة الأمثال (١ / ٤ - ٦).

(٣) سحر البلاغة (٥ - ٦).

الكتب بهذا الدافع الذى إلى الكتابة فى هذه الموضوعات، ومنهم الآمدى الذى يقول فى كتابه (المؤتلف والمختلف): (هذا كتاب ذكرت فيه المؤتلف والمختلف والمتقارب فى اللفظ والمعنى والمتشابه به الحروف فى الكتاب من أسماء الشعراء وأسماء آبائهم وأمهاتهم وألقابهم مما يفصل بينه الشكل والنقط واختلاف الأبنية، وإنما ذكرت من الأسماء والألقاب ما كانت له نباهة وغرابة وكان قليلاً فى تسميتهم وتلقيبهم، وكانوا إذا ذكروه مفردًا عن اسم الأب والقبيلة لشهرته ولم أتعُد هذا الجنس لقلّة الاشتراك فيه ولأن الغلط يقع فى مثله.... ويجرى اللبس فيه على من لم يتمهر فى معرفة الشعر والشعراء دائماً)^(١)، ويقول الحريرى فى كتابه درة الغواص: (...فإنى رأيت كثيرًا ممن تسنموا أسمنة الرتب وتوسموا بسمّة الأدب قد ظاهروا العامة فى بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعى أقلامهم، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر...) ^(٢)، وهو فى كلامه هذا يؤكد أن الدافع الذى حمله على تأليف الكتاب هو رغبته فى تصحيح الأخطاء التى تشيع حتى عند العلماء مما يشير إلى أن كتابه هذا وضع بدافع تعليمى إذ أن الغرض منه التنبيه على الأخطاء لتحاشيها فى المستقبل.

ويتصل بهذا الدافع ما وضع من شروح ومختصرات كثيرة للكتب الأدبية أو النصوص ذات الطابع اللغوى مما كان يدرس فى تلك العصور. وواضح أن الشروح التى وضعت فى هذا المجال كان يضعها الشيوخ والعلماء الذين يقومون بتدريس هذه النصوص والكتب، وكانت طبيعة عملهم تفرض عليهم هذا، إذ كانوا ملزمين فى أحيان كثيرة بالتعليق على الكتب التى يقومون بتدريسها وشرح ما يروونه مستبهماً غامضاً فيها. وكثيراً ما كانوا يملون هذه الشروح حتى يتكون

(١) المؤتلف والمختلف (٣).

(٢) درة الغواص، (٢-٣).

من مجموع هذه الأمالى كتاب موسع يفيد منه الطلاب. ومن نماذج هذا النوع من الكتب شرح المفصل لابن يعيش الحلبي الذي يقول في مقدمته: (وبعد، فلما كان الكتاب الموسوم بالمفصل من تأليف الإمام العلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله جليلاً قدره نابها ذكره، قد جمعت أصول هذا العلم فصوله وأوجز لفظه فتيسر على الطالب تحصيله، إلا أنه مشتمل على ضروب منها: لفظ أغربت عبارته فأشكل، ولفظ تتجاذبه معاً فهو مجمل ومنها ما هو باد للأفهام إلا أنه خال من الدليل مهممل، استخرت الله تعالى في إملاء كتاب أشرح فيه مشكله وأوضح مجمله واتبع كل حكم منه حججه وعلله...) (١)، ووضح من قوله هذا أنه أنشأ هذا الشرح لغرض تعليمي، إذ وضح ما كان من كتاب المفصل غامضاً مستبهماً، وأملى شروحه هذه إملاء مما يدل على أن الحاجة التعليمية هي التي دفعت به إلى هذا العمل. وشروح الكتب القديمة كثيرة في مختلف مجالات التأليف وهي في مجموعها لا تخرج عن هذه الفكرة التي نرى ابن يعيش يعرب في قوله السابق.

وسببه بعملية الشرح هذه من الوجهة التعليمية عملية الاختصار إذ وجدت كثير من الكتب التي تناولت كتباً سابقة بالاختصار والتهذيب، والغرض من هذه المختصرات هو تقريب الكتب الموسعة لأذهان الطلاب والقراء عموماً، وتسهيل حفظها والإلمام بها، ومن أمثلة هذه المختصرات ما وضعه الزبيدي من مختصر العين، فهو يصرح بالغرض التعليمي منه إذ يقول في مقدمة الكتاب: (هذا كتاب، أمر بجمعه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله أطال الله بقاءه، عناية منه بالعلم واهتماماً به ورغبة في نشره والانتفاع بفائدته، وذهب فيه إلى اختصار الكتاب المعروف بكتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد

الفراهيدي، بأن تؤخذ عيونه، ويلخص لفظه، ويحذف حسه، وتسقط فصول الكلام المتكررة فيه، لتقرب بذلك فائدته وليسهل حفظه، ويخف على الطالب جمعه...^(١).

هذه هي أهم الأسباب التي حملت المؤلفين القدامى على اختيار موضوعات كتبهم منذ بداية عصر التأليف، وقد ظلت هذه الدوافع رائد المؤلفين حتى استقرت عند المتأخرين منهم قاعدة من القواعد وأصبحت في جملة الأسس التي تكون المنهج العام للبحث والتأليف عند المؤلفين القدامى، إذ قلما يخلو كتاب تطرق إلى قضايا التأليف من ذكر هذه الدوافع مجملة أو مفصلة، من مثل قول الكاعى في الفصل الذى خصصه للتأليف: (والتواليف تنقسم على أقسام، منها ما أقل فضيلته حسن الاختيار الذى عليه المدار... ومنها ما فضيلته جمع ما افرق... ومنها اختصار الطويل فى اللفظ القليل، ومنها رد القصير فى معرض الطويل الكثير، ومنها ما يعتمد فيها المؤلف على فكره يغترفه من بحر...^(٢)). وفى كتاب المعيد للعلموى نلاحظ هذه الدوافع بصورة أوضح وأكثر تفصيلاً، إذ ينقل عن أحد المؤلفين السابقين قوله عن مراتب التأليف بأنها سبع وهى: (استخراج ما لم يسبق إلى استخراج، وناقص فى الوضع يتم نقصه، وخطأ يصحح الحكم فيه، ومستغلق بإجحاف الاختصار يشرح أو يتم بما يوضح استغلاقه، وطويل يبدد الذهن طوله يختصر من غير إغلاق ولا حذف لما يخل حذفه المصنف الأول، ومتفرق يجمع شتات تبدده على أسلوب صحيح قريب ومنثور غير مرتب يرتب ترتيباً يشهد صحيح النظر أنه أولى فى تقريب العلم للمتعلمين من الذى تقدم فى حسن

(١) مختصر العين، ١ / ٧ - ٨.

(٢) أحكام صنعة الكلام، ٢٣٠ - ٢٣١.

وضعه وترتيبه وتبويبه..^(١). ويلاحظ أن كل ما ورد ذكره في هذا النص سبق أن رأيناه فيما استعرضناه من دوافع لتأليف استقرأنها من كتب المؤلفين القدامى.

وإذا كان في هذا الذي قدمناه ما يدل على تفكير منهجي سديد وتفكير علمي بضرورة التأليف وقيّمته، فإن هذا لا يعنى أن المؤلفين القدامى كانوا جميعاً في مثل هذا المستوى العلمى والتفكير المنهجي السليم في اختيارهم موضوعات كتبهم. فقد وجد بعض المؤلفين الذين يكررون ما كتبوه سابقاً دونما تجديد وإضافة، ولعل أبا منصور الثعالبي كان خير مثال لهذا النوع من المؤلفين إذ أننا نكاد نجد في مؤلفاته العديدة التي وصلت إلينا غير تكرار في المعلومات والاختيارات، وبشكل يميز لنا القول بأن الثعالبي لم يؤلف في ميدان الأدب غير كتب ثلاثة هي: ثمار القلوب والتمثيل والمحاضرة، وما سواها من الكتب نقل وإعادة لما في هذه الكتب من المعلومات بترتيب يختلف في كتاب عنه في كتاب آخر. وقد انتبه القدامى أنفسهم إلى أن كتب الثعالبي لا فائدة في معظمها فوصفوها بقلة الجدوى، وقلة الفائدة العلمية منها، وفي هذا يقول ياقوت الحموى في ترجمة الأسعد بن المهذب بن ممتى: (ولو تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأديب، وفي معرض وقائع تجرى، ويعرضها على الأكابر، لم تكن مفيدة إفادة علمية إنما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبي وأضرابه...) ^(٢)، كما وجد فيهم مؤلفون لا يضيفون شيئاً جديداً إلى ما يؤلفون بل يكررون أقوال سابقهم بزيادة أو بنقصان، ومن نماذج هذا النوع ما نراه في قول القفطى متحدثاً عن عبدالطيف ابن يونس البغدادي: (وكان يدعى تصنيف كتب ما فيها مبتكر، وإنما يقف على

(١) المعيد، (٨٠).

(٢) معجم الأدباء، (٢/ ٢٥١).

التصانيف غيره فإما أن يختصر أو يزيد ما لا حاجة إليه، وهى فى غاية البرودة والركاكة...) (١).

وعليه يرتبط اختيار الموضوع بتحديدده، ويكاد الأمران يكونان متلازمين لا فاصل بينهما، ومرحلة واحدة لا تحتمل التجزئة والفصل، إذ من الواضح أن التفكير فى اختيار موضوع معين يصحبه التفكير فى تحديد ذلك الموضوع حدودًا معينة ليتمكن المؤلف من جمع مادته فيما بعد على أساس هذا التحديد.

وتحديد الموضوع عند المؤلفين القدامى يجمع إلى جانب عموميته واتساعه معالم واضحة الدلالة على تفكير علمى دقيق فى تحديد الموضوعات، فكثير من المؤلفات الأدبية القديمة لم تعرف التحديد الدقيق وأكثر ما يظهر هذا فى كتب الأدب الجامعة. ولئن دل على فقدان المنهجية عند مؤلفى هذه الكتب، إلا أنه يمكن أن يفسر من جانب بقصد هؤلاء إلى تقديم أكثر ما يمكن تقديمه من مخزون ثقافتهم وما تناثر فى الكتب السابقة من معلومات. ويؤيد هذا أن هذه الكتب الجامعة وضعت لخدمة الأدباء بصورة عامة والكتّاب بصورة خاصة، وهؤلاء - كما سبقت الإشارة إلى هذا - يحتاجون إلى كثير من المعلومات فى مختلف الموضوعات مما يفرض على مؤلفى هذه الكتب اتجاهاهم العام فى الجمع والتأليف.

وعلى خلاف هذه الظاهرة التى تبدو فى كتب الأدب الجامعة، وتظهر فى كثير من الكتب الأدبية الأخرى معالم واضحة وأسس متميزة التحديد متمثلة

(١) إنباء الرواة، (٢/ ١٩٤ - ١٩٥)، ولا بد لنا هنا من الإشارة إلى أن هذه الدواعى التى ذكرناها سابقًا يمكن أن يلتقى اثنان منها أو أكثر فى كتاب واحد، كما يمكن أن يكون واحد منها فقط هو الداعى إلى اختيار الموضوع.

أولاً بملاحظات عامة لبعض المؤلفين تدل على قصدهم إلى تقريب مواد كتبهم بتحديداتها وعدم السماح باتساعها وتشعبها. من مثل قول صاحب الزهرة: (ومثل هذا الكتاب إنما يطلبه أهل الآداب ليخفف على الألفاظ وتسهل للحفاظ، فإن بعد آخره نسي أوله، ولسنا وإن اجتهدنا في إطالته راجين التناهي إلى غايته ومن لم يبرج الكمال بالإكثار كان حقيقاً أن يقنع بالاختصار...) ^(١)، وهو نص في إرادة التحديد، وكبح جماح الإطالة والاتساع التي تظهر في بعض الكتب القديمة، ولئن بدا هذا واضحاً ممكناً في موضوع يسهل تحديده كموضوع كتاب الزهرة، إلا أننا لا نعدمه في كتب أخرى جمعت كثيراً من المواد والموضوعات ومنها كتب التراجم، فابن قتيبة مثلاً وإن احتوى كتابه الشعر والشعراء على عدد كبير من التراجم في مدة زمنية كبيرة، إلا أننا نلمس منه تفكيراً في التحديد اتبعه عندما كتب كتابه فحدد تراجمه بقوله: (ولم أعرض في كتابي لمن كان غلب عليه غير الشعر، فقد رأينا بعض من ألف في هذا الفن كتاباً يذكر في الشعراء من لا يعرف بالشعر ولم يقل منه إلا الشذر اليسير كابن شبرمة القاضي... ولو قصدنا لذكر هؤلاء في الشعراء لذكرنا أكثر الناس...) ^(٢).

ولدى استقراء الكتب الأدبية يمكن القول إن أسس تحديد الموضوعات عند المؤلفين القدامى كانت كما يلي:

١- الزمان والمكان

عمد بعض المؤلفين القدامى إلى تحديد موضوعاتهم على أساس زمني فجمعوا في هذه الكتب من المواد والأخبار ما يرجع إلى عصر معين دون غيره،

(١) الزهرة، (٤).

(٢) الشعر والشعراء، (١ / ٩ - ١٠).

وغير خفى أن حصر مواد الكتاب بعصر معين يمثل تفكيرًا بتحديد خاص للكتاب يقوم على أساس واحد يمكن أن يشمل موضوعات معينة دون غيرها.

والكتب القديمة التى سارت على هذا الأساس فى التحديد كثيرة ترجع فى معظمها إلى ما ألف فى تراجم الأدباء، ويمكن عد كتاب (الروضة) للمبرد أول هذه الكتب التى تلتزم بالترجمة للشعراء المحدثين فقط، إذ بدأ بأبى نواس ثم تلاه غيره من شعراء العصر العباسي^(١)، ويتلوه فى هذا كتاب (البارع) لهارون بن علي ابن يحيى المعروف بابن المنجم (٢٨٨هـ)^(٢)، وكتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦هـ)، وكتاب الورقة لابن الجراح (٢٩٦هـ)، وكتبًا عديدة أخرى تدل بمجموعها على أن تحديد التراجم بالأدباء المحدثين فقط أصبح منهجًا متبعًا لدى المؤلفين، ويكفى أن نذكر منها كتاب يتيمة الدهر للثعالبي وما وضع من تنمات وذيول عليه سبق لنا ذكرها.

ولم يكن تحديد هذه الكتب حسب الزمان متمثلًا فى موضوعاتها وما احتوته من تراجم فقط، بل امتد حتى شمل عنواناتها فكانت هذه العناوانات دليلاً على هذا التحديد الزمنى فالثعالبي يسمي كتابه (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) ليبدل بعبارته الأخيرة على اقتصار كتابه على تراجم العصرين فقط، وكذلك فعل المؤلفون الذين اتبعوه وأكملوا يتيمة.

ووجدت كتب أخرى اقتصرت على الترجمة للأدباء المنتمين إلى إقليم معين، مما يمثل أساسًا آخر للتحديد يمكن أن نسميه التحديد المكانى، ومن هذه الكتب كتاب أخبار شعراء مصر للصولي^(٣)، وشعراء أصبهان لحمزة

(١) العقد الفريد، (٧٧/٦)، المثل السائر، (١٢/٢).

(٢) ذكر هذا الكتاب فى الفهرست، (١٦٠).

(٣) ذكر فى معجم الأدباء، (٤١٥/٢).

الأصفهاني^(١)، (والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنتريني الذي احتوى على تراجم للأدباء الأندلسيين فقط، (والدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة) لابن القطاع الصقلي^(٢) الذي احتوى على تراجم أدباء صقلية فقط، وكتب عديدة أخرى سارت على هذا التحديد نفسه، وأفاضت كتب التراجم والأدب في ذكرها.

وهذه الكتب وما سبق ذكره من كتب وضعت في تراجم المحدثين موزعة حسب البيئات الإقليمية، يمكن أن تشبه من حيث الفكرة ما يوضع من دراسات حديثة حول مجموعة من الأدباء المتمين إلى إقليم وعصر معينين.

٢- الصفات المشتركة

سارت كثير من كتب التراجم القديمة على أساس معين من التحديد يتمثل في وجود صفة مشتركة تجمع بين المترجم لهم في الكتاب، فقد بدأ اتجاه في التأليف منذ القرن الثالث الهجري يظهر فيه اعتماد رابط اللقب أو الكنية أو الاسم حدًا لموضوع الكتاب، من مثل ما ينسب إلى محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) من كتب صغيرة في التراجم والأخبار محددة حسب الكنى والألقاب، منها كتاب (من نسب إلى أمة من الشعراء) وكتاب (كنى الشعراء ومن غالبت على اسمه)^(٣) وكتاب السكري (٢٧٦هـ) عنوانه (من قال بيتا فلقب به)^(٤)، وكتاب لابن الجراح (٢٩٦هـ) عنوانه (من سمي عمرًا من الشعراء)، واستمر وضع

(١) ذكر في معجم الأدباء، (٦ / ٢٨٩).

(٢) ذكر في معجم الأدباء، (٥ / ١٠٧).

(٣) طبع الكتابان ضمن سلسلة نواذر المخطوطات، وهما يمثلان مرحلة أولى في التراجم إذ أن ما فيهما لا يعدو احصائيات بأسماء الشعراء مع بعض الأخبار المقتضبة عنهم.

(٤) ذكر الكتاب في الأغاني، (١٩ / ١٨٨).

الكتب بمثل هذا التحديد طيلة العصور التالية حتى كان منها القرن السابع كتاب (المحمدون من الشعراء) للقفطى.

وضمت بعض كتب التراجم أيضًا طائفة من الأدباء المعروفين بعاهة معينة، ويبدو أن أبا عثمان الجاحظ هو الواضع الأول لهذه الفكرة في التحديد إذ ألف كتابًا بعنوان (البرصان والعرجان والعميان والحولان) وقد ضم طائفة من التراجم والأخبار مختلطة ببعضها تدور حول هذه الصفات التى سُمى كتابه بها. ويمكننا أن نعد ضمن هذه المجموعة كتاب عقلاء المجانين لمحمد بن الحسن النيسابورى (٤٠٦هـ) وكتبًا عديدة أخرى يصادفنا منها في القرن الثامن كتاب (نكت الهيمان) للصمدى.

ووضعت كتب أخرى للحديث عن طائفة اجتماعية معروفة بسلوك معين مما يمكن أن نعه أساسًا لتحديد موضوع الكتاب يشبه ما سبقه ويدخل ضمن مفهوم الصفات المشتركة. ويبدو أن الجاحظ هو أول من اتجه هذا الاتجاه في كتابه (البخلاء) وأعقبه الوشاء في كتابه (الموشى) الذى خصصه للظرف والظرفاء، والخطيب البغدادى في كتابيه (التطفيل) و(البخلاء) وابن الجوزى في كتابيه (الأذكياء) و(الظرف والمتماجين).

٢- الأغراض الشعرية

اتجه كثير من المؤلفين إلى تخصيص كتبهم بالحديث عن غرض شعري معين دون غيره. إذ يعمدون إلى اختيار النماذج الأدبية وما يتعلق بها من أخبار لا تتعدى الغرض الشعري الذى حددوا كتبهم به، وفي هذا ما يدل على أن الغرض الشعري كان أساسًا من أسس التحديد عند القدماء إذ التزم به كثيرون وقدموا إلينا عديدًا من الكتب التى سارت على هذا النوع من التحديد القائم على أساس الغرض الشعري الواحد. ونستطيع القول بأن كتب الاختيارات الأدبية

وأشهرها كتب الحماسة هي التي وضعت الأساس لهذا التحديد إذ أن توزيعها لاختيارات حسب الأغراض الشعرية يمثل بداية التفكير في اعتماد لهذا الأساس الذي تطور عند المؤلفين اللاحقين فقصرُوا بعض كتبهم على الحديث عن غرض شعري معين من مثل ما وضع من كتب عديدة تناولت موضوع الحب والغزل فقط ككتاب (المقتفي) للوشاء^(١)، و(طوق الحمامة) لابن حزم، (وذم الهوى) لابن الجوزي، (وروضة المحبين) لابن القيم الجوزية.

وهناك كتب عديدة أخرى خصصت لموضوع الخمریات والشراب ومنها كتاب (الأشربة) لابن قتيبة وكتاب (فصول التماثيل) لابن المعتز وكتاب (قطب السرور) للرقيق القيرواني وكتاب (حلبة الكميث) للنواحي. كما نستطيع أن نعد ضمن هذا الأساس في التحديد ما ألف من كتب في الوصف، ومنها كتاب (العقد) للوشاء الذي خصصه لذكر الورد وفضائله، وكتاب (التفاحة) للوشاء أيضًا، الذي خصصه لفضائل التفاح^(٢)، وكتاب (البديع في وصف الربيع) لأبي الوليد الحميري، وكتب عديدة أخرى حفلت كتب التراجم بذكر أسماؤها.

وهذه الكتب جميعًا، يمكن أن يقال: عنها أنها تشبه من حيث الفكرة ما يوضع من دراسات أدبية حديثة تناول فنًا شعريًا واحدًا دون غيره.

٤- الشخصية الواحدة

عرف المؤلفون القدامى أساسًا آخر لتحديد الموضوعات يتمثل في تخصيص كتب للحديث عن شخصية أدبية واحدة، إذ يجمع المؤلف في كتابه بين ترجمة للشاعر وأخبار عديدة له، إضافة إلى كثير من الآراء المتعلقة بفنه الشعري.

(١) ذكر الكتاب في الموشى، ٦٩.

(٢) ذكر الكتابان في الموشى، ١٨٠.

والكتب المؤلفة حسب هذا التحديد عديدة نذكر منها على سبيل المثال: (أخبار الأحوص) لعلی بن محمد بن بسام^(١)، وكتاب (بشار واختيار شعره)، وكتاب (أخبار ابن مناذر)، وكتاب (أخبار ابن هرمة) ومختار شعره، وهي جميعاً لأحمد بن أبي طاهر^(٢)، وكتاب (أخبار السيد الحميري) لأحمد بن إبراهيم العمي^(٣)، وكتاب (أخبار ابن الرومي) لعلی بن عبد الله بن المسيب الكاتب^(٤).

واتجه مؤلفون آخرون إلى تحديد كتبهم بالحديث عن جانب واحد من جوانب الشخصية الأدبية الواحدة، فوضعت حسب هذا التحديد كتب عديدة نذكر منها كتاب (سركات أبي نواس) لمهلل بن يموت بن المزرع، وكتابي الصاحب بن عباد: (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي)، و(الأمثال السائرة من شعر المتنبي)، وكتاب (الماخذ الكندي من المعاني الطائية) لابن الدهان النحوي^(٥).

وهذه الكتب باقتصارها على شاعر واحد فقط أو جانب واحد من جوانب الشخصية الأدبية تمثل مرحلة مهمة من مراحل التحديد المنهجى للموضوعات إذ تشبه من حيث الفكرة ما يوشح من دراسات حديثة عن شخصية أدبية واحدة أو جانب من جوانب شخصية أدبية معينة.

الترجمة (العنوان)

وهناك مسألة أخيرة في الحديث عن تحديد الموضوع عند القدامى تتعلق بالعنوان المختار للكتاب وأساس اختياره عندهم.

(١) ذكر في معجم الأدباء، (٥، ٣١٩).

(٢) معجم الأدباء، (١ / ١٥٥).

(٣) نفسه، (١ / ١٧٦).

(٤) نفسه، (١ / ٢٢٤).

(٥) لم يصل إلينا هذا الكتاب، وإنما وصل إلينا رد عليه لابن الأثير سماه (الاستدراك على رسالة ابن الدهان...).

والمصطلح الغالب عند العرب في حديثهم عن عنوان الكتاب هو مصطلح الترجمة، ونستطيع أن نلاحظ هذا في قول الوشاء: (وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها، وقد أفردت لذلك كتابًا وبوبته وترجمته بكتاب العقد...) ^(١).

ومن المعروف حاليًا أن عنوان الموضوع أو العنوان العام للكتاب يجب أن يكون موحياً بمضمونه ودالاً عليه، ويتأمل الكتب الأدبية القديمة يتضح لنا أن كثيرًا من المؤلفين القدامى وضعوا فكرة مطابقة عنوان الكتاب لموضوعه نصب أعينهم، ومن النصوص الدالة على هذا المحسن التنوخي في نقد كتاب (الفرج بعد الشدة) لابن أبي الدينا: (ووقع إليّ كتاب لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه (الفرج بعد الشدة) في نحو عشرين ورقة، والغالب في أحاديث عن النبي ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته ولا يخرج عن قصده وبغيته، وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر والرزق والتوكل... وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن...) ^(٢)، وقول الثعالبي متحدًا عن كتابه سحر البلاغة: (ثم إن هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر مترجم بسحر البلاغة وسر البراعة، وأرجو أن يكون اسمًا يوافق مسماه ولفظًا يطابق معناه...) ^(٣)، وقول الشريشي متحدًا عن قدامة

(١) الموشى، ١٨٠، واستعمل مصطلح الترجمة للدلالة على العنوان كثير من المؤلفين. ينظر على سبيل المثال: الزهرة، (٢٨٤). مراتب النحويين، (٢)، تيمية الدهر، (٢ / ٢١٩)، سحر البلاغة، (٨)، الكناية والتعريض، (٢)، الذخيرة، (١ / ٤٤)، شرح المقامات، (١ / ٢٠)، المعجب، (١٧٥)، الحلة السراء، (١ / ٩٤)، نهاية الأرب، (٥ / ١٠٢، ١١٦).

(٢) الفرج بعد الشدة، (١ / ٦).

(٣) سحر البلاغة، (٨).

ابن جعفر: (كان بليغاً مجيداً عالماً بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها، وله كتاب يعرف بسر البلاغة في الكتابة، وترجمته تدل على متضمنة)^(١).

هذه أفكار تشير إلى ضرورة مطابقة عنوان الكتاب لمضمونه، ومتى يكون مفيداً عندما تنقصنا الأدلة الأخرى، وخصوصاً عندما لا يكون هناك دليل مخالف ولكن يجب أن نشير إلى أن الاعتماد على أهل الثقة لا يكون بذاته وسيلة البحث العلمي.

يجب أن تكون حيثيات النتائج التي نصل إليها في الطريقة العلمية منطقية دائماً وبمعنى آخر فالنتائج يجب أن تكون متمشية مع الدليل ومع الحقائق المعروفة ومع التجربة داخل مجال الدراسة.

(١) شرح المقامات، ٢٠/١.

المبحث الثالث

الخطوات التي ينبغي اتباعها في البحث

يمكن أن نقارن-إلى حد كبير- عملية البحث والتقصى بعمل الشرطة والمحاكم وطرائقهما في التحرى عن الجريمة... فكما يقوم المخبر والمحامى بمواجهة مشاكل وضع مفاتيح ألغاز الجريمة مع بعضها في إطار منطقى، وتقديم الدليل السليم أمام المحكمة، بطريقة منطقية منظمة، كوسيلة لتحديد الجريمة وتقديم مرتكبها للعدالة، عن طريق اكتشاف الحقيقة - فإن الباحث يواجه مشكلة وقواعد إجرائية ذات طبيعة مشابهة، وذلك لمواجهة مشاكل البحث والدراسة.

فالتائج يجب أن تكون مبنية على الدليل الواضح (البيانات)، كما أن الدليل يجب أن يكون متعلقًا بالجريمة، ويجب أن يكون ماديًا، مستمدًا من المصادر الموثوق بها والصحيحة..

وفيما يلي بعض الخطوات التي ينبغي أتباعها في البحث:

١- تحديد المشكلة: لا بد أن تكون هناك مشكلة محددة.. حتى يقوم الباحث بالبحث عن حل لها... وإذا كان الباحث العلمى والمحقق الجنائى يشتركان معا فى البحث عن الحقيقة.. وإذا كنا نقارن عملية البحث بعملية التحرى الجنائى..

فإن عمل الباحث يشبه عمل المحقق الجنائي في فحص الظروف الخاصة (بموت أحد الأشخاص) مثلاً، وذلك لاكتشاف أسباب الوفاة.. أى أن الباحث لديه شيء محدد في ذهنه ويريد أن يتعلم عنه شيئاً، هذا الشيء هو حل مشكلة معينة محددة.

٢- تجميع البيانات: والخطوة التالية بعد تحديد المشكلة... هى البدء بتجميع البيانات والمعلومات وفحصها فحصاً دقيقاً.. على أن تكون هذه المعلومات والبيانات متعلقة بالحقائق الخاصة بالمشكلة... وكثيراً ما يتغاضى الباحث عن بعض المعلومات ذات العلاقة بالمشكلة... وغالباً ما يفشل البحث في هذه الحالة كذلك... فبالمقارنة بعمل التحرى الجنائي قد تغفل الشرطة بعض الظروف التى أدت إلى ارتكاب الجريمة.. كأن تغفل مثلاً أن (كيس نقود) القتل مفقود. أو قد تقوم الشرطة نفسها بقفل مفتاح تشغيل السيارة دون أن تفتن لأسباب استمرار اشتغال السيارة حتى بعد انقلابها.. إن هذه الحقائق وأمثالها ضرورية كدليل للتعرف على الجريمة وأسبابها.

٣- وضع الفرض: بعد الفحص المبدئى للبيانات والمعلومات، فإن هناك حلاً ممكناً للمشكلة يطرح نفسه على الباحث.. هذا الحل المبدئى (أو التخمين الذكي) يمكن ببساطة أن يكون حلاً خاطئاً... فقد تفترض الشرطة مثلاً فى أول الأمر أن حادث الوفاة قضاء وقدر.. وأن لا أسباب جنائية وراء الحادث.. ولكن بعد فحص الأدلة المتوفرة... فقد تدخل فكرة الجريمة والقتل فى الموضوع.. ومع ذلك فقد تبدأ الشرطة فى البحث عن الجانى فى الطريق الخاطئ... ذلك لأن الشرطة مثلاً تعتقد أن السرقة هى الدافع وراء الجريمة.

ومن الطبيعى والمفيد فى ذات الوقت، أن يضع الباحث تخمينات معقولة للحل الممكن للمشكلة حتى فى بداية البحث... إن هذا التخمين Guess هو ما

نسميه بالفرض Hypothesis وهذا الفرض قد تثبت صحته، حيث يتفق مع جميع الحقائق المتوفرة.. وقد يكون خاطئاً ومن ثم ينبغي إهماله والبحث عن فرض جديد.

٤- اختيار الفرض Test the Hypothesis: أن صياغة تخمين معقول - أو فرض - بالنسبة لحل المشكلة، يساعد في تحديد الاتجاهات التي يمكن البحث فيها عن الدليل.. وعلى ذلك، فحتى إذا ثبت أن الفرض خاطئ فإنه يساعدنا في الدراسة... وبعد أن نستقر على فرض معين بناء على البيانات والمعلومات الأولية المتوفرة، فإننا نبدأ العمل على تجميع الدليل من جميع المصادر الممكنة.. وذلك لفحص الفرض. وعن طريق اكتشاف الحقائق الجديدة... وتطبيق المبادئ المتفق عليها في المعرفة والمنطق.. سيقرر صحة الغرض واتفاقه مع الحقائق المتوفرة من عدمه. إن هذا البحث الدقيق عن المعلومات والبيانات... موجهها بالفرض المبدئي Tentative Hypothesis يكون الجهد الأساسي لأي بحث علمي.. تماماً كما هو الحال في التحري الجنائي.

٥- النتيجة: وبعد اختيار الفرض بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات ووضعها في الإطار المنطقي الصحيح... فإن الباحث إما أن يرفض ويهمل الفرض الذي وضعه وذلك بعد أن ثبت عدم صحته، وإما أن يكون هذا الفرض صحيحاً... وبالتالي فإنه يشكل بالنسبة للباحث النتيجة الأساسية في دراسته.

وبمعنى آخر - فإن الدراسة ينبغي أن تستمر حتى يقتنع الباحث بصحة وصدق الفرض الذي وضعه.. وحتى يستطيع بالتالي أن يقنع الآخرين بوزن وصحة الدليل الذي توصل إليه.

أي أنه إذا ما أيدت الملاحظات العلمية والتجارب صحة فرض من الفروض دون أن يتعارض مع هذا الفرض أو ينقضه أي دليل آخر، فإننا نكون قد أضفنا

إلى حصيلة المعرفة حقيقة جديدة... وليست قيمة هذه الإضافة فقط لأنها تفسر الحالات الفردية التي بدأ بها الفرض، وإنما القيمة الحقيقية تكمن في أنها تفسر كل الحالات المشابهة والتي لم تدخل في مجال البحث الذي تم القيام به.. هذه العملية هي ما يسمى بالتعميم Generalization.

وأخيراً فكما يعد المحامي قضيته لتقديمها للمحكمة، يجب على الباحث أن يعد النتائج التي توصل إليها بتقبلها ويفهمها المختصون في مجاله العلمي.

ثالثاً: بعض المخاطر التي تكتنف البحث الجاد⁽¹⁾

هناك مخاطر عديدة، يمكن أن تكتنف البحث الجاد في علاقته بحل المشاكل العلمية. وهذه المخاطر تتضمن ما يلي:

- تكوين نتائج مبسرة غير ناضجة Premature Conclusions.
- تجاهل الأدلة المضادة أو غير المتفقة مع النتائج التي وصل إليها الباحث.
- عادة التفكير داخل حدود ثابتة Fixed Limits أى الافتقار إلى الأصالة.
- عدم القدرة على الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة.
- عدم الدقة في الملاحظة.
- الخطأ في مطابقة أو توفيق علاقات السبب والأثر Cause and Effect Relationship.
- التأثير بالأحكام الشخصية والتحيزات الذاتية المسبقة Subjectivity or Prejudice أى الافتقار إلى الموضوعية.

وكل واحدة من هذه المخاطر، يمكن أن يقضي على القيمة الحقيقية للبحث، وسنناقش ذلك فيما يلي بشيء من التفصيل:

(1) Hillway, Op.Cit, PP.79 – 82 passim.

١- تكوين نتائج غير ناضجة: كثيرًا ما يدفع الحماس بعض الباحثين إلى سرعة التعلق بنظرية مثيرة على الرغم من أن هؤلاء الباحثين يدركون أنه ليس هناك دليل كاف لتأييدها. ولو تذرعوا بالصبر والعمل فترة أطول في تقصي الحقائق... لابتعدوا عن الوقوع في الخطأ. إن الباحث الدقيق لا يعلن عما في ذهنه إلا بعد اختبار جميع الفروض والوصول إلى الدليل الحاسم.

٢- تجاهل الأدلة المضادة: قد يتحمس الباحث مرة أخرى للفرض الذي يضعه... مما يجعله يتجاهل الأدلة المضادة الهامة... ويمكن أن يكون لهذا التجاهل ما يبرره في المناقشات السياسية... حيث يكون الهدف هو كسب جولة المناقشة والحوار بأى ثمن... ولكن الدراسات العلمية لا تهدف إلى كسب المناظرة والحوار، وإنما تهدف إلى اكتشاف الحقيقة... على ذلك فإن الدليل المضاد يجب أن يعطى نفس وزن الدليل المؤيد... حتى ولو كان معنى ذلك تغيير الفرض المبدئي..

٣- عادة التفكير داخل حدود ثابتة: لا شيء يؤدي بالبحث المثمر إلى الموت أكثر من العادات التي نكوها خلال السنوات تفكيرنا داخل حدود ثابتة. ويبدو أنه كلما تقدم بنا العمر، ازداد تعلقنا بنفس أساليب الخبرة والتفكير التي تعودنا عليها.. وعلى ذلك ففي كل مرة نفكر فيها في مشكلة معينة، فإننا نميل إلى اتباع نفس السبيل... ويذهب بعض علماء النفس إلى القول بأنه حتى في الأشياء البسيطة كجمع عمود من الأرقام، فإننا نميل إلى تكرار نفس الخطأ الذي وقعنا فيه من قبل.. وعلى الباحث إذاً أن يبذل كل جهده حتى يتجنب نماذج التفكير الجامدة وأن يشجع في ذاته تكوين عادات الأصالة Originality في التفكير... وبالتالي فإن المواقف الجديدة والنتائج غير المتوقعة والتي تنتج من دراسة معينة ستجدها مستعدة للملائمة معها والاعتراف بغير المنظور أو المتوقع.

٤- عدم استطاعة الباحث الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة: هناك بعض الصعوبات التي قد يواجهها الباحث في الحصول على الحقائق اللازمة لتكوين الدليل الكافي، والذي يؤدي بدوره إلى النتائج السليمة... وكثيراً ما يرتكب الباحثون أخطاء جسيمة عندما يبنون نتائجهم على الدليل المتبثر الناقص...

٥- عدم الدقة في الملاحظة: كثيراً ما يضطر الباحث إلى إعادة التجارب التي قام بها للتأكد من أن جميع العناصر قد لاحظها ملاحظة صحيحة... وكثيراً ما يهمل الباحث بعض العوامل... ويرى من هذه العوامل فقط ما يجب هو أن يراه..

٦- الخطأ في مطابقة أو توفيق علاقات السبب والأثر: وهذا خطر موجود دائماً.. وعلى الباحث أن يكون حذراً في صياغته لهذه العلاقة، ومن الأمثلة التي يتندر بها في هذا المجال... أن أحد الرواة أعلن أنه خلال السنوات التي كان النادي العربي (في الكويت) يكسب فيها بطولة كرة القدم، كان هناك رخاء ورخص في الأسعار بالكويت، وعلى ذلك فحتى تصل الكويت إلى الرخاء وتقضى على الغلاء، فينبغي أن تتخذ جميع السبل حتى يكسب النادي العربي مباريات كرة القدم بصفة مستمرة... ولسوء الحظ، فإن هناك بالفعل نتائج خطيرة في البحث ترتبت على مواقف ليست بعيدة عن هذا المثال الذي نذكره للمزاح..

٧- الافتقار إلى الموضوعية: يجب أن تكون الحقيقة والحكمة ضالة الباحث العلمي... والدراسات التي يقوم بها بعض الباحثين لتأييد معتقدات وأيديولوجيات معينة يكون الباحث ملتزماً بها من قبل، هذه الدراسات تخدم أغراضاً مشكوكاً فيها من غير شك... لقد كان علماء البيولوجيا في الاتحاد

السوفيتي مثلاً (خصوصاً علماء الوراثة) يؤكدون على نظرية إيلينكو Lysenko المتعلقة بتوارث الصفات المكتسبة وذلك لإرضاء النظام الحاكم، وطبقاً لهذه النظرية فإن طبيعة أى كائن حى يمكن أن تتغير بوسائل صناعية، وأن هذا التغير يمكن أن ينتقل إلى الأبناء والأجيال المستقبلية... وهذا الاعتقاد يتفق مع العقيدة الماركسية التى تنادى بأن الطبيعة الإنسانية تتقرر وتتحدد عن طريق المحيط الاجتماعى Social Environment وعلى الرغم من أن هناك علماء فى الوراثة لا يؤمنون بهذه النظرية - سواء فى الاتحاد السوفيتي أو فى البلاد الأخرى... فإن الالتزام بنظرية إيلينكو سيعوق البحث الحر من غير شك.

على الباحث إذن مشكلته بمنتهى الموضوعية وبلا تحيز حتى تكوّن نتائج صحيحة على قدر المستطاع.

وأخيراً هل الطريقة العلمية أو المنهج العلمى هو سبيلنا الوحيد للوصول إلى الحقيقة؟

لا أحد يستطيع أن يزعم بأن الطريقة العلمية هى وحدها السبيل إلى الوصول إلى الحقيقة. فهى أداة ملائمة فقط للكشف عن الحقيقة الموضوعية، وعلى ذلك فإن البحث العلمى يمكن أن يدلنا على ما يعتقد الناس - أو كيفية هذا الاعتقاد - بالنسبة لقضايا اجتماعية معينة.. ولكنه لا يدلنا على ما يجب أن نؤمن به ونعتقد ولا يدلنا على الكيفية التى يجب أن يكون عليها سلوكنا. وكل ما يمكن أن نأمل فيه عندما نمد الطريقة العلمية إلى المجالات غير العلمية..... Non-Scientific Fields فإنما نقوم بتثبيت وترسيخ الحقيقة كلما أمكن عرضها بموضوعية وبالتالي يمكننا توسيع الاتفاق العقلانى بين الدارسين وجعل قيمنا أكثر أصالة. فضلاً عن إرساء دعائمها بشكل أكبر فى المجالات التى نستطيع تحقيقها وتثبيتها.

إن الحقيقة التى يتم اكتشافها بالبحث لا تكون بالضرورة الحقيقة كلها أو الحقيقة النهائية عن الحياة وعن الكون.. وكلما اكتشفنا حقائق جديدة وقمنا بصياغة نتائج جديدة.. فإن معارفنا تزيد وتراجع بصفة دائمة.

وأخيراً، ينبغى أن نؤكد على أن البحث أصبح مفضلاً عن غيره من الطرق التى تزيد من معارفنا ذلك لأنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن البحث يؤدى بنا إلى نتائج أفضل وإلى نتائج أكثر دقة من غيره من الطرق... ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن البحث سيحل جميع المشاكل الإنسانية.

تاريخ التفكير والبحث العلمى

لقد تطورت أسس التفكير العلمى ببطء شديد، واستغرق هذا التطور عدة قرون فى التاريخ الإنسانى، ولعلنا نستطيع أن نرد هذا التفكير والبحث العلمى - بشكله العلمى والتجربى - إلى مصر القديمة وإلى الإغريق، ثم خطا العرب بالبحث العلمى خطوة واسعة إلى الأمام حيث استخدموا المنهج التجريبى فى البحث، واتخذوا الملاحظة والتجربة أساساً للتقدم العلمى، وعن العرب نقلت أوروبا - فى بداية عصر النهضة - التراث العربى العلمى والفكرى، ولكن التفكير بالبحث العلمى قد تأكدت دعائمه فيما يسمى بالعصر الحديث ابتداء من القرن السابع عشر حتى وقتنا هذا، وكان ذلك على يد (فرنسيس بيكون، وجون ستورات ميل، وكلود برنارد) وغيرهم.

من العسير إذاً أن نتبع بالتفصيل تاريخ البحث العلمى فى هذه الصفحات القليلة وغاية ما نستطيعه هو أن نذكر بعض معالم التطور فى مجال البحث العلمى ونشاطاته، كما ينبغى أن نشير إلى أنه ليس لدينا - على وجه اليقين - فكرة واضحة تماماً عن النقطة التى يمكن أن نقول بأنها بداية البحث العلمى فى التاريخ الإنسانى، فبينما يُعتبر كثير مما تعلمه الإنسان من الثقافات البدائية نتيجة

للمصادفة ملحوظة، فقد قام هيرودوت المؤرخ الشهير بتسجيل الأبحاث التي كانت يجريها ملوك مصر عن السكان والثروة وحاجة الأقاليم من الغلال وغير ذلك.

أما بالنسبة لليونان القدماء، فقد أحرزوا تقدمًا عظيمًا في مبادئ البحث واعتمدوا اعتمادًا كبيرًا على التأمل والنظر العقلي المجرد، ولعل هذا الاتجاه في عدم الاعتماد على التجربة وتقدير العمل اليدوي، هو الذي دعا برتراند راسل إلى القول (بأن فلسفة اليونان كانت تعبر عن روح العصر وطبيعة المجتمع الذي يعيشون فيه)^(١). فالمجتمع اليوناني في مرحلة انهياره كان مجتمعًا عبوديًا طبقيًا ينظر إلى كل عمل يدوي على أنه عمل غير دمث. لذلك فكل دراسة تحتاج إلى التجربة كانت في نظرهم سوقية حوشية إلى حد ما. ولعل تمييز أفلاطون بين الفلاسفة والعمال ووضعه الفلاسفة - في جمهوريته - في مكان قيادي يعكس هذا التفكير.

أما من ناحية مناهج البحث وأسلوب التفكير فقد وضع (أرسطو) قواعد المنهج القياسي أو الاستدلال... ولكن (أرسطو) فطن أيضًا للاستقراء ودعا إلى الاستعانة بالملاحظة، ولكنه لم يفصل خطوات المنهج الاستقرائي وكان الطابع التأمل غالبًا على تفكيره^(٢).

لقد اعتمد اليونان القدماء في بنائهم العلمي جزئيًا على الاكتشافات السابقة التي سجلها المصريون والبابليون، ومن ثم نقب اليونان عن المعلومات التي توصل إليها هؤلاء في الفلك والطب والفيزياء والجغرافيا والهندسة، كما اهتم بعضهم بدراسة الآداب والأخلاق.

(١) (برتراند راسل)، النظرة العلمية، ترجمة (عثمان نوية)، القاهرة، (١٩٥٦)، ص (٦).

(2) Le Blond J. Logique et Methode Aristotle, Paris, 1939, 120 - 146.

ويمكن أن نشير إلى بعض الأمثلة التي تدل على نطاق وأهمية إسهامهم الأساسي في المعرفة الإنسانية، فمن بين الأسماء القديمة التي نعرفها (فيثاغورس*) (Pythagoras) في الجغرافية الطبيعية بالإضافة إلى الرياضيات(**) والفلسفة (وكان ذلك في حوالي ٦٠٠ ق.م). أما ديمقريطس Democritys (في حوالي ٤٠٠ ق.م)، فقد اقترح نظرية (التنافر الذري Atomestic theory) لشرح تركيب المادة، رغم أنه لم يكن لديه أدوات تساعد في بحث هذه المشكلة تجريبيًا. أما (هبيوقراط) فغالبًا ما يسمى (أبو الطب) وكان تلميذًا (لديمقراطيس) الذي طور المعرفة والممارسة الطبية، وبإصراره على التشخيص الدقيق ودراسة الجسم ووظائفه.

أما (أرسطو) (في القرن الرابع قبل الميلاد) فعلى الرغم من صيته وشهرته كفيلسوف ورجل منطق، فإنه قد أضاف كثيرًا إلى معارفنا في مجالات عديدة، بما في ذلك تشريح الحيوان... أما (ثيوفراستوس) Thiophrastus وهو أحد أتباع أرسطو، فقد أسس طريقة منهجية لدراسة النبات...

ينظر:

(*) لما كان رجال البحث الأوائل يعتبرون اكتشافاتهم أسرارًا لا يطلع عليها أحد فيقال بأن أتباع فيثاغورس قد قتلوا واحدًا من زملائهم، لأنه أفشى بعض أسرار مبادئ الهندسة إلى الجمهور العام في خطبة ألقاها عن الهندسة، وهذا الاتجاه بعيد كل البعد عن اتجاهات الباحثين المعاصرين الذين يعتبرون أن اكتشافاتهم إسهام في المعرفة الإنسانية، وليست ملكية خاصة.

المصدر: Hillway, T. Op.Cit, PP.14 – 15.

(**) الصورة العليا للرياضيات اليونانية نراها في كتاب (أصول الهندسة) لإقليدس فهو كتاب تضمن عرضًا منظمًا للقضايا الرئيسية في الهندسة العددية الأولية، ولم تتطور الهندسة اليونانية بعد هذا الكتاب تطورًا يستحق الذكر حتى العصر الحديث حين جاء (ديكارت) بهندسته التحليلية ولهذا يجب أن نعبّر هذه الفترة الطويلة بين (أقليدس) (٢٧٥ ق.م) في القرن الثالث قبل الميلاد حتى (ديكارت) في القرن السابع عشر بعد الميلاد لنصل إلى جديد في علم الهندسة. المصدر: عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ص (٢٩ – ٣٠).

واشتغل (أرشميدس Archimdes) (في القرن الثالث ق.م) بالفيزياء والكيمياء... وكتابه الإستاتيكا ذائع الصيت، ولكنه يبدأ من المسلمات التي يفترض أنها لا تحتاج إلى برهان، وأنها ليست نتيجة التجربة، وكذلك كتابه عن الأجسام الطافية يسير فيه على المنهج القياسي أيضًا^(١).

كما طور (سترابو Strabo) (الذي عاش في روما حوالي عام ٢٠ ق.م) الجغرافيا كعلم... أما (بطليموس) Ptolomy (القرن الثاني بعد الميلاد) فقد كان مصريًا واستخدم الرياضيات اليونانية والمصرية، ليضع أول نظرية ملائمة عن حركة الكواكب... لقد شرح (بطليموس) ذلك على أساس رياضي.. ورفض أن يعزو حركات الأجسام الثقيلة لأسباب تتصل بالقوى الخارقة للطبيعة Supernatural وقد كانت هذه هي الفكرة السائدة في عصره، وكانت خطوته بذلك خطوة هامة في طريق البحث العلمي^(٢).

أما بالنسبة للتفكير العلمي عند الرومان... فقد كانوا ورثة المعرفة اليونانية وكان إسهامهم يتركز في الممارسة العملية، أكثر من متابعتهم للمعرفة ذاتها... لقد كان الرومان صناع قوانين ومهندسين أكثر منهم مفكرين متأملين.

وافتقدت أوروبا الغربية - لفترة من الزمن - المعارف وطرق البحث بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، وافول Decline الحضارة اليونانية الرومانية ولكن العرب كانوا هم حملة مشعل العلم والبحث العلمي إلى أوروبا بعد ذلك.

(١) عبد الباسط محمد حسن، المصدر السابق، ص (٦٠).

(2) Hillway, T. Op.Cit, PP. 14 - 15.

ثانيًا: تاريخ البحث في العصور الوسيطة

ونحن نقصد بالعصور الوسيطة الفترة التي ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية وفترة عصر النهضة في أوروبا، وذلك كله منذ حوالى القرن الثامن حتى القرن السادس عشر الميلادى.

لقد كان أمرًا طبيعيًا أن يفيد العرب من الحضارات والمناهج والمعارف السابقة لهم... والحضارة الإنسانية ليست إلا عقدًا متصل الحلقات... وما لا شك فيه أن الحضارة العربية هى حلقة الاتصال بين حضارة ما قبلهم من اليونان والهنود وحضارة أوروبا في عصر النهضة... ولم يكن العرب ناقلين لحضارة اليونان فحسب ولكنهم أضافوا إليها علومًا وفنونًا كثيرة تميزت بالأصالة العلمية.

وما يهمنى نحن بالدرجة الأولى هو طريقة أو منهج البحث، فقد تجاوز الفكر العربى الحدود الصورية لمنطق (أرسطو...) أى أن العرب عارضوا المنهج القياسى وخرجوا على حدوده إلى اعتبار الملاحظة والتجربة مصدرًا للبحث والتقدم العلمى... فالأقيسة المنطقية - كما يقول ابن خلدون - أحكام ذهنية، والموجودات الخارجة متشخصة فالتطابق بينهما غير يقينى، لأن المادة قد تحول دونها، اللهم إلا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده لا تلك البراهين المنطقية^(١).

لقد اتبع العرب في إنتاجهم العلمى أساليب مبتكرة في البحث، فاعتمدوا على الاستقراء والملاحظة والتدريب العلمى والاستعانة وأدوات القياس للوصول إلى النتائج العلمية... ونبغ من هؤلاء كثيرون منهم (الحسن بن الهيثم،

(١) عبد الباسط محمد حسن، المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

وجابر بن حيان، ومحمد بن موسى الخوارزمي، والبيروني، وأبو بكر الرازي، وابن سينا) وغيرهم...

وقد قال الدكتور سارتون Sarton أحد مشاهير الأمريكيين في تاريخ العلوم (لقد كان العرب أعظم معلمين في العالم في القرون الثلاثة: الثامن والحادي عشر والثاني عشر الميلادى... ولو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدنية بضعة قرون... فوجود ابن الهيثم وجابر بن حيان..... وأمثالهما كان لازماً وومهداً لظهور (غاليليو ونيوتن)..... ولو لم يظهر ابن الهيثم لاضطر (نيوتن) أن يبدأ من حيث بدأ (ابن الهيثم ولو لم يظهر جابر بن حيان لبدأ غاليليو من حيث بدأ (جابر)..... أى أنه لولا جهود العرب لبدأت النهضة الأوروبية (في القرن الرابع عشر) من النقطة التى بدأ منها العرب نهضتهم العلمية في القرن الثامن للميلاد))(*) .

ويمكن أن نشير إشارة عابرة إلى الرياضيات عند العرب.... فلعل محمد بن موسى الخوارزمي هو أهم شخصية جديرة بالذكر.... إذ كتب كتاباً بعنوان (الجبر والمقابلة) اعتمد فيه على جبر برهما جوبتا Brahma Gupta الهندي كما اعتمد في بعض البراهين على اليونانيين في طريقتهم الخاصة بالتمثيل بالأعداد

(*) هناك عوامل عديدة تضافرت على دفع النهضة العلمية العربية للإمام أهمها:

- ١ - حرية الرأي والبحث العلمى، إذ تمتع العرب بحرية رأى ليس لها نظير. فلم يكونوا يخشون السلطان أو الحكام. تكلموا وكتبوا في التطور والجاذبية والفلك والتشريح ولم يسمع أحد باضطهاد علمائهم أو قتلهم أو سجنهم، وهى حرية لم تمارسها أوروبا إلا بعد ذلك بقرون.
- ٢ - تقدير الحكام والولاة للعلم والعلماء فقد كانوا يفاخرون بمن يحضر مجلسهم.
- ٣ - استعلاء العلماء العرب عن الترف والمال والسلطان وقوله الحسن بن الهيثم الشهيرة (يكفينى قوت يوم).

٤ - الاستعداد الذهنى والصبر والحث على العمل والمناخ العلمى المناسب.... فقد أنتج (ابن سينا) مائتين وستة وسبعين كتاباً، و(لابن الهيثم) نحو مائتى كتاب. فكيف يمكن أن يحدث ذلك إذا لم يتوفر لهم المناخ العلمى الملائم ؟

بواسطة الخطوط. وعلى أساس هذا الكتاب قامت دراسات الجبر في العصور الوسطى الإسلامية والمسيحية، وبواسطته دخل النظام العشري بلاد أوروبا، ومن هنا يعد هذا الكتاب ذا أهمية عظيمة^(١).

كما بدأت دراسة الكيمياء عند العرب، وعن العرب انتقلت المعارف الكيميائية إلى أوروبا في العصور الوسطى باسم الكيمياء^(*) Alchemy ولعل من بين الاهتمامات العديدة في هذا المجال ما يشتهر عنهم باهتمامهم بتحقيق غرض عسير التحقيق، وهو تحويل المعادن إلى ذهب.

وخلاصة هذا كله أن العرب أسهموا بإنتاجهم العلمى الأصلى وأسهموا باصطناع منهج الاستقراء واتخذوا الملاحظة والتجربة أساس البحث العلمى وأنهم أفادوا من حضارة من سبقهم كال يونانيين والهنود..... وأنهم نقلوا هذه الحضارة جميعاً إلى أوروبا في بداية عصر النهضة.

ومعنى ذلك أن اطلاع الأوروبيين في بداية عصر النهضة على التراث العربى هو نقطة الانطلاق فى الحضارة الأوربية التى ازدهرت بعد ذلك... وفى مقدمة من أرسى قواعد التفكير والبحث العلمى فى أوروبا روجر بيكون (١٢١٤

(١) عبد الرحمن بدوى، المرجع السابق، ص (٤٠-٤١). حيث يذكر أن الحساب قد تطور تطوراً عظيماً لدى الهنود خصوصاً في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد على يد Arya Bhata أريا بهاتا، وبرهما جوبتا Brahma Gupta وبهسكارا Bhaskara وعن الهنود أخذ العرب فقد ذكر صاعد الأندلسى في طبقات الأمم، عند كلامه عما وصل إلى العرب من علوم الهند وما وصل إلينا من علومهم في العدد حساب (الغبار) الذى بسطه (أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى). وهو أوجز حساب وأهمه، وأقربه تناولاً وأسهله مأخذاً.. وأبدعه تركيباً، يشهد للسند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختراع (طبع مصر ص ٢١) ويظهر أن العرب قد عرفوا أعمال (أريابهاتا)، وبرهما (جوبتا)، كما يظهر خصوصاً من مؤلفات الخوارزمى).

(*) يرد بعض الباحثين كلمة (الكيمياء) إلى أصل صينى.

-١٢٩٤م) وليونارد دى فينشي (١٤٥٢-١٥١٥م) وغيرهما ممن طالبوا باستخدام الملاحظة والتجريب وأدوات القياس للوصول إلى الحقائق وعارضوا منهج أرسطو في القياس المنطقي.

ولا بد لنا من أن نشير إلى أنه رغم مطالبة هؤلاء المفكرين بتبنى الطريقة العلمية إلا أنهم لم يستخدموا فعلاً هذه الطريقة إلا في حدود ضيقة. كما ينبغي أيضاً أن نشير إلى أنه رغم التحرر التدريجي من سلطان الكنيسة ورجال الدين إلا أن هذه السلطة كانت ما تزال لها فعاليتها. فالعالم (كوبر نيكوس Copernicus) في أواخر القرن السادس عشر - قد عانى من الاضطهاد والتعذيب على يد السلطات الدينية، واضطر إلى إنكار نظرياته علناً بعد أن استبدل شرحه لحركة النجوم على أساس مركزية الشمس Helioentric بشرح آخر هو حركة النجوم وارتباطها بمركزية الأرض Geocentric.

ثالثاً: تاريخ البحث في العصر الحديث

ونحن نقصد بالعصر الحديث الفترة التي تبدأ من القرن السابع عشر وحتى وقتنا المعاصر... وفي هذه الفترة اكتملت دعائم التفكير العلمي في أوروبا - أو كادت - وبدأت هذه الخطوات على يد الكثيرين وأهمهم (فرنسيس بيكون) وجون ستوارت ميل، وكلود برنارد) وغيرهم..

ولعل مسيرة البحث العلمي الكبرى - خصوصاً في العلوم الطبيعية - يمكن أن تعود إلى التجارب التي أجراها (جاليليو) في الفيزياء Galileo's Experimental وذلك في أوائل القرن السابع عشر. لقد كان هذا القرن قرناً رائعاً... وتوج هذا العصر باختراع اللوغاريتم Logarithms على يد العالم (نابير) (عام ١٦١٤) وبحوث هارفي Harvey على الدورة الدموية (وإن كان ابن النفيس العربي قد سبقه إلى ذلك).. وكذلك استخدام الرموز العشرية على يد

(بريجز Briggs) (عام ١٦١٧) ثم نشر نظريات فرانسيس بيكون في مؤلفه (الإدارة الجديدة للعلوم) Novum Organum Scintiarum (عام ١٦٢٠) ليفصل فيه قواعد المنهج التجريبي وخطواته، ثم ظهور (بويل Boyle) كأب الكيمياء الحديثة وأفكار (نيوتن Newton) الرياضية عن القوانين الجاذبية (عام ١٦٧٩) وغيرهم.

وإذا كنا سنعود إلى ذكر (جون ستورات ميل) في دراستنا للمنهج التجريبي في البحث حيث وضع الرجل شروط التجربة والقواعد التي يستهدى بها الباحث للتحقق من خطأ الفرض العلمى أو صوابه... فمن الملائم أن نتناول بعض فكر فرانسيس بيكون بالنسبة لملاحظاته وإرشاداته عن المنهج التجريبي وخطواته.

فقد كان فرانسيس بيكون يهدف إلى اختراع طريقة لا لتحل مشاكل علمية معينة فحسب، ولكن ليكون كان يهدف أيضًا إلى ملائمة النتائج العملية الاجتماعية... فجوهر العمل الذى قام به بيكون لم يكن علمًا بقدر ما كان في مجال العلاقات الاجتماعية للعلم^(١).. وقد أشار بيكون بضرورة تخليص العلم من شوائبه الدينية، وضرورة إخضاعه بكلياته وجزئياته للملاحظة العلمية، وبمعنى آخر يجب أن يقوم العلم على أساس وضعى بعيد كل البعد عن كل تأثير دينى أو ميتافيزيقى^(٢).

كما قام بيكون بتصنيف الأخطاء الشائعة التى تعوق البحث العلمى فيما يلى:

١- أخطاء تعود إلى ضعف العقل الإنسانى، الذى يتوهم وجود أشياء ليس لها فى الواقع وجود.... ولكن الإنسان يتوهم وجودها لهوى فى نفسه، أو لأنه يصدر فى تفكيره عن القوالب المصبوبة، التى ينشئها المجتمع عليها.

(1) - Good, Garten V.a.d, Scates. Douglas E., Op.Cit, P.54

(٢) محمد طلعت عيسى، البحث الاجتماعى مبادئه ومناهجه، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ص ٢٧-٢٨.

٢- أخطاء تعود إلى اللغة التي يتعامل بها الفرد مع أقرانه، وعجزها عن التعبير الدقيق عن المعنى المقصود.

٣- أخطاء تعود إلى اعتماد الفرد على أهل الثقة، انطلاقاً من الوهم الشائع بأن المعارف الأساسية قد تم اكتشافها من قبل، وما على الإنسان إلا أن يرجع إلى مصادر الثقة القدماء ليتعلم منهم ما لم يكن يعلم...

أما بالنسبة لخطوات المنهج التجريبي^(١)، فقد أوضح بيكون أن على الباحث أن يجمع الحقائق التي تعتبر أساس الاستقراءى ومادته... كما بين بيكون أن هناك مرحلتين للبحث أولاهما مرحلة التجريب والثانية مرحلة اللوحات أو تسجيل التجربة.

وتشمل مرحلة التجريب بعض الجوانب وأهمها:

أ - تنوع التجربة: أى أن ينوع الباحث في المواد التي تنتج عنها ظاهرة معينة، أو أن ينوع الظروف التي تمر بها التجربة لاكتشاف خواص لطبائع الأشياء.

ب - إطالة التجربة: وذلك أن يستمر الباحث في جعل المؤثر ينتج أثره في الشيء المتأثر، وذلك حتى يعلم، هل يغير في طبيعة المتأثر أو أن ذلك ينتج ظواهر جديدة.

ج - نقل التجربة: أى أن يحاول الباحث نقل ما طبقه من إرشادات في تجربة معينة، على تجربة أخرى أو فرع آخر من العلوم.

(٣) المرجعين التاليين:

- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص (١٥٧ - ١٦١).
- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ص (٧١ - ٧٢).

أما بالنسبة لمرحلة اللوحات أو تسجيل التجربة: فقد قصد (بيكون) باللوحات لوحات الحضور والغياب وتفاوت الدرجات... ففى لوحات الحضور يسجل الباحث كل الظروف التى تبدو فيها الظاهرة.... وقد درس (بيكون) ظاهرة الحرارة وسجل فى لوحة الحضور (٢٧) مصدرًا لها (كأشعة الشمس والصواعق والاحتكاك... إلخ) أما اللوحة الثانية فيسجل فيها الباحث كل الظروف التى تختلف فيها الظاهرة لتخلف ظرف أو سبب من الأسباب، وقد وضع (بيكون) أمام كل واحدة من السبع والعشرين حالة المثبتة لوجود الحرارة أحوالاً لا حرارة فيها (كالقمر والأجرام السماوية... إلخ).

أما اللوحة الثالثة، فيسجل عليها تنوع الظاهرة والأحوال التى تحدث فيها على درجات مختلفة (وقد بين بيكون فى لوحته تلك ٤١ مثالاً لتغيير الحرارة تبعاً لتغير الظروف).

والخطوة التالية التى يراها بيكون للبحث، هى مقارنة ما تم تسجيله فى اللوحات الثلاث لاستخلاص الخصائص الذاتية للظاهرة موضع الدراسة.. وكل صفة لا يظهر أثرها فى اللوحات، ليست من الخصائص الذاتية. والاستقراء على هذه الصورة هو عملية عزل الصفات غير الذاتية، حتى تبقى الصفات الذاتية.

ثم يقوم (بيكون) من التحقق من النتائج لإثبات مدى صحتها أو خطئها، فالنتائج الأولى هى مجرد فروض علمية، لابد من اختبارها حتى يتأكد الباحث من صحتها لتصبح قاعدة أو قانوناً.

وباختصار فقد وضع بيكون مجرد مبادئ، وملاحظات اهتدى بها من جاء بعده من الباحثين مثل (جون ستىوارت ميل، وكلود برنارد) اللذين نضج على أيديهما المنهج التجريبي وثبتت دعائمه.

وفي متابعتنا لمسيرة البحث العلمي منذ القرن السابع عشر، يمكن أن نقول بأن العلوم الجيولوجية والبيولوجية قد ازدهرت كميادين جديدة للدراسة والبحث، والعمل الذي قام به رجال مثل (ليل Lyl وداروين Darwin) في هذه المجالات قد غير من الصورة التي لدينا عن العالم الطبيعي. ولقد بدأت دراسة علم الآثار (مبتدئة باكتشاف الحفريات على يد شليمان Schliemann علم النفس (كعلم نام عن علم الفراسة Phsiognomy) وعلم دراسة شكل الجمجمة - كدليل على الشخصية والملكات العقلية Phrenology في خلال القرن التاسع عشر. وكانت التطورات الخاصة باستخدام الكيمياء الحيوية والبكتريولوجيا في دراسة المشاكل الطبية واستخدام أفكار جديدة في الفيزياء للوصول إلى تحطيم الذرة... هذه كلها قد تمت إلى حد كبير خلال القرن العشرين.

وفي نفس الوقت كان قد بدأ البحث في مجالات جديدة نسيًا كالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتعليم وغيرها، وذلك باستخدام الطريقة العلمية الاستخدام الأمثل كأداة للبحث في مختلف المجالات. إن النمو الملحوظ في التكنولوجيا وفي جميع عناصر الحضارة المعاصرة يمكن أن يُعزى إلى حد كبير إلى استخدامنا للبحث العلمي.. وحتى نتائج البحث العلمي فيكفي أن نمعن النظر فيما حولنا.

المبحث الرابع

المصادر (الأصول)

جمع المعلومات ونقلها من هذه المصادر والمراجع

الأصل لغةً أساس الشيء^(١)، وهو اصطلاحاً يعنى الكتاب الذى يرجع إليه المؤلف والمصدر الذى يعتمد عليه كثيراً فى تأليفه، من مثل ما يظهر فى قول الصولى: (قد صرت من كتاب الخلفاء وهو كتاب أوراق إلى ذكر الشعراء الذين أول أسمائهم ألف، فذكرت منهم جماعة، ثم رأيت بعض الأجلاء يجب أن أقدم له ذكر أحمد بن يوسف الكاتب، فأثرت مراده واتبعت محبته، وأنا أذكر من ذلك ما سهل على طلبه وقرب منى وجوده وتارك فى أخبار كل واحد وأشعاره بياضاً لما خرج السماع ومنتجعه من الأصول أن شاء الله)^(٢) ويشبهه فى استعمال مصطلح الأصول بهذا المعنى أبو الفرج الأصفهاني فى قوله متحدثاً عن عمرو ابن بانة: (.... وكتابه فى الأغاني أصل من الأصول)^(٣).

(١) مقاييس اللغة (أصل).

(٢) أخبار الشعراء، (١٤٣).

(٣) الأغاني، (٢٦٩/١٥)، واستعمل مصطلح الأصول دالاً على المصادر كثير من المؤلفين مما يدل على أنه كان المصطلح الشائع عندهم، ينظر على سبيل المثال: طبقات النحويين واللغويين ٢. نشوان المحاضرة (٣/ ٢٨٩)، الفهرست لابن النديم (٤٨)، البصائر والذخائر (١٣/٢)، أخبار أصبهان (١/ ٨٥).

والحديث عن الأصول أو مصادر البحث عند القدامى يتضمن فيما نرى اعتماد المقابلات الشخصية مع الأدباء أنفسهم أو مع من له علاقة بهم وبأدبهم، ويكثر هذا عند المؤلفين الذين خصصوا كتبهم لدراسة أدب معاصريهم، فكثيراً ما نرى عند الثعالبي تدوينه لأشعار وأخبار سمعها من الأدباء أنفسهم من مثل قوله: (وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه.....)^(١) وفي هذا ما يشير إلى أن المؤلف كان قد توجه إلى هذا الأديب وأخذ عنه ما يريد تدوينه في كتابه، ويؤيد هذا قوله في ترجمة (القاضي أبي القاسم علي بن علي الشيرازي): (وكنتم اقتبست من نوره واستمليت منه أبياتاً في نهاية الحسن وأعددتها لهذا الكتاب....)^(٢) ويذكر الباخري أن بعض الأدباء لم يسمح له بشيء من أشعاره فاضطر إلى تلقطها من أفواه الرواة^(٣) مما يدل على أنه كان يتوجه إلى الأدباء للنقل عنهم، ويشبهه في هذا كثير من المؤلفين الذين اتبعوا هذه الطريقة معتمدين في هذا نوعاً مهماً من أنواع المصادر الشفهية^(٤).

والذي نلاحظه في هذا النوع من المصادر الشفهية أن بعض المؤلفين كان ينص على زمان المقابلة ومكانها، وكأنه يقدم بهذا تأكيداً ودليلاً على حدوث هذه المقابلة، مما يشير إلى أن القراء كانوا يفهمون المدلول العلمي لهذه الطريقة وما تستوجه من شروط وتحديدات. فالعماد الأصفهاني مثلاً يقول في ترجمته لأحد الأدباء: (لقيته ببغداد في سوق الكتب عصرًا ينشد لنفسه شعراً من قصيدة في مدح (علي بن طراد الزيني).... فاستنشدته فأنشدني.....)^(٥).

(١) من غاب عنه المطرب (٢٥٣).

(٢) تنمية اليتيمة (٢ / ٧٦).

(٣) دمية القصر، (١ / ٣٥٩ - ٣٦٠).

(٤) جذوة المقتبس (٣٢) وشاح الدمية (٥٩ ب)، ولا يخلو كتاب ألف في أدب المعاصرين من الإشارة إلى اعتماد هذه الطريقة.

(٥) خريدة القصر (عراق) الجزء الرابع ١ / ٢٤.

ويقول في ترجمة أديب آخر: (اتفق اجتماعي معه في التوكيل بالديوان العزيز ومما أنشدته لنفسه في عشرة محرم سنة إحدى وستين وخمسمائة في القمري.....)^(١).

ولم تقتصر المقابلة الشخصية عند المؤلفين على مقابلة الأدباء أنفسهم فكثيراً ما تكون عوامل هذه المقابلة غير مواتية لبعد الشقة المكانية بين المؤلف والأديب، ومن ثم يعتمد المؤلف على العلماء والأدباء المعروفين برواية الأشعار وتتبعها يسائلهم وينقل عنهم ما يريد ليكون ما ينقله فيما بعد مصدرًا من مصادر كتابة الذي يقوم بتأليفه، والمؤلفون القدامى في اعتمادهم هذه المساءلات والمقابلات يبلغون درجة كبيرة من الدقة العلمية في تتبع المصادر، فقد يتوجه المؤلف إلى الراوية أو الأديب بعد عودته من سفر ليسأله عما استفاده من أشعار وأخبار في ذلك البلد الذي زاره، كما نرى هذا عند الثعالبي في ترجمته لأبي القاسم الزاهي إذ يقول: (أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشده من التتف التي استفادها ببغداد وأتحفني من اللطائف التي استصحبها، منها للزاهي..)^(٢)، وشييه بهذا ما نراه عند العماد الأصفهاني في قوله أثناء ترجمته لأحد الأدباء: (كنت أسمع من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويطرونه... فإذا استنشدتهم أحد شعره قالوا: ما نحفظه... حتى أنشدني الشريف أحمد بن حيدرة الزيدى الحسيني شعره...)^(٣).

وقد يقوم المؤلف نفسه بالاستفسار عن أخبار الأدباء ونتائجهم الأدبي في البلدان التي يسافر إليها ليدون ما يفيد في كتاب يزمع تأليفه، ونرى مظاهر هذا

(١) خريدة القصر (عراق) (١ / ١٥١).

(٢) يتيمة الدهر، (١ / ٢٤٩).

(٣) خريدة القصر (مصر)، (١ / ٢٣٨).

الصنيع عند كثير من المؤلفين، ومنهم البيهقي إذ يقول في ترجمته لأحد الأدباء: (وكننت أسأل لما جئت إلى بغداد عنه، فما يعرفه أحد حتى أنشدني بعض النصارى العطارين ببغداد، وكننت جالساً على باب دكانه وذكر أنه كان شيخاً إسكافاً ببغداد وواسط...) ^(١)، وشبيه به ما نراه عند العماد الأصفهاني من قوله: (سألت بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة عند شروعي في إتمام هذا الكتاب عمن بها من الشعراء وذوى الآداب فذكر لي فتیان منهم (فتیان)... وهو ذو نظم كالعقود...) ^(٢).

ولم تقتصر المصادر الشفهية عند القدامى على المقابلات الشخصية للأدباء والعلماء، بل كانت المجالس العلمية والأدبية أيضاً مجالاً لهم يستقون منه ما يريدون إثباته في مؤلفاتهم. ففي كتب الجاحظ مثلاً كثير من المنقولات عن هذه المجالس من مثل قوله: (وأنشد ابن داحة في مجلس أبى عبيدة قول السيد الحميري...) ^(٣)، وواضح أنه ينقل هذا النص سماعاً عن مجلس علمي لأبى عبيدة، مما يدل على أنه اعتمد ما دار في هذا المجلس مصدرًا لبعض ما دونه في كتابه، ويشبه في هذا كثير من المؤلفين الذين يعتمدون ما يدور في المجالس العلمية ليكون مادة من مواد كتبهم التي يقومون بتأليفها ^(٤)، مما يدل على أن هذه المجالس كانت من المصادر المهمة في البحث الأدبي عند القدامى، وهى وما سبقها من مصادر شفوية مباشرة أخرى كالمقابلات الشخصية والمساءلات العامة تكون النوع الأول من أنواع المصادر عند القدامى، وهو المصادر الشفهية.

(١) وشاح الدمية، (١٩) ب.

(٢) خريدة القصر (شام)، (١ / ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٣) الحيوان، (٣ / ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٤) على سبيل المثال: أخبار الشعراء، ٨٤، مجالس العلماء، (٤٨، ١٠٠)، الأغاني، (٦ / ١٦٨)، تاريخ بغداد، (٨ / ٣٠٨ - ٣٠٩).

والنوع الثانى من أنواع المصادر عندهم، هو المصادر المدونة، وقد كانت هذه المصادر على عدة أنواع أيضًا.

كانت الكتب المؤلفة أهم أنواع المصادر المدونة، وهذه الكتب التى اعتمدها المؤلفون القدامى قد تكون كتبًا جامعة ينقل منها المؤلف ما يفيد فى تأليفه، وهذا النوع هو أكثر ما يواجهنا النص عليه فى الكتب القديمة، إذ كثيرًا ما يذكر اسم صاحبه وقد يهمل ذكر أحدهما.

وقد تكون هذه الكتب مجاميع أدبية لا مؤلفات أدبية، ومن هذه المجاميع ما كان يجمع للمتنفذين وأصحاب السلطان من القصائد التى يمدحون بها، وقد كان يقوم بجمعها بعض أفراد حاشيتهم، إذ يذكر (العماد الأصفهاني) فى ترجمة الوزير (عون الدين يحيى بن هبيرة) أن صاحب الخبر قال له يومًا: (قد جمعت من القصائد التى مدحت بها ما يزيد على مائتى ألف بيت وكان كل سنة يحمل منها مجلدًا)^(١)، وتلاقينا فى الكتب الأدبية كثير من المنقولات عن هذه المجاميع الخاصة بالرؤساء وأصحاب السلطان، ومنها ما جاء فى كتاب (وشاح الدمية) فى ترجمة الرئيس (أبى المعالى محمد بن علي) إذ يقول: (هذا لم يذكره السمعاني، وإنما وجدت له فى مجموع مدائح (ابن جهير) عميد الدولة الوزير من قصيدة...) ^(٢)، وما جاء فى كتاب الخريدة من قوله فى ترجمة أحد الأدباء: (ونقلت من مجموع قصائد فى مدح جمال الدولة فى الأيام المسترشدية) ^(٣). واعتماد هذه المجاميع الخاصة بأصحاب السلطان يشير إلى أن المؤلفين القدامى لم يدخروا وسعًا فى البحث عما يفيدهم من مصادر لدراستهم، إذ أنهم لم يقتصروا على ما يجدونه فى

(١) خريدة القصر (عراق) ١ / ٩٨.

(٢) وشاح الدمية ٢٦ ب.

(٣) خريدة القصر (عراق) ٢ / ٢٠٥.

الكتب التي يستطيعون الإطلاع عليها، بل تعدوا ذلك إلى مراجعة ما تضمنه قصور أصحاب السلطان من نصوص، وكأنهم في هذا يشبهون عمل الدارسين المحدثين حينما يتوجهون إلى دور الوثائق الرسمية للإطلاع على ما يهم بحوثهم فيها.

وهناك نوع آخر من المجاميع الأدبية المجهولة تكثر الإشارة إليه في الكتب الأدبية دون تسمية له أو لجامعه، من مثل قول السراج الوراق: (وجدت بخط في مجموع عتيق: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد...) ^(١)، وقول العماد الأصفهاني في ترجمة الوزير أبي عمر الباجي: (قرأت له في مجموع هذين البيتين) ^(٢) وقول الصلاح الصفدي: (رأيت في بعض المجاميع الأدبية أن السلطان صلاح الدين قال يوماً للقاضي الفاضل....) ^(٣).

وتمثل دواوين الشعراء نوعاً آخر من المصادر المدونة التي اعتمدها المؤلفون القدامى. ومعروف أن الدواوين من المصادر المهمة في البحث الأدبي، ولهذا اعتمدها المؤلفون القدامى كثيراً وحرصوا على تحصيل النسخ الموثقة منها، إذ أنهم كثيراً ما كانوا يهتمون بالحصول على الدواوين بخط أصحابها إن كانوا من المعاصرين، والدليل على هذا ما نراه عند الثعالبي في قوله متحدثاً عن الشيخ أبي المحاسن سعد بن منصور: (وكتب إليّ جزءاً من شعره بخطه هو حتى الآن عندي...) ^(٤). وقوله في ترجمة الشاعر المأموني: (رأيت المأموني ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة... وسمعت منه قطعة ونقلت أكثره من خطه) ^(٥) وقول الباخري في ترجمة أبي الجواز الواسطي: (وكان قد تجشم لي تحرير جزء بخط

(١) مصارع العشاق (٢ / ٩٦).

(٢) خريدة القصر (مغرب) (٢ / ٣٣٧).

(٣) الغيث المنسجم (١ / ٩٤).

(٤) تنمة اليتيمة (١ / ١٤٤).

(٥) يتيمة الدهر، (٤ / ١٧١ - ١٧٢).

يده...^(١). أما إذا كان الشعراء من غير المعاصرين للمؤلف، وكانت نسخ دواوينهم متعددة، فكثيراً ما كان المؤلف يطلع على أكثر النسخ المتوفرة للديوان ويعتمد القديمة منها ويرجع إليها، ومن أدلة هذا ما نراه عند الأمدى إذ أنه بعد أن يذكر بيتاً لأبى تمام ويبين ما فيه من خطأ ويوضح صوابه يقول: (وكنتم أظن أبا تمام على هذا نظم الشعر وأن غلطاً وقع في نقل البيت حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد الصولى وأضرابه، فوجدت البيت في غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ)^(٢) في ديوانه، ثم يختار من هذا المجموع الذى صنعه ما يصلح لكتابه، كما نرى هذا عند الثعالبي، إذ يقول في ترجمة الشاعر اللحام: (ولم أر للحام ديوان شعر مجموعاً فعنيت بجمع تفاريقه وضم منتشره ثم اخترت منه ما يصلح لكتابي هذا...)^(٣) وعمل الثعالبي هذا شبيه بعمل الدارسين المحدثين عندما يعتمدون إلى جمع بعض الدواوين من الكتب القديمة ليكون فيما يجمعونه بعض العوض عن الدواوين المفقودة.

واعتمد المؤلفون القدامى نوعاً آخر من المصادر المكتوبة يتمثل في القصائد الشعرية المنفردة الخاصة بالشعراء، والإشارات إلى هذا النوع الجديد من المصادر كثيرة في الكتب القديمة، منها ما نراه في قول (العماد الاصفهاني): (ونقلت من درج بخط الصالح بن رزيك قصيدة له أعارنيه ابن أخته، مما نظمته سنة خمس وخمسين، أولها...)^(٤)، وقوله في موضع آخر: (وأعطاني سديد الدولة ابن الأنبارى درجاً فيه هذه القصيدة في مدحه بخط الغزى.....)^(٥).

(١) دمية القصر (١ / ١٤٠ - ١٤١).

(٢) الموازنة (١ / ٢٠٥).

(٣) يتيمة الدهر، (٤ / ١٠٢).

(٤) خريدة القصر (مصر) (١ / ١٧٨)، والدرج: هو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال (صبح الأعشى، (١ / ١٣٨).

(٥) خريدة القصر (شام)، (١ / ٢٣).

ويتصل بهذا النوع من المصادر ما نصادفه في الكتب القديمة من إشارات تدل على اعتماد المؤلفين لمسودات الشعراء وكراريسهم التي كانوا يكتبون فيها أشعارهم، ويكاد هذا الأمر يقتصر على نتاج الشعراء المعاصرين، أو قربي العصر بالمؤلف، وهو أمر طبيعي إذ أن توفر مثل هذه المسودات للشعراء القدامى أمر صعب المنال، ومن هنا تصادفنا إشارات عديدة إلى استعمال هذا النوع من المصادر في الكتب التي عنيت بأدب المعاصرين، كما نرى هذا عند العماد الأصفهاني إذ يقول: (وناولني القاضي أبو اليسر الكاتب كراسة خط جده أبي المجد من مسودات شعره، كتبها وقد أناف على الثمانين...) ^(١) ويقول في موضع آخر: (ثم وقعت بيدي مسودات من شعر الهيتي بخطه عند وصولي إلى مصر مما قاله بها وبالشام فنقلت منها...) ^(٢) وتتبع هذه المصادر يمثل - دون شك - درجة كبيرة في استقصاء عند القدامى، فهم لا يكتفون بها يسمعون من الرواة أو يجدونه في الكتب الجامعة، وإنما يتتبعون مصادر بحثهم بأشكالٍ كافة حتى في هذه الأوراق المنفصلة التي يحتفظ بها الأدباء، أو المسودات التي يخلفونها.

(١) نفسه: (٢ / ١١).

(٢) نفسه: (١ / ٢٣٢).

المبحث الخامس

وسائل العلم بالأصول (التعرف على المصادر)

باستعراضنا السابق لأنواع المصادر من تحريرية وشفهية رأينا بعض المؤلفين يعتمد إلى مسألة العلماء ورواة الأدب، للحصول على ما يريد من نصوص أدبية تدخل في موضوع كتاب له يؤلفه. وهذه المساءلات إن قدمت إلى المؤلفين النصوص التي تفيدهم في دراستهم فإنها من جانب آخر يمكن أن تدل على أن اتباعها كان طريقة من طرق معرفة المصادر والاهتداء إليها، إذ أن المؤلف كان يلجأ إليها لمعرفة شيء من مصادر دراسته ونصوصها، ومن هنا كانت هذه المساءلات طريقة من طرق جمع المعلومات ومعرفة المصادر عند القدامى.

وهذه الطريقة لم تكن الطريقة الوحيدة لمعرفة المصادر ولم يكن اتباعها سيرا على المؤلفين جميعا، وخصوصا بعد أن كثرت المؤلفات الأدبية وأصبح الإلمام بها ومعرفتها أمرا عسيرا أن بقي المؤلفون يحاولون معرفتها عن طريق المسألة، ومن هنا وجدت طريقة علمية مهمة لمعرفة المصادر والإرشاد إليها عند القدامى، وهي طريقة الفهرسة.

ومعروف أن هذه الطريقة توفر على الباحثين كثيرا من الجهد الذى يبذلونه، إذ أنها بما تحتويه من معلومات عن الكتب وموضوعاتها ترشد الباحثين إلى مصادر دراستهم وتعرفهم بها. ويبدو أن واضعى الفهارس من المؤلفين القدامى

انطلقوا من هذه الفكرة في وضعهم لكتب الفهرسة، ودليلنا على هذا ما يقوله ابن النديم في كتابه: (قد قلنا في أول هذه المقالة إنا لا نستحسن أن نطبق الشعراء لأنه قد تقدمنا من العلماء والأدباء من فعل ذلك، وإننا غرضنا أن نورد أسماء الشعراء ومقدار حجم شعر كل شاعر منهم، سيما المحدثين، والتفاوت الذى يقع في أشعارهم ليعرف الذى يريد جمع الكتب والأشعار ذلك ويكون على بصيرة منه...) ^(١)، وقول طاش كبرى زاده: (واعلم أن تحصيل العلوم لما لم يكن إلا بتصورها اسمًا ورسمًا وموضوعًا ونفعًا وأحيانًا أن نبين في هذه الرسالة المذكورة في كل علم أصلًا وفرعًا ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلفيها ليكون عونًا على تحصيل العلوم وترغيبًا في طلبها وإرشادًا إلى طرق تحصيلها...) ^(٢).

وواضح من النصين السابقين أن وضع هذين الفهرسين كان يرمى إلى إرشاد المؤلفين إلى المصادر التى تفيدهم في موضوع دراستهم، ويؤيد هذا أن هذين الفهرسين وما شابههما من كتب احتوت على معلومات عديدة تسهم في تأدية الغرض العلمى الذى وضعت من أجله، فابن النديم مثلاً لا يكتفى بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف والترجمة لبعض المؤلفين ترجمة قصيرة، بل يذهب أيضًا إلى تحديد حجم الكتاب والورقة وما فيها من أسطر، وقد ذكر هذا بقوله: (قلنا إن شعر فلان عشر ورقات فإنما عني بالورقة أن تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطرًا أعني في صفحة الورقة، فليعمل على ذلك في جميع ما ذكرته) ^(٣). ويذهب طاش كبرى زاده إلى ذكر معلومات مفصلة عن المؤلفين زيادة على المعلومات التى يقدمها عن الكتب، والسبب في هذا كما

(١) الفهرست ١٨١.

(٢) مفتاح السعادة، ١ / ٧٣.

(٣) الفهرست، ١٨١.

يقول: (أما ذكر المصنفات فللتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها والتفاوت بين تلك الكتب، وفي ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها وتعريف له بما يعتمده مؤلفات مؤلف واحد فقط، وقد وجد هذا النوع منذ القرن الثالث للهجرة إذ عد القدامى ما ذكره الجاحظ في بداية كتابه الحيوان من أسماء كتبه ضرباً من ضروب الفهرسة^(١)). و(لأبى علي القالى) فهرس لكتبه التى ألفها ذكره ابن خير الأشبيلي^(٢)، كما ذكر ياقوت فهرساً لكتب الشريف المرتضى^(٣)، وفهرساً لكتب أبى العلاء المعري^(٤)، هذا إلى جانب فهرس من هذا النوع كانت خاصة بالمؤلفين الأجانب، ومنها ما يذكره أبى النديم من وضع حنين بن إسحاق فهرساً لكتب جالينوس^(٥). ومن الواضح أن هذه الفهارس كانت خاصة بالمؤلفين المكثرين، وكانت كثرة كتبهم هى السبب فى وضع فهرس لها حسب موضوعاتها^(٦). ولهذا رأينا أن هذا النوع من الفهارس أقرب إلى فهرس الكتب منه إلى فهرس المؤلفين.

والقسم الثانى من أقسام الفهرسة العامة هو فهرس المؤلفين، وهذا القسم يشبه القسم السابق فى الغاية التى وجد من أجلها، وهى إرشاد الباحثين إلى مصادر دراستهم، كما أنه فى الوقت نفسه يفيد دارسى الشخصيات إذ يُذكرُ

(١) معجم الأدباء، (٦ / ٧٣).

(٢) فهرسة ابن خير، (٤٣٤).

(٣) معجم الأدباء، (٥ / ١٧٣).

(٤) نفسه (١ / ١٧٩). وهذا فيما يختص بالفهارس الموضوعية فى كتب المؤلفين فى الأدب وهناك فهرس أخرى من هذا النوع خصصت لكتب العلماء الآخرين، منها فهرس كتب الشيخ المفيد (ذكر فى الفهرست للطوسى، ١٨٦) وفهرس كتب علي بن محمد العدوى الشمشاطى (ذكر فى الرجال للنجاشى، ٢٠٢) وفهرس كتب الرازى (الفهرست لابن النديم، ٣٥٧) وفهرس كتب البيرونى (معجم الأدباء، ٦ / ٣١١).

(٥) الفهرست لابن النديم، ٣٤٨.

(٦) نقل ياقوت فى معجم الأدباء الفهرس الكامل لكتب أبى العلاء المعري، ويتضح منه أن الكتب فيه مرتبة حسب موضوعاتها (ينظر: معجم الأدباء، ١ / ١٧٩ - ١٨٩).

المؤلفون في هذه الفهارس حسب التسلسل الهجائي لأسمائهم ثم يذكر في ترجمة كل مؤلف ما له من الكتب.

ويبدو أن الاتجاه إلى وضع هذه الفهارس كان منذ القرن الثالث للهجرة إذ أن أول فهرس من هذا النوع هو كتاب المؤلفين لأحمد بن أبي طاهر الملقب بطيفور^(١)، ولعلي بن يوسف القفطي فهرس من هذا النوع اسمه أخبار المصنفين وما صنفوه^(٢).

ولعلنا بعد هذا ندرك أي مدى من المنهجية وصل إليه المؤلفون القدامى بوضعهم لهذه الكتب العديدة في الفهرسة إذا تذكرنا أن الدارسين المحدثين نصوا على أهمية هذه العملية وربطوا بينها وبين التقدم العلمي في البحث وغير هذا يقول الأنجلوا: (فلنقل إذن أن تقدم البحث في التاريخ يتوقف شيء كبير منه على تقدم العمل في ثبت عام بالوثائق التاريخية وهو عمل لا يزال حتى اليوم موزعاً ناقصاً...) (٣).

جمع الأصول (المصادر)

بعد أن يحدد المؤلف مصادر دراسته يقوم بالتفكير في كيفية جمعها وتبويبها ليتمكن من مثل ما يفيد من معلومات منها، وقد عرف المؤلفون القدامى هذه الفكرة وكانت - كما يبدو - قاعدة من قواعد البحث والتأليف عندهم. والنصوص التي تدل على هذا كثيرة منها ما ينقل عن المرزباني من أنه لما صنف

(١) ينظر: الفهرست لابن النديم، (١٦٣).

(٢) معجم الأدباء (٥ / ٤٨٣)، والعلماء الآخرين من غير الأدباء فهارس من هذا النوع منها كتاب الرجال للنجاشي وقد خصصه لذكر علماء الشيعة وما لهم من كتب ويشبهه في هذا كتاب الفهرست للطوسي، ومعالم العلماء لابن شهر آشوب، وكتاب الرجال لابن داود الحلبي، وقد وصلت إلينا هذه الكتب جميعاً.

(٣) النقد التاريخي، (٤٢).

كتابه معجم الشعراء جمع دواوين من ألف شاعر^(١)، وما ينقل عن صاحب بن عباد من أنه لما صنف كتابه في الوقف والابتداء (كان ذلك في عنفوان شبابه فأرسل إليه أبو بكر الأنباري وقال: إنها صنفت كتاب الوقف والابتداء بعد أن نظرت في سبعين كتابًا يتعلق بهذا العلم، فكيف صنفت هذا الكتاب مع حادثة سنك؟ فقال صاحب للرسول: قل للشيخ: نظرت في النيف والسبعين التي نظرت فيها في كتابك أيضًا...) ^(٢). ولهذا أصبح عدم توفر المصادر الأساسية للبحث وسيلة لاعتذار المؤلف عما يظهر في كتابه من زلل ونقص كما نرى هذا عند (عبد الواحد المراكشي) في قوله: (هذا مع أنى أعتذر إلى مولانا فسح الله في مدته من تقصير إن وقع بثلاثة أوجه من الأعذار، فأولها: ضعف عبارة المملوك.... والوجه الثاني أنه لم يصحبنى من كتب هذا الشأن شيء اعتمد عليه وأجعله مستندًا كما جرت عادة المصنفين....) ^(٣)، وفي قوله هذا إشارة صريحة إلى أن جمع المصادر قبل التأليف كان منهجًا يتبعه المؤلفون.

ولجمع المصادر طرق عديدة استقرت أصولها عند المتأخرين ممن كتبوا في صناعة التأليف مما يشير إلى أن هذه الأصول مرت بمراحل عديدة من التجارب لدى المؤلفين حتى استقرت بالشكل الذي نراها به في الكتب المتأخرة.

ويقول ابن جماعة: (ينبغي لطالب العلم أن يعتنى بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراء وإلا فإجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل..... وإذا أمكن تحصيلها شراء لم يشتغل بنسخها، ولا ينبغي أن يشتغل بدوام النسخ إلا فيما

(١) الإبانة، ٢٣.

(٢) نزهة الألباء، ٢٤٠.

(٣) المعجب، ٣.

يتعذر عليه تحصيله لعدم ثمنه أو أجرة استنساخه.....ولا يستعير كتابًا مع إمكان شرائه أو إجارته.....^(١).

وواضح من هذا النص أن جمع المصادر يتم بطرق أربع: الشراء والإجارة والاستعارة والاستنساخ، وتتفاضل هذه الطرق فيما بينها، ففي المرتبة الأولى منها الشراء ثم الإجارة ثم الاستعارة ثم الاستنساخ.

وفي أخبار المؤلفين وما احتفظت به المصادر القديمة مما يتعلق بهذا الموضوع إشارات ونصوص عديدة تؤكد كلها لجوء المؤلفين القدامى إلى هذه الطرق في جمع المصادر ما عدا طريقة واحدة هي الإجارة، إذ أننا لم نجد النص عليها واضحًا عند المؤلفين^(٢).

قول ابن بشكوال في ترجمة سلمة بن سعيد الأنصاري: (ساق سلمة بن سعيد شيخنا من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب. وسافر من أستجة إلى المشرق واتخذ مصر موئلاً واضطرب في المشرق سنين كثيرة... فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس... وكانت في كل فن من العلم ولم يتم له ذلك إلا بهال كثير حمله إلى المشرق)^(٣).

ويبدو أن المؤلفين القدامى في شرائهم للكتب والمصادر الأساسية كانوا يحرصون على اقتناء الجيد منها، إذ يقول (ابن النديم) متحدثاً عن أبي الفرج الأصفهاني: (وأكثر تعويله كان في تصنيعه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد...)^(٤)، ولهذا وجد فيهم المتخصصون في معرفة الكتب ومن

(١) تذكرة السامع والتكلم، (١٦٤ - ١٦٧)، وينظر: المعيد، (١٣٠).

(٢) الإجارة من الوجهة اللغوية هي الأجرة. وهي ما أعطى من أجر في عمل (اللسان - أجر).

(٣) الصلة، (١ / ٣٢٠).

(٤) الفهرست، (١٢٨).

يحتكم إليه في المعرفة جيدها، كما نرى هذا في قول ابن الأبار: (محمد بن يحيى الوائقي من أهل قرطبة، كان أديبًا كاتبًا جامعًا لدفاتر العلم من لدن صباه مُقتنيًا لكرائمها بصيرًا بخيارها عارفًا بخطوطها، يحتكم إليه في ذلك...) ^(١).

ومن الأسس التي وضعوها لشراء الكتب ضرورة فحص الكتاب وتفتيشه قبل شرائه ويتضح هذا في قول (ابن جماعة) فيما يذكره من وصايا العلم: (وإذا اشتري كتابًا تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه... واعتبر صحته وما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه...) ^(٢). وواضح أن القدامى في اهتمامهم بهذه الطريقة من طرق جمع المصادر وعدهم إياها أفضل الطرق في هذا المجال، يسبقون الدارسين المحدثين لمنهج البحث في هذه المسألة ^(٣).

(١) التكملة لكتاب الصلة، (١ / ٣٨٧).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، (١٧٢ - ١٧٣).

(٣) يقول الدكتور على جواد الطاهر: (إذا كان بإمكانك أن تقتني المصادر المهمة لمكتبتك المهمة الخاصة فذلك خير كبير لحاجتك اللازمة إليها. وإذا استطعت أن تملك إلى ذلك مرجعًا عامًا أعانك ذلك كثيرًا) (منهج البحث الأدبي، ٨٥).

الغاية

والآن وقد انتهينا من بحثنا هذا الذي أسميناه (دراسات في منهج البحث التاريخي والأدبي).. نحمد الله حمدا كثيرا إلى حيث أردنا. حيث إن هذا التراث الغني هو حلقة الوصل بين سالف المجد والسؤدد وحاضر.. تكون إفادته واستيعابه من هذا الإرث الكبير بما يفترض من توسل ذوى الكفاية من هذه الأمة بكل ما يلزم من القدرات والطاقات والأدوات لربط القناطر والجسور كي يعبر تراثها بعلومه وآدابه.. وفنونه.. وقوة تأثيره الروحية.. إلى حاضرها العتيد الغث، فبدون هذه النقلة أو هذا التواصل سيظل حاضرننا فقيرا منكفئا لا يقوى على الثبات بين تيارات الحضارات الراهنة... من خلال هذا التصور تبلورت الفكرة لدى الباحث ومؤلف هذا الكتاب المتواضع للإدلاء بدلو في معين هذا التراث واستلقاط ما تيسر من كنوز هذا البحر الثر.. وإنه لشرف جليل أن نكون أحد السالكين لشعاب المعرفة والعناية بتاريخ أمتنا العربية الإسلامية التي انتظمت لبناته بنسق قلّ نظيره بتوفيق من الله تعالى أولا ثم بتضحية من أبنائها وشهداءها الذين رفرت راياتهم خفاقة تصدع بالحق قبل أقصى الشرق حيث جبال الصين وجنوب المغرب.. حيث كانت فرنسا على مرمى حجر عن سنايك خيل (عبد الرحمن الغافقي) في بلاط الشهداء.. عليه ينبغي ان ألخص ما قدمناه وما توصلنا اليه من نتائج قد تضيف إلى صرح المعرفة الشامخ لبنة متواضعة وينبغي عما أثرناه.. مع استعراض لشروط وصفات الباحث.. وكذلك

الخطوات التي يتبعها الباحث في كتابة بحثه وشروط البحث نفسه.. وكذلك أعطيت نماذج لبحوث تاريخية وأدبية حية يعتمد عليها الباحث في بحثه وابتعدت عن خلاقات الباحثين أو الكتاب في هذا المضمار واتبعت طريقة واحدة لكي لا يقع الباحث في لبس ووهم وفوضى.. لا يدري من أين يبدأ وكيف ينتهي.. وعليه فهو يبدأ بالمقدمة وينتهي بالخاتمة.. وأقول كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نُسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(١).

(١) سورة البقرة من الآية رقم (٢٨٦).

المصادر والمراجع
لمنهج البحث الأدبي

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- محمد بن أحمد العميدى (٤٣٣هـ) الإبانة عن سرقات المتنبي، تحقيق: إبراهيم الدسوقي، القاهرة، دار المعارف ١٩٦١.
- ٣- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب (٧٧٦هـ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥.
- ٤- أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعى (ق٦)، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦.
- ٥- أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (٣٣٥هـ)، أخبار أبى تمام، تحقيق خليل عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندى، بيروت، المكتب التجارى، (مصورة عن مطبعة القاهرة ١٣٩٧هـ).
- ٦- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، أخبار أصبهان، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣١ - ١٩٣٤.
- ٧- أبو بكر الصولى، أخبار البحترى، تحقيق: الدكتور صالح الأشر، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٩٥٨.
- ٨- عبد الرحمن بن الجوزى (٥٩٧هـ)، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق: علي الخاقانى، بغداد، مطبعة دار البصرى، ١٩٦٦.

- ٩- أبو بكر الصولى، أخبار الشعراء (من كتاب الأوراق)، تحقيق: هيورث دن، القاهرة، مطبعة الصاوى، ١٩٣٤.
- ١٠- ابن الجوزى، أخبار الطراف والمتماجنين، تقديم وتعليق: محمد بحر العلوم، النجف، مطبعة الغرى، ١٩٦٧.
- ١١- أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى (٣٦٨هـ) تحقيق: طه الزينى، محمد عبد المنعم خفاجى، القاهرة مطبعة الحلبي.
- ١٢- أبو حيان علي بن محمد التوحيدى (٤١٤هـ)، أخلاق الوزيرين، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجى، مطبوعات المجمع العلمى العربى، دمشق، ١٩٦٥.
- ١٣- أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الطوسى (٦٧٢هـ)، آداب المتعلمين، نشر ضمن كتاب: آداب المتعلمين ورسائل أخرى، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٢، بيروت ١٩٦٧.
- ١٤- عبد الكريم بن محمد السمعانى (٥٦٢هـ)، تحقيق: مكس ويسمويلر، ليدن ١٩٥٢.
- ١٥- أبو الحسن علي بن حبيب الماوردى (٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط٣، ١٩٥٥.
- ١٦- محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، ليدن، ١٩٠٠م.
- ١٧- أبو بكر الصولى، تصحيح وتعليق: محمد بهجة الأثرى، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤١هـ.
- ١٨- ضياء الدين نصر الله ابن أبى الكرم المعروف بـ: ابن الأثير (٦٣٧هـ)، الاستدراك فى الرد على رسالة ابن الدهان...، تحقيق: حفى محمد شرف، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨.
- ١٩- عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ. ريتز، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤.

- ٢٠- أبو بكر محمد بن هاشم (٣٨٠هـ)، وأبو سعيد عثمان بن هاشم (٣٩٠هـ)،
الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين - الخالديان،
تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، ١٩٥٨، ١٩٦٥.
- ٢١- عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٥هـ)، الاشتقاق، تحقيق: الدكتور
سليم النعيمي، بغداد، مطبعة أسعد ١٩٦٨.
- ٢٢- أبو بكر الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، تحقيق: هيورث دن، القاهرة، مطبعة
الصاوي، ١٩٣٦.
- ٢٣- هشام بن محمد السائب الكلبى (٣٠٤هـ)، الأصنام، تحقيق: أحمد زكى،
القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩١٤.
- ٢٤- برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، القاهرة، دار الكتب
المصرية، ١٩٦٩.
- ٢٥- أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الأبار (٦٥٨هـ)،
أعتاب الكتاب، تحقيق الدكتور صالح الأشر، مطبوعات المجمع العلمى
العربى بدمشق، ١٩٦١.
- ٢٦- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد
أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٤.
- ٢٧- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ
لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجم التعليقات والمقدمة: الدكتور
صالح أحمد العلي، بغداد، مطبعة العانى، ١٩٦٣.
- ٢٨- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٢٥٦هـ)، الأغاني، القاهرة، دار
الكتب المصرية.
- ٢٩- القاضى عياض بن موسى اليحصبى (٥٤٤هـ)، الإلماع إلى معرفة أصول
الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة السنة
المحمدية، ط ١، ١٩٧٠.

٣٠- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦هـ)، الأمالي (مع الذيل والنوادر)، تحقيق: إسماعيل يوسف دياب القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦.

٣١- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٥٤.

٣٢- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

٣٣- أبو فيد مؤرخ ابن عمرو السدوسي (١٩٨هـ)، الأمثال، تحقيق: حمد محمد الضبيب، الرياض، مطابع الجزيرة، ط ١، ١٩٧٠.

٣٤- علي بن يوسف القفطى (٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٠-١٩٥٥، ١٩٧٣.

٣٥- أبو المنصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (٤٢٩هـ) الإيجاز والإعجاز، طبع ضمن مجموعة خمس وسائل، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠١هـ.

٣٦- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، ترجمه إلى الفرنسية: توفيق الصباغ، بيروت، المطبعة الكاثولوليكية، ط ٢، ١٩٥٩.

٣٧- الدكتور شوقي ضيف، البحث الأدبي، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٢.

٣٨- أبو عثمان بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجزى، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨.

٣٩- علي بن ظافر الأزدي (٦١٣هـ)، بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠.

٤٠- عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) البديع، تحقيق: أغناطيوس كراتشكوفسكى، لندن ١٩٣٥، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٧).

٤١- أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميرى (٤٤٠هـ)، البديع فى وصف الربيع، تحقيق: هنرى يريس، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤٠.

- ٤٢- زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع المصرى (٦٥٤هـ)، بديع القرآن، تحقيق: حفى محمد شرف، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٧.
- ٤٣- أبو عثمان الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: محمد مرسى الخولى، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٢.
- ٤٤- عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى (٦٥١هـ)، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، الدكتور خديجة الحديثى، بغداد، مطبعة العانى، ط١، ١٩٧٤.
- ٤٥- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب (ق٤)، البرهان فى وجوه البيان، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، الدكتور خديجة الحديثى، بغداد، مطبعة العانى، ط١، ١٩٦٧.
- ٤٦- أبو حيان التوحيدى، البصائر والذخائر، تحقيق: إبراهيم الكيلانى، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٦٤.
- ٤٧- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى (٥٩٩هـ)، بغية الملتمس فى تاريخ الرجال الأندلس، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٤م.
- ٤٨- عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط١، ١٩٦٥.
- ٤٩- أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور (٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفى، القاهرة، ١٩٠٨.
- ٥٠- محمد بن يعقوب الفيروزأبادى (٨١٧هـ)، البلغة فى تاريخ أئمة اللغة، تحقيق: محمد المصرى، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٢.
- ٥١- ابن عذارى المراكشى (ق٧)، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفى بروفنسال، تصوير دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

- ٥٢- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٩٦٠.
- ٥٣- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣١.
- ٥٤- أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
- ٥٥- الدكتور محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤.
- ٥٦- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، صححه وضبطه: محمد زهدى النجار، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٦.
- ٥٧- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٥٤.
- ٥٨- أبو منصور الثعالبي، تتمه اليتيمة، تحقيق: عباس إقبال، طهران، مطبعة فردين، ١٣٥٣ هـ.
- ٥٩- ابن أبى الأصبع المصرى، تحرير التحرير، تحقيق: الدكتور حفى محمد شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٣ هـ.
- ٦٠- الشيخ علي أكبر بن محمود النجفى، التحفة النظامية فى الفروق الاصطلاحية، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد ١٣١٢ هـ.
- ٦١- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ٢، ١٩٦٥.
- ٦٢- بدر الدين محمد بن إبراهيم... ابن جماعة (٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، حيدر آباد الدكن ١٣٥٤ هـ.

- ٦٣- إبراهيم بن أحمد... بين أبي عون (٣٢٣هـ)، التشبيهات، تحقيق محمد عبد المعيد خان، لندن، مطبعة جامعة كمبردج، ١٩٥٠.
- ٦٤- السيوطي، التعريف بآداب التأليف، نشر وتعليق إبراهيم السامرائي، مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٠.
- ٦٥- الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٤هـ)، التعريفات، بيروت مكتبة لبنان، ١٩٦٩.
- ٦٦- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ) التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، طبع ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢.
- ٦٧- الخطيب البغدادي، تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٤٩.
- ٦٨- زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (٨٠٦هـ)، التقييد والإيضاح، شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، مطبعة العاصمة، ط ١، ١٩٦٩.
- ٦٩- ابن الأبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح: عزة العطار الحسيني، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٢٥.
- ٧٠- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: الدكتورة عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩.
- ٧١- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧هـ)، تحقيق: إسماعيل يوسف دياب، القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٣، ١٩٥٤.
- ٧٢- علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٥. (مصورة عن طبعة ليدن)
- ٧٣- علي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ)، التنبيهات على أغاليط الرواة، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٧.

- ٧٤- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف.
- ٧٥- أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.
- ٧٦- أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، جامع بيان العمل وفضائله، صححه وراجعته: عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة مطبعة العاصمة، ط ٢، ١٩٦٨.
- ٧٧- ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من كلام المنشور، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، الدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦.
- ٧٨- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدى (٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
- ٧٩- أبو الفرج المعافى بن زكريا (٣٩٠هـ)، المجلس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافى (خ)، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ١١١).
- ٨٠- ابن نايقا البغدادى (٤٨٥)، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، الدكتور خديجة الحديثى، بغداد، دار الجمهورية، ١٩٦٨.
- ٨١- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصرى (٤٥٦هـ)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي البجاوى، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ١، ١٩٥٣.
- ٨٢- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٦٤.
- ٨٣- الدكتور أمجد الطرابلسى، حركة التأليف عند العرب، دمشق مكتبة دار الفتح، ط ٥، ١٩٧٢.

- ٨٤- شمس الدين محمد بن الحسن النواجي (٨٥٩هـ)، حلبة الكميت، القاهرة، المكتبة العلمية، ١٩٣٨.
- ٨٥- ابن الأبار القضاعي، الحلة السيرة، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٦٣.
- ٨٦- علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي (ق٨)، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغنى حسن، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٩.
- ٨٧- صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري (٦٥٩هـ)، الحماسة البصرية، تحقيق: الدكتور مختار الدين أحمد، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٩٦٤.
- ٨٨- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، ١٩٦٩، (تصوير دار الكتاب العربي بيروت).
- ٨٩- أبو منصور الثعالى، خاص الخاص، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦.
- ٩٠- عماد الدين محمد بن محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني (٥٩٧هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، (قسم شعراء العراق) ج١، تحقيق: محمد بهجة الأثرى، الدكتور جميل سعيد، بغداد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٥٥، ج٢، تحقيق: محمد بهجة الأثرى، بغداد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٦٤، ج٤، تحقيق: محمد بهجة الأثرى، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣.
- ٩١- (قسم شعراء الشام) تحقيق: الدكتور شكرى فيصل، دمشق المطبعة الهاشمية ١٩٥٥-١٩٦٤.
- ٩٢- (قسم شعراء مصر) تحقيق: أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١.
- ٩٣- (قسم شعراء المغرب والأندلس) تحقيق: عمر الدسوقي، علي عبد العظيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤.

- ٩٤- تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله ابن حجة الحموى (٨٣٧هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٤ هـ.
- ٩٥- أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري (٥١٦هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: توربكة، ليزك ١٨٧١ (تصوير مكتبة المثنى بغداد).
- ٩٦- القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، حيدر آباد الدكن، دستور العلماء، ١٣٢٩ - ١٣٣٢ هـ.
- ٩٧- الدكتور عبد الكريم الأشر، دعبل بن علي الخزاعي، شاعر آل البيت، دمشق، دار الفكر، ط ١، ١٩٦٤.
- ٩٨- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، وقف على طبعه وعلق عليه: محمد رشيد رضا، الناشر: مكتبة القاهرة، ١٩٦١ م.
- ٩٩- أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي (٤٦٧هـ)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٨.
- ١٠٠- أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ)، ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤ - ١٩٦٥.
- ١٠١- رواية أبي بكر الصولي (خ)، ديوان أبي نواس، مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٤٦٤٠.
- ١٠٢- رواية حمزة بن الحسن الأصفهاني (٣٦٠هـ)، ديوان أبي نواس، تحقيق: إيفالد فاغنر، ج ١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨، ج ٢، فسادين ١٩٧٢.
- ١٠٣- أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، ديوان المعاني، تحقيق: كرنكو، القاهرة، مكتبة القدسي ١٣٥٢ هـ.
- ١٠٤- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (٥٤٣هـ)، الذخيرة في محاسن أهل

- الجزيرة، القسم الأول في مجلدين، والقسم الرابع القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ - ١٩٤٥.
- ١٠٥- عبد الرحمن بن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٩٦٢.
- ١٠٦- أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي (٤٥٠هـ)، الرجال، طهران، مركز نشر كتاب جانجانه، مصطفى.
- ١٠٧- تقي الدين بن الحسن بن علي بن داود الحلبي (بعد سنة ٧٠٧هـ)، الرجال، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢.
- ١٠٨- إبراهيم بن المديبر (٢٨٦هـ)، الرسالة العذراء، تحقيق: الدكتور زكي مبارك، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣١.
- ١٠٩- رسائل أبي حيان التوحيدى، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، منشورات مجلة الثقافة بدمشق.
- ١١٠- رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤.
- ١١١- الدكتور عبد الحميد الشلقاني، رواية اللغة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١.
- ١١٢- محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تصحيح وتعليق: أحمد عبيد، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٤٨هـ.
- ١١٣- أبو إسحاق الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٩٦٩.
- ١١٤- محمد بن داود الأصفهاني (٢٩٧هـ)، الزهرة (النصف الأول)، تحقيق: لويس نيكول البوهيمي، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٣٢.
- ١١٥- أبو منصور الثعالبي، سحر البلاغة، وقف على طبعه: أحمد عبيد، دمشق، مطبعة الترقى.
- ١١٦- أبو محمد عبد الله بن محمد... بن سنان الخفاجي (٣٦٦هـ)، سر الفصاحة،

صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدى، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٩.

١١٧- أبو عبيد البكرى، سمط اللآلى فى شرح الأمالى، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦.

١١٨- أبو محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ)، سيرة النبى، تحقيق: محبى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة حجازى، ١٩٣٧.

١١٩- أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى (٤٢١هـ)، شرح الحماسة، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٥١ - ١٩٥٣.

١٢٠- أبو أحمد العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ١، ١٩٦٣.

١٢١- أحمد بن عبد المؤمن الشريشى (٦١٩هـ)، شرح مقامات الحريري، نشر وتصحيح: محمد عبد المنعم خفاجى، القاهرة المطبعة المنيرية بالأزهر، ط ١، ١٩٥٢ - ١٩٥٣.

١٢٢- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٤.

١٢٣- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (٨٢١هـ)، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، القاهرة، دار الكتب المصرية.

١٢٤- أبو حيان التوحيدى، الصداقة والصديق، تحقيق: إبراهيم الكيلانى، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٤.

١٢٥- أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٥٧٨هـ)، الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، نشره وصححه: عزة العطار الحسينى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٥.

١٢٦- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ١، ١٩٥٢.

- ١٢٧- عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط ١، ١٩٥٦.
- ١٢٨- محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدنى، ١٩٧٤.
- ١٢٩- أبو بكر بن أحمد المعروف بابن قاضى شهبه (٨٥١هـ)، طبقات النحاة واللغويين، المطبوع منه تحقيق: الدكتور محسن غياض، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٤. المخطوط: مصورة في المكتبة المركزية بغداد برقم (و خ ١٢٤).
- ١٣٠- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٥٤.
- ١٣١- يعرب فهمى سعيد، طرق البحث، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣.
- ١٣٢- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألف، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٧.
- ١٣٣- أبو عثمان الجاحظ، العثمانية، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة دار الكتاب العربى، ١٩٥٥.
- ١٣٤- أحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٢٧هـ)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، إبراهيم الأبيارى، عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (تصوير مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٧).
- ١٣٥- محمد بن طلحة القرشى (٦٥٢هـ)، العقد لفريد للملك السعيد، القاهرة، مطبعة الوطن، ١٣٠٦هـ.
- ١٣٦- الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى (٤٠٦هـ)، عقلاء المجانين، قدمه وعلق عليه: محمد بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ط ٢، ١٩٦٨.
- ١٣٧- ألدوميللى، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمى، نقله إلى

العربية: الدكتور عبد الحليم النجار، الدكتور محمد يوسف موسى، القاهرة، دار القلم، ط ١، ١٩٦٢.

١٣٨- الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٢، ١٩٥٥.

١٣٩- أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (٧٠٤هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ببجاية، تحقيق: عادل نويهض - بيروت، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩.

١٤٠- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى (٣٢٢هـ)، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجرى، محمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦.

١٤١- ابن هذيل الأندلسى، عين الأدب والسياسة، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ٢، ١٩٣٨.

١٤٢- ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية.

١٤٣- شمس الدين محمد بن محمد... بن الجزرى (٨٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).

١٤٤- جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الوطواط (٧١٨هـ)، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، القاهرة، المطبعة الأدبية، ١٣١٨هـ.

١٤٥- علي بن موسى بن سعيد المغربي (٦٨٥هـ)، الغصون الياينة في شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٧.

١٤٦- صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى (٧٦٤هـ)، الغيث المسجم فى شرح لامية العجم، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ط ١، ١٣٠٥هـ.

١٤٧- المفضل بن سلمة (٣٩١هـ)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوى، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ١، ١٩٦٠.

- ١٤٨- محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٦.
- ١٤٩- محمد بن أحمد الوشاء (٣٢٥هـ)، الفاضل في صفة الأدب الكامل، تحقيق: يوسف يعقوب مسكونى، بغداد مطبعة شفيق، ١٩٧١.
- ١٥٠- عبد الملك بن قريب الأصمعى (٢١٥هـ)، فحولة الشعراء، تحقيق: ش. تورى، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١.
- ١٥١- المحسن بن علي التنوخى (٣٨٤هـ)، الفرغ بعد الشدة، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٥٥.
- ١٥٢- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن أبى الحديد (٦٥٦هـ)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفى، الدكتور بدوى طبانة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١ - ١٩٦٢ (نشر مع كتاب المثل السائر).
- ١٥٣- محمد بن إسحاق بن النديم (٣٨٥هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، مطبعة دانشگاه، طهران، ١٩٧١.
- ١٥٤- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠هـ)، الفهرست، صححه وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ط٢، ١٩٦١.
- ١٥٥- محمد بن خير الأشبيلي (٥٧٥هـ)، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين...، تحقيق: فرنسكة قدارة زیدین، ط٢، ١٩٦٣ (تصوير المكتب التجارى بیروت).
- ١٥٦- محمد بن شاکر بن أحمد الکتبی (٧٦٤هـ)، قوات الوفيات، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٠.
- ١٥٧- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (٣٤٠هـ)، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٦٢.

- ١٥٨- حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١.
- ١٥٩- علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ)، المحدثون من الشعراء، تحقيق: حسن معمرى، بيروت، دار اليمامة، ١٩٧٠.
- ١٦٠- عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ.
- ١٦١- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١هـ)، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٥.
- ١٦٢- مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ)، المرصع في الأدباء والأمهات والبنين والبنات...، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١.
- ١٦٣- علي بن الحسين المسعودي (٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٧٣.
- ١٦٤- اختيار أحمد بن أيك بن عبد الله الحسيني المعروف بابن الدمياطي، الاستفادة من ذيل تاريخ بغداد (خ)، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ٢٥).
- ١٦٥- الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، بيروت، مكتبة دار الشرق، ط ٣، ١٩٧٢.
- ١٦٦- الدكتور ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، القاهرة، دار المعارف، ط ٤، ١٩٦٩.
- ١٦٧- أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (٥٠٠هـ)، مصارع العشاق، بيروت، دار صادر، ١٩٥٨.
- ١٦٨- الدكتور أسد رستم، مصطلح التاريخ، بيروت، المطبعة العصرية، ط ٣، ١٩٥٥.
- ١٦٩- ذو النسيبن عمر بن حسن المعروف بابن دحية الكلبي (٦٣٤هـ)، المطرب

- من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوي، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤.
- ١٧٠- الفتح بن خاقان (٥٣٥هـ)، مطمح الأنفس، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ط١، ١٣٠٢هـ.
- ١٧١- محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (٥٨٨هـ)، معالم العلماء، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦١.
- ١٧٢- ابن قتيبة، المعاني الكبير، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٩٤٩.
- ١٧٣- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (٦٤٧هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: دوزي، ليدن، ط٢، ١٩٦٨.
- ١٧٤- ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: مرجليوث، القاهرة، مطبعة أمين هندية (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).
- ١٧٥- محمد بن عمران المرزباني (٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٠.
- ١٧٦- عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي (٩٨١هـ)، المعيد في أدب المفيد والمستفيد، دمشق، المكتبة العربية، ١٣٤٩هـ.
- ١٧٧- علي بن موسى بن سعيد المغربي (٦٨٥هـ): (قسم الأندلس)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: الدكتور شوقي شيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣ - ١٩٥٥ (قسم مصر - الجزء الأول)، تحقيق: زكي محمد حسن، الدكتور شوقي ضيف، الدكتورة سيدة محمد كاشف، القاهرة، جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣. (قسم القاهرة المسمى بالنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة) تحقيق: الدكتور حسين نصار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠.
- ١٧٨- محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، القاهرة، مطبعة الشرق، ط١، ١٣٤٢هـ.
- ١٧٩- نوري شاكر الألوسي-البحث الأدبي ومنهجه، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.

- ١٨٠- يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، القاهرة، مفتاح العلوم، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ١، ١٩٣٧.
- ١٨١- أبو حيان التوحيدى، المقابسات، تحقيق: الدكتور محمد توفيق حسين، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٠.
- ١٨٢- مقدمة ابن الصلاح - ينظر: التقييد والإيضاح.
- ١٨٣- الدكتور عزة حسن، المكتبة العربية، دمشق ١٩٧٠.
- ١٨٤- أبو منصور الثعالبي، من غاب عنه المطرب، طبع ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ.
- ١٨٥- الدكتور عبد الرحمن بدوى، منهاج البحث العلمى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨.
- ١٨٦- الدكتور علي سامى النشار، منهاج البحث عند مفكرى الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ١٩٦٦.
- ١٨٧- الدكتور مصطفى الشكعة، منهاج التأليف عند العرب، بيروت دار الثقافة.
- ١٨٨- فرانز روزنثال، منهاج العلماء المسلمين فى البحث العلمى، ترجمة الدكتور أنيس فريجة، دار الثقافة، ١٩٦١.
- ١٨٩- أبو منصور الثعالبي، المتحل، صححه وشرحه: أحمد أبو علي، الإسكندرية، المطبعة التجارية، ١٩٠١.
- ١٩٠- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفى، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٨.
- ١٩١- حازم القرطاجنى (٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، ١٩٦٦.
- ١٩٢- الدكتور علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبى، بغداد، مطبعة أسعد، ط ٢، ١٩٧٢.

- ١٩٣- الدكتور حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠.
- ١٩٤- ثريا ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، بيروت منشورات دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠.
- ١٩٥- الدكتور عثمان موافي، منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الأوربي، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية.
- ١٩٦- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحترى، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥.
- ١٩٧- الحسن بن بشر الآمدي، المؤلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦١.
- ١٩٨- كمال مصطفى، الموشى - الوشاء، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ط٢، ١٩٥٣.
- ١٩٩- محمد بن عمران المرزبانى، الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي البجاوى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.
- ٢٠٠- ابن قتيبة، الميسر والقдах، صححه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٥هـ.
- ٢٠١- أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن الأنبارى (٥٧٧هـ)، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائى، نشر مكتبة الأندلس ببغداد، ط٢، ١٩٧٠.
- ٢٠٢- المحسن التنوخى، نسوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجى، بيروت، دار صادر، ١٩٧١ - ١٩٧٣.
- ٢٠٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى، النقائض (نقائض جرير والفرزدق)، تحقيق: بيفان، ليدن ١٩٠٥، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).
- ٢٠٤- ترجمة عبد الرحمن بدوى - النقد التاريخي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.

- ٢٠٥- قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٢، ١٩٦٢.
- ٢٠٦- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (٧٦٤هـ)، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: أحمد زكى، القاهرة، المطبعة الجمالية ١٩١١.
- ٢٠٧- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- ٢٠٨- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى (٢١٤هـ) - النوادر في اللغة، صححه وعلق عليه.
- ٢٠٩- ابن قتيبة - الميسر والقдах، صححه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٥هـ.
- ٢١٠- أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (٥٧٧هـ) - نزهة الألباب في طبقات الأدباء، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائى، نشر مكتبة الأندلس ببغداد، ط ٢، ١٩٧٠.
- ٢١١- المحسن التنوخى - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، دار صادر ١٩٧١ - ١٩٧٣.
- ٢١٢- أبو عبيدة معمر بن المثنى - النقائض (نقائض جرير والفرزدق)، تحقيق: بيفان، ليدن ١٩٠٥، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).
- ٢١٣- ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - النقد التاريخى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.
- ٢١٤- قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) - نقد الشعر ، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٢، ١٩٦٢.
- ٢١٥- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (٧٦٤هـ) - نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: أحمد زكى، القاهرة، المطبعة الجمالية ١٩١١.
- ٢١٦- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٧٣٣هـ) - نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية.

٢١٧- أبو سعيد بن أوس الانصاري (٢١٤هـ) - النوادر في اللغة. صححه وعلق عليه: سعيد الخوري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٢.

٢١٨- مجموعة من الكتب القديمة بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون - نوادر المخطوطات، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤ - ١٩٥٥.

٢١٩- اختصار الحافظ اليعموري (٦٧٣هـ) - نور القبس المختصر من القبس في أخبار النحاة والأدباء...، تحقيق: رودولف زلهام، فيسبادن ١٩٦٤.

٢٢٠- أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني (ق ٥) - الواضح في مشكلات شعر المتنبي، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.

٢٢١- صلاح الدين الصفدي - الوافي بالوفيات، ج ١، ٢، تحقيق: ريتز، فيسبادن ١٩٦١، ج ٤، ٣، تحقيق: ديدرينغ، فيسبادن ١٩٧٢، ج ٧، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، فيسبادن ١٩٦٩، ج ٨، تحقيق: محمد يوسف نجم، فيسبادن ١٩٧١. الأجزاء المخطوطة: مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد.

٢٢٢- محمد بن داود بن الجراح (٢٩٦هـ) - الورقة، تحقيق: عبد الوهاب عزام، عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط ٢.

٢٢٣- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢هـ) - الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوي، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط ٤، ١٩٦٦.

٢٢٤- علي بن زيد البيهقي (٥٦٥هـ) - وشاح الدمية (خ)، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ١٢٥) عن مخطوطة بمكتبة حسين جلبي في تركيا.

٢٢٥- شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ) - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان -، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨ - ١٩٧١.

- ٢٢٦- نصر بن مزاحم (٢١٢هـ) - وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الجلبى، ط ١، ١٣٦٥هـ.
- ٢٢٧- أبو منصور الثعالبي - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط ٢، ١٩٥٦.
- ٢٢٨- إبراهيم أبو لغد ولويس كامل ملكية، (البحث الاجتماعي)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩.
- ٢٢٩- أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة (٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق: كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨.
- ٢٣٠- أبو الفضل جمال محمد بن مكرم منظور (٧١١هـ) لسان العرب، بيروت دار الصادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦.
- ٢٣١- أحمد بدر، (دور الرأى العام فى السياسة العامة)، مجلة صوت الشعب الكويت وكالة المطبوعات، ١٩٧٢. خصوصًا الفصل السابع عن استطلاع الرأى العام).
- ٢٣٢- أحمد شلبى، (كيف تكتب بحثًا أو رسالة)، القاهرة، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢ م.
- ٢٣٣- أحمد عبادة سرحان ود، ثابت محمود أحمد، (مقدمة فى العينات)، ١٩٧١، دار الكتب الجامعية.
- ٢٣٤- أسد رستم، (مصطلح التاريخ)، ط ٣، بيروت المكتبة العصرية، ١٩٦٠، ص ٢٣٨.
- ٢٣٥- إنتصار عبد العال يونس، (السلوك الإنسانى)، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٢.
- ٢٣٦- حسن عثمان، (منهج البحث التاريخى)، ط ٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠.

- ٢٣٧- روزنتال، فراتز، (مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي)، ترجمة دكتور أنيس فريجة، دار الثقافة، ١٩٦١.
- ٢٣٨- عبد الباسط عد الصمد، (أصول البحث الاجتماعي)، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٢٣٩- عبد الرحمن بدوي، (مناهج البحث العلمي)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨.
- ٢٤٠- علي سامي النشار، (منهاج البحث عند مفكرى الإسلام)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.
- ٢٤١- محمد طلعت عيسى، (البحث الاجتماعي. مبادئه ومنهجه)، ط ٣، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ص ٢٧١.
- ٢٤٢- يعرب فهمى سعيد، (مقدمة فى البحث)، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٧١.

قائمة المحتويات

٧	الإهداء
٩	المقدمة
الفصل الأول	
١٥	المبحث الأول - البحث .. تعريفه .. أنواعه .. طرقه .. منهجه
١٨	تحديد معنى البحث
١٩	منهج البحث
٢٥	المبحث الثاني - خطوات إعداد البحث
٣١	- البيلوغرافيات والهوامش
٣٣	التعريف ببعض البيلوغرافيات العربية القديمة
٣٦	الهوامش والتذييل Footnotes
٣٨	المبحث الثالث - البحث .. أنواعه .. وصلته بالمكتبة
٤٠	اختيار موضوع البحث
٤٣	المبحث الأول - التأريخ (تعريفه .. منهجيته .. فوائده .. أنواعه)
٤٧	منهجية التأريخ
٤٨	فوائد التاريخ
٤٩	صفات المؤرخ

- ٥٢ المبحث الثاني- العلوم المساعدة في دراسة التاريخ
- ٦٤ المبحث الثالث - طرق البحث التاريخي
- ٦٨ المبحث الرابع - اختيار عنوان البحث وجمع الأصول
- ١٠٨ المبحث الخامس - اختبار الموضوع أو تحديد عنوان البحث
- ١١٤ خطة مقترحة
- ١٢١ فهرست المكتبات
- ١٢٣ كتابة البحث
- ١٢٥ قائمة المصادر والمراجع لمنهج البحث التاريخي
- الفصل الثالث
- المبحث الأول - منهج البحث الأدبي (تعريفه .. تطوره .. منهجه ..
- ١٣٥ صفات الباحث)
- ١٤٦ صفات الباحث الأدبي
- ١٦٠ المبحث الثاني - اختيار الموضوع وتحديد
- ١٨٨ المبحث الثالث - الخطوات التي ينبغي اتباعها في البحث
- المبحث الرابع - المصادر (الأصول) .. جمع المعلومات ونقلها من هذه
- ٢٠٧ المصادر والمراجع
- ٢١٥ المبحث الخامس - وسائل العلم بالأصول (التعرف على المصادر)
- ٢٢٢ الخاتمة
- ٢٢٤ مصادر ومراجع منهج البحث الأدبي